جامعة النَّجاح الوطنيَّة
كليَّة الدّراسات العليا

الغراب في التراث الإنساني نماذج مختارة

إعداد
رزان محمود جمال عواد

إشراف
د. عدوان عدوان

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها،
من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين.

2025

الغراب في التراث الإنساني نماذج مختارة

إعداد

رزان محمود جمال عواد

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2025/02/27م، وأجيزت:

د. عدوان عدوان	
د. المشرف الرئيسي	**التوقيع**
د. طه غالب طه	
الممتحن الخارجي	**التوقيع**
د. عبد الخالق عيسى	
الممتحن الداخلي	**التوقيع**

الإهداء

إلى

أمي...

إلى

أبي...

إلى

عائلتي...

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية في جامعة النجاح الوطنية، الذين نهلـــت مـــن علمهـــم وأدبهم، وأخص بالشكر الدكتور عدوان نمر عدوان الذي تكرم بالإشراف على أطروحتي، وتقديم العون والدعم لي، فكان نعم المشرف.

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين سأفيد من علمهم وملاحظاتهم.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

الغراب في التراث الإنساني نماذج مختارة

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالبة: رزان محمود جمال عواد

التوقيع: رزان

التاريخ: ٢٧/٤/٢٠١٩م

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج

الشكر والتقدير..... د

الإقرار ..... ه

فهرس المحتويات..... و

الملخص..... ح

المقدمة 1

أسباب اختيار الدِّراسة 3

أهمية الدِّراسة 3

الصعوبات التي واجهتها الباحثة في دراستها..... 3

أسئلة الدراسة..... 4

التمهيد..... 12

الفصل الأول: الغراب في الشعر القديم..... 27

المبحث الأول: الغراب في الشعر العالمي..... 28

المطلب الأوَّل: الغراب في الحضارة البابلية 29

المطلب الثَّاني: الغراب في آسيا 33

المطلب الثَّالث: الغراب لدى سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر)..... 35

المطلب الرابَّع: الغراب في الكتاب المقدس..... 39

المطلب الخامس: الغراب عند اليونانيين والرومانيين..... 47

المطلب السَّادس: الغراب في الثقافات الجرمانية وعصر الفايكنج..... 54

المطلب السَّابع: قصيدة الغراب للشاعر (إدغار آلان بو) 58

المبحث الثاني: الغراب في الشعر العربي..... 84

المطلب الأوّل: الغراب في الشعر الجاهلي 85
المطلب الثَّاني: الغراب في العصر الإسلامي 90
المطلب الثَّالث: الغراب في الأحاديث النبوية الشريفة..... 102
الفصل الثاني: دلالة الغراب في الشعر الفلسطيني..... 112
المبحث الأول: الغراب والشؤم 114
المبحث الثاني: الغراب والبين (الفراق) 122
المبحث الثالث: الغراب والاحتلال الصهيوني 129
الخاتمة..... 147
التوصيات 148
المراجع العلمية 149
Abstract ..... b

الغراب في التراث الإنساني نماذج مختارة

إعداد

رزان محمود جمال عواد

إشراف

د. عدوان عدوان

الملخص

تناولت الباحثة (الغراب في التراث الإنساني نماذج مختارة)؛ في الشعر العالمي سواءً أكان عربيًّا أم غربيًّا، ودرسته دراسة وصفية تحليليّة من خلال إبراز طائر الغراب ودلالته في الشعر العربي والغربي، ومعرفة رمزية الغراب في الشعر الغربي ورمزية الغراب في الشعر العربي كل منهما على حدة، وركزت الباحثة على معرفة التطورات التي حدثت على رمزية الغراب على مر العصور التاريخية وحتى زمننا هذا، كما عكست هذه الدراسة مدى عمق دلالة طائر الغراب حتَّى إنَّه في بعض المواطن كان أكثر من مجرد طائر عادي بل أصبح رمزًا عميقًا للشر والخراب.

وتكونت الدراسة من فصلين دراسيين، مسبوقين بمقدمة وتمهيد، ومذيلين بخاتمة، وبينت الباحثة في المقدمة أهمية الدراسة، وأسباب اختيار طائر (الغراب في التراث الإنساني نماذج مختارة) دون غيره، وطرحت أهم الأسئلة التي ستجيب عنها، وعرضت الإشكاليات التي ينتظر الإجابة عنها من خلال متن الدراسة، مع ذكر أهم أسباب اختيار موضوع البحث.

الفصل الأول: مدخل لدلالة طائر الغراب في الشعر القديم، ولصورة طائر الغراب في الشعر العالمي الغربي تحديدًا، ولدلالة طائر الغراب في الشعر العربي، وقسمته إلى مبحثين: المبحث الأول: تناولت فيه الغراب في جزء من نماذج الشعر العالمي، والمبحث الثاني: تناولت فيه طائر الغراب في جزء من نماذج الشعر العربي.

أما الفصل الثاني: فكان تطبيقيًّا على فصلين عنونته الباحثة بدلالة الغراب في الشعر الفلسطيني وقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، تطرق المبحث الأول إلى الغراب والشؤم وقد أخذ طائر الغراب صـــورة سلبية في الشعر الفلسطيني، واستعرض المبحث الثاني الغراب والبين (الفراق) وكان طائر الغراب مـــن الطيور التي استخدمها الشعراء للتعبير عن البين وفراق الأحبـــة، وتنـــاول المبحـــث الثالـــث الغـــراب والاحتلال الصهيوني وكان طائر الغراب يحمل صورة مطابقة للاحتلال الصهيوني من خلال ما وصفه بعض الشعراء في قصائدهم أمثال درويش وغيره.

الكلمات المفتاحية: الغراب، الشعر القديم والعالمي و العربي والفلسطيني، ورمزية طائر الغراب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد بن عبد الله وبعد:

يتناول النص مفهوم الشعر ككيان يعتمد على الرموز التي تشكل أساس البناء الشعري وتساعد في خلق صور فنية في ذهن المتلقي. يشير إلى أن لكل شاعر رموزه الخاصة التي تعكس شخصيته ورؤيته، وتعدّ بمثابة بصمة فريدة تميّز إبداعه. ويوضح أن هذه البصمة الشعرية ضرورية للشاعر مثلما أن الأجنحة ضرورية للطائر للطيران في فضائه الشعري.

الغُراب رمز شائع في أشعار وثقافات الشعوب، ومع تكراره في الكتابات، يختلف معناه حسب الفكر الخاص بالكاتب. وهذا يشير إلى أن الرمز ليس له قيمة ذاتية، بل هو وسيلة لنقل المعنى.

منذ القدم، سعى الإنسان لاكتشاف الحيوانات والنباتات، ومن بينها طائر الغراب الذي ارتبط بالتشاؤم والسوداوية بسبب صوته ولونه الأسود. في العصر الجاهلي، كان العرب يتشاءمون من الغراب ويعتبرونه رمزًا للتطير. كما كانت عبادة الأصنام شائعة في ذلك الوقت، لكن الإسلام جاء لينفي هذه العادات الجاهلية ويحرّمها.

وقد كان الغراب معجزة من عند الله؛ أنزلها لكي يعّلم ابن آدم كيف يدفن أخاه الميت، ولكن الناس بعد ذلك تشاءموا منه؛ لأنه مرتبط بحادثة موت، وقد تشاءموا منه أيضاً بسبب صوته العالي المسمى بالنعيق وتخريبه للمحصولات والتقاطه للمجوهرات والأشياء اللامعة التي كان يجدها في أي مكان مما دفع الناس للتشاؤم منه؛ ولأن الرسول ﷺ أمر بقتله؛ ولأنه لم يرجع إلى نوح عليه السلام لكي يبلغه نبأ الأرض فهو نذير للشؤم، " قالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ الرسولﷺ أمر بقتل خمسة فواسق في الحل والحرم الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأر، والكلب العقور". (رواه البخاري ومسلم). (الحنبلي، 1996م، صفحة 34).

أَن أهمية ظاهرة الرمز في الشعر العربي عامة والشعر الفلسطيني خاصة، هو أن الرمز الشعري يعطي القصيدة معاني مختلفة وهو يتشكل تبعًا لتجربة الشاعر، وله وظائف جمالية في أسلوب الشعر، وهذا المفهوم للرمز قد ظهر في العصر الحديث ولا يمكن تحليل ظاهرة الرمز في الشعر العربي الحديث والمعاصر إلا إذا استكشفنا مفهومه في الشعر العربي القديم.

ومن الأسباب التي دعت الفلسطينيين إلى استخدام الرمز في شعرهم، همجية الاحتلال الصهيوني وسياستهُ التي يتبعها ضد السكان؛ لأَن الشاعر إذا كتب صراحة عن الاحتلال كان يتعرض إلى السجن والتعذيب، وفي بعض الأحيان تصل العقوبة إلى النفي والإبعاد خارج فلسطين؛ لذلك في استخدام الرمز الشعري نوع من الحماية للشاعر من هذه السياسات.

ولهذا السبب وظفهُ الشاعر الفلسطيني، وتنازل عن التعبير المباشر بما فيه من وضوح وبساطة؛ ليعبر من خلاله عن رؤية واضحة وعميقة للواقع الفلسطيني المأساوي؛ فوظف أنواع الرموز في شعره كالرمز الديني، والقرآني، والتاريخي، والأسطوري، والتراثي، والأدبي، والشعبي، والرموز الطبيعية من الطيور والحيوانات وغيرهما من المظاهر الطبيعية، ولكل منها معناه الإيحائي للتعبير عما أراد بيانه؛ فالغراب رمز للمحتل الصهيوني والعلاقة وثيقة بينهما؛ لأن الغراب يسرق ما ليس له والمحتل كذلك.

إنَّ طائر الغراب لا يرمز للشؤم فقط بل هو طائر له إيجابيات، وأيضًا هو من أذكى الطيور؛ حيث يمكنه العد، وتمييز الوجوه، وهو من الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة المائدة، وقد عمل ما لم يستطع الإنسان عمله. ويعتمد الغراب في غذائه على اللافقاريات وجيف الحيوانات وهذا كان واحدًا من الأسباب التي دفعت الناس للتشاؤم من طائر الغراب.

أسباب اختيار الدِّراسة

ونظرًا لقلة الدراسات التي تناولت موضوع الطير بعامة في الشعر؛ فقد وقع اختياري على نوع محـــدد من الطيور "الغراب"؛ لما له من دلالات متعددة في المدونة الشعرية العالمية والعربية، وقــد ورد ذكــر الغراب في الأساطير، وفي الكتب المقدسة، وفي الحكايات الشعبية، والأمثال، والشعر، ولا سيما قصيدة الغراب (لإدغار آلان بو)، وفي الشعر العربي، وفي شعر الشاعر الفلسطيني محمود درويش.

أهمية الدِّراسة

تكمن أهمية الدراسة في دراسة الشعر الفلسطيني الذي يصف فلسطين أو إحدى مدنها، أو أســوارها، أو الأماكن المقدسة فيها، أو شعبها، وقد برز الشعر الفلسطيني منذ عهد الانتداب البريطاني، وخاصة فــي شعر الثورة ضد المحتل والدفاع عن الأرض المقدسة، وقد شاع استخدام ظاهره الرمــز فــي الشــعر، ومنها الرموز التاريخية، والأسطورية، والحيوانية، والنباتية، ورمز الطير بخاصة كذلك، ومن الطيــور التي شاع استخدامها، البوم والغراب اللذان كانا يرمزان إلى الاحتلال الصهيوني؛ ويعود ذلك إلى مظهر طائر الغراب الأسود الذي يتشاءم الناس منه ففي كثير من القصائد الشعرية رمز الغراب إلى الاحــتلال الصهيوني؛ وذلك بسبب أعمال التخريب التي يقوم بها المحتل من تدمير للأراضي والســيطرة عليهــا، وكذلك طائر الغراب الذي يذهب إلى الحقول، ويقوم بسرقة محصول المزارعين وأكله وتخريب ما ليس له.

الصعوبات التي واجهتها الباحثة في دراستها

القضية الفلسطينية قضية مهمشة من قبل الكثير من الدول العربية وغير العربية؛ ويعود السبب في ذلــك إلى همجية الاحتلال ومحاولته طمس هذه الهوية ومسحها عن الخارطــة؛ ولكــي تصــبح الأراضــي الفلسطينية المقدسة أراضي خاضعة لدولة الاحتلال ولا تَمُتُّ بأية صلة للشعب الفلسطيني؛ ولكي تصــبح –كما يقولون– أرضًا بلا شعب لشعبٍ بلا أرض، والمشكلة الأساسية تكمن في عدم قــدرة الفلســطينيين

على المساس بأي شيء يتعلق بالاحتلال، أو التَّعرُّض لهُ حتى بكلمة واحدة، ولطالما تعرض العديد من الفلسطينيين إلى التعذيب والقتل والسجن أو ربما إلى الإبعاد في كثير من الأحيان، أما الشاعر الفلسطيني إذا أراد الحديث عن الاحتلال صراحة بمسمى احتلال، أو استيطان، أو الكيان الصهيوني، كان يسجن ويبعد وتنتهك حقوقه الإنسانية؛ ولهذا لم يجد الشاعر الفلسطيني سبيلاً لحل هذه المسألة إلا باستخدام ظاهرة الرمز؛ لكي يتمكن الشاعر من توصيل كل ما يُريدهُ دون أن يتعرض لأيٍّ من سُبل المضايقات، وتحتاج ظاهرة الرمز إلى قارئ يتمكن من الإلمام بكل نواحي النص الأدبي؛ لكي يستطع فهم ما يقصدهُ الشاعر، وما يريد توظيفه من خلال هذا الرمز.

وتسعى هذه الأطروحة إلى دراسة رمز طائر الغراب في الشعر العربي والعالمي عامة وفي الشعر الفلسطيني خاصة؛ لما لرمز الغراب من أهمية في إيصال جشع الاحتلال وهمجيته وما يرتكبه من جرائم بحق الفلسطينيين العُزل، كما تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على طائر الغراب على مدى العصور.

أسئلة الدراسة

1. ما المقصود بطائر الغراب؟
2. هل هو الغراب (الطائر الأسود)؟ أم الغراب بوصفهِ رمزًا عميقًا يهدف لدلالة معينة؟

الدراسات السابقة

دراسة زغريت (2008) بعنوان: الغراب وأساطيره في الشعر العربي القديم والحديث. وضحت هذه الدراسة الفرق بين الغراب وأساطيره في العصر القديم والحديث. وتحدثت هذه الدراسة عن الغراب في التراث وكيف كان رمزاً للشؤم. وربطت الدراسة بين الغراب وظاهرة الطيرة عند العرب واليهود في العصر القديم؛ أما الطيرة فكانت تعني مراقبة الحيوان في أثناء ذبحه لمعرفة المستقبل من حركاته وهو يرتجف رجفة الموت.

وجاءت أهمية الدراسة في كونها صورت كيفية تشاؤم العرب في العصر القديم من الطيــور وتحديــداً الغراب والبوم. وقد معنت الدراسات بأنَّ دلالات الشر تنبع من كل اسم يبدأ بحرف الغين مثل: غــراب، غول، غم...إلخ. وقد بينت الدراسة أيضاً الأساطير التي تتعلق بطائر الغراب في العصور القديمة. ومن ثم انتقلت لتوضيح الصورة المأساوية للغراب في التراث الشعري هذا ما يتعلق بالتراث القديم.

أما بالنسبة للعصر الحديث فقد وضحت الدراسة أن رمز الغراب انتشر في دواوين الشعراء المعاصرين لكنه بقي محافظاً على رموزه القديمة من الفراق والموت، ووضحت بعض الأســاطير الموجــودة فــي العصر الحديث. وتعطي هذه الدراسة أطروحتي معلومات مهمة حول طائر الغــراب وأســاطيره فــي التراث القديم والحديث.

بالنسبة للشعر الفلسطيني فهذا الأمر مختلف فقد جاء الرمز في هذه المرة يحمل دلالة جديدة تختلف عن كل أبيات الشعر القديمة والحديثة، فلم يأتِ الغراب فقط رمزاً للموت والفراق، بل جاء رمزاً للاحــتلال وما نتج عن هذا الاحتلال من خسائر بشرية ومادية، وكيف حول هذا الغراب أرض فلسطين إلى أراضٍ مسلوبة تابعة له، وكيف يحاول هذا الغراب أن يسيطر بعقليته وشؤمه على هذا الشعب الحر الأبي الذي يرفض الاستسلام. وهذا ما تختلف به دراستي عن هذه الدراسة.

دراسة زغريت (2010) بعنوان: خالد محمد، ميثولوجيا الغراب في قصيدة (إدغار آلان بــو)، تحــدثت الدراسة عن ميثولوجيا الغراب في قصيدة (إدغار آلان بو). وجاءت هذه الدراسة مختلفة عن غيرها من الدراسات؛ والسبب في ذلك أن محور الدراسة انتقل من التراث العربي القديم إلى التراث العالمي.

تمثلت أهمية الدراسة: في توضيح صورة الغراب في التراث الغربي، مع ربط هــذا التــراث بــالقرآن الكريم والأساطير القديمة، وبعد الانتهاء من تحليل صورة الغراب في الأدب الغربي على نحــوٍ عــام. انتقلت للحديث عن الشاعر (إدغار آلان بو) من خلال علمه وجهوده وشعره.

وبعد ذلك انتقلت الدراسة للجانب التطبيقي ووضحت هذه الدراسة صورة الغراب داخل " قصيدة الغراب"، وكيف كان الحوار داخل القصيدة فلسفياً وجودياً، وكيف كانت هذه البنية السردية القصصية متناسقة من بدايتها إلى نهايتها. وقد شكل الغراب في هذه القصيدة رمزاً لغياب محبوبته الجميلة، التي تغادر الحياة وقد كان الغراب الأسود بصوته الحاد شاهداً على هذا الغياب. مثلت أهمية الدراسة بالنسبة لأطروحتي في إدخال رمز الغراب من التراث العالمي، وليس العربي فقط؛ وهذا يدل على أن الغراب مرتبط بالسوداوية والفراق، عند معظم الشعراء الذين كتبوا عن طائر الغراب.

أما بالنسبة لأطروحتي فسوف تأتي شاملة تحمل رمز الغراب في الأدب العربي في العصر القديم والحديث، وفي الأدب العالمي، مع التطبيق على نماذج لتأتي شاملة ولا حاجة للعودة لغيرها من الدراسات للبحث عن رمز هذا الطائر. ثم أنتقل للشعر الفلسطيني وأحلل قصيدة تحتوي على رمز الغراب، ومقارنة هذا الرمز مع غيره من الرموز التي سبقته في قصائد سابقة، وهنا سأصل إلى نتيجة حتمية بأن الغراب في الشعر الفلسطيني جاء مختلفاً مقارنة مع غيره من النماذج الشعرية العربية والغربية.

دراسة أبو سنينة (2012) بعنوان: الغراب في الشعر الجاهلي، هدفت الدراسة إلى التعرف إلى الغراب في الشعر الجاهلي. تمثلت في الكشف عن جوانب من الفكر الجاهلي، الذي يعد جزءاً من فكر الإنسان القديم، وقد قسم الباحث الدراسة إلى ثلاثة فصول.

جاءت أهمية هذه الدراسة في نظر العرب في الجاهلية إلى أن الغراب رمز للشؤم والموت وبعض من الشعراء أمثال: عنترة بن شداد قد ربط بين طائر الغراب ورحيل أحبابه عن دياره فهو طائر يعمل دائما على التفريق بين الأحبة. وقد تشاءم الناس من الغراب؛ بسبب تعليمه لابن آدم طريقة دفنه؛ لأخيه ولأن طائر الغراب كان إذا وجد جيفة وقف عليها وأكل منها وخاصة في المعارك كان يأكل جيف الجنود الذين سقطوا نتيجة للمعركة. وقد تحدثت الدراسة عن طائر الغراب في الفكر الإنساني القديم وفي الفكر

العربي القديم. ثم انتقلت الدراسة للحديث عن رموز الغراب في الشعر الجاهلي على نحوٍ تفصيلي ومنها: الغراب والفراق، والغراب والزجر والطيرة والتطير وأكل الجيف، ومن ثم لعرض صورة الغراب في الشعر الجاهلي من ناحية: الحركة واللون، وفي المبحث الأخير تحدثت عن الأبعاد الدينية والنفسية والاجتماعية.

فقد خلصت الدراسة إلى أن العصر الجاهلي وخصائصه، والأدب في العصر الجاهلي، وأهم المواضيع التي تشاءم منها العرب في العصر الجاهلي، المرتبطة بالغراب أهمها صوته ولونه الأسود وتفريقه الأحبة وأكله الجيف؛ أما بالنسبة للفلسطينيين فهم يختلفون عن العرب في الجاهلية؛ فقد تشاءم الفلسطينيون من الغراب؛ كونه رمزًا للخراب، والدمار، وسلب الهوية والوطن، ورمزًا للاحتلال الذي قتل وهجر وأبعد الشعب عن أرضه، هذا الفرق بين فلسطين وباقي العالم، فالفلسطينيون يكرهون الغراب؛ لارتباطه بالاحتلال وليس فقط لكونه رمزًا للفراق أو الموت أو البين.

دراسة معروف (2013) بعنوان: دراسة نقدية لدوافع التشاؤم بالغراب بين الفارسية والعربية، تمحورت أهداف الدراسة حول معرفة الأسباب التي أدت إلى التشاؤم من طائر الغراب، في كل من الأدبين الفارسي والعربي. فكل شاعر فارسي أو عربي تكلم عن طائر الغراب. احتج بأنهُ سبب للبين والخراب والدمار والهلاك.

تشكلت أهمية الدراسة في التركيز على أهم الدوافع التي جعلت الناس يتشاءمون من طائر الغراب في الأدب العربي والأدب الفارسي.

سوف تضفي هذه الدراسة على أطروحتي العديد من المزايا في التعرف إلى هذه الدوافع، التي دفعت الناس للتشاؤم من طائر الغراب في الأدبين العربي والفارسي، ومقارنتها مع الدوافع التي جعلت الشاعر الفلسطيني يطلق على الاحتلال رمز الغراب دون غيره من الطيور.

دراسة البســتاني (2015) بعنوان: محنة الشاعر محنة الإنسان في قصيدة الغراب والحمامــة، هــدفت الدراسة إلى التعرف إلى محنة الشاعر ومحنة الإنسان في قصيدة الغراب والحمامة؛ فقد جاء الغراب في هذه القصيدة رمزاً للجريمة ونذيراً للشؤم والشر، من خلال ربط الغراب بكتلة سوداء تحــيط بالســفينة الآمنة.

تمثلت أهمية الدراسة: في صورة الخوف والقلق والهلع والتساؤل في داخل مكان آمن هو السفينة؛ أمــا في القسم الثاني من الدراسة فتحدث عن الحمامة ذات اللون الأبيض التي ترمز إلى الأمل. وفي القســم الثالث تحدثت الدراسة عن رمز " نوح الوقور" وهو رمز لنبي الله نوحﷺ، الذي غرق قومه بالطوفان، وقد نجا كل من كان معه داخل السفينة من هذا الطوفان؛ أما قصيدة الغراب والحمامة فجــاءت بطــابع فلسفي إنساني وجودي؛ تعبر عن تجربة دموية قهرية، والظلم الداخلي والخارجي الذي يحيط بالعالم؛ أما القصيدة فقد جاءت تدعو إلى عدم الاستسلام.

بالنسبة لأطروحتي ساهمت هذه الدراسة بدافع مهم للمقارنة بين الغراب (الاحتلال)، والحمامة (الشــعب الفلسطيني)، ونجاة هذا الشعب سوف تكون حتمية إذا تمسَّك بمبادئه وحرِّيَّته ودينه، بالإضافة إلى رمز " نوح الوقور"، وخروجه بالصالحين ممن كانوا معه من الطوفان، هو دافع للشعب الفلسطيني بأنه مهمــا طال ظلم الاحتلال (الطوفان)، سيأتي اليوم الذي يصعدون به إلى السفينة (الحرية)، ويحصــلون علــى دولة مستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

دراسة محمد (2018) بعنوان: دلالة الطير في قصائد شعراء العصر المغولي، هــدفت الدراســة إلــى التعرف إلى دلالة الطير في قصائد شعراء العصر المغولي.

أهمية هذه الدراسة جاءت شاملة تحمل دلالة جميع الطيور التي ذكرت في قصائد المغول. وقد قســمت الدراسة على عدة مباحث، وفي كل مبحث نوع محدد من الطيور، وعرضت الدراسة دلالته ووضــحتها من خلال جانب نظري تحدثت فيه عن هذا الطير، وجانب تطبيقي يحمل قصيدة تحتوي بــداخلها علــى

رموز لهذا الطير. بالنسبة للمبحث الخامس فقد عرضت الدراسة طائر الغراب في القرآن الكـــريم، ثـــم انتقلت للشعر وربطت الغراب برموز كثيرة منها: التطفل، والسواد، والحزن، والتشاؤم. وأهميتها جاءت بالحديث عن طائر الغراب لغة، وعن طائر الغراب في القرآن الكريم، وطائر الغراب في الشعر، وهذا يدعم أطروحتي من خلال التعرف على الغراب في المواضيع التي ذكرتها سابقاً، ومن خلال الربط بين طائر الغراب في القرآن الكريم والغراب في الشعر الفلسطيني، من خلال قصيدة محمود درويش "حبـــر الغراب"، التي وظف فيها درويش قصة قابيل وهابيل وكيف علَّم الغراب ابن آدم كيف يدفن أخاه الميت.

دراسة حميدان (2021) بعنوان: صورة الغراب وأغراضها الشعرية في قصائد العصر الجاهلي، هدفت الدراسة إلى التعريف بصورة الغراب وأغراضها الشعرية في قصائد العصر الجاهلي. وقـــد وضـــحت الدراسة أن طائر الغراب طائر من الطيور غير المحبوبة؛ نظراً لما شكله هذا الطائر من رمز للفـــراق والموت والخبث واللؤم.

وبرزت أهمية الدراسة: في معرفة معتقدات العصر الجاهلي وثقافته، وقد كشفت الدراســـة عمـــا كـــان يحمله طائر الغراب من صفات سيئة، مثل: التنبؤ بالحوادث؛ فقد كان الغراب في الجاهلية رمزاً للفراق والموت؛ لذلك عندما كانوا يشاهدون طائر الغراب كانوا يتشاءمون منه ويحاولون الابتعاد عنـــه، وقـــد بينت الدراسة أن بعضاً من الشعراء استخدموه وسيلةً للفخر في نسبهم في بعض أشعارهم. وقد اختتمت الدراسة بتعدد المواقف من طائر الغراب، في المشاهد الحياتية والشعرية كافة؛ مما جعل صورة الغراب تتعدد أغراضها بين فراق وهجاء وزجر.

وقد ساعدت هذه الدراسة أطروحتي في معلومات مهمة حول الشعر الجاهلي وتظهر الفرق بين الشـــعر الجاهلي والشعر الحديث، بالإضافة إلى معرفة آراء العرب في الجاهلية حول طائر الغراب وكيف كانوا يوظفونه في شعرهم؛ وأما بالنسبة للشعر الفلسطيني فسوف أقوم بتوضيح التطورات التي حدثت لظاهرة

الرمز وتحديداً رمز الغراب من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، وهل بقي هذا الرمز كما هو رمز للشؤم والخراب أم أصبح يرمز إلى صورة أخرى.

دراسة باسم (2023) بعنوان: رمز الطير في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر الحمامة والغراب اختياراً، هدفت الدراسة إلى التعرف إلى رمز الطير في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر الحمامة والغراب اختياراً؛ أما أهمية الدراسة؛ فكانت لما تحمله الطيور من دلالات تتصف بالحركة والتنقل، وقد ورد ذكر الطيور بكثرة في شعر بني الأحمر. وقد رمزت الحمامة في هذه الدراسة إلى السلام والجمال والألفة؛ أما طائر الغراب فرمز إلى مرحلة الشباب والتشاؤم والفراق. وقد عرضت الدراسة نماذج شعرية من قصائد بني الأحمر، تحتوي على رموز لطائر الغراب ورموز للحمامة.

أهمية هذه الدراسة بالنسبة لأطروحتي تمثلت في اكتشاف نماذج شعرية جديدة، من شعر بني الأحمر التي تحدثت عن رمز الغراب وربطته بالتشاؤم والفراق؛ أما بالنسبة للشعر الفلسطيني فيمكن ربط هذه الدراسة به، من خلال الغراب الذي يرمز إلى الاحتلال الصهيوني، وكل ما أسهم به هذا الاحتلال من خراب وتدمير، وتفريق أبناء الشعب الفلسطيني من خلال اتباع سياسات همجية من الإبعاد والقتل والتهجير القسري، مقارنة مع طائر الغراب المدمر للمحصولات، وفي كل حضور لهذا الطائر يتسبب في فراق الشاعر عن أحبابه؛ أما بالنسبة للحمامة فقد كانت رمزًا للشعب الفلسطيني، الذي يستخدمها رمزًا للأمل والعودة إلى أرضه المسلوبة منه والتي سرقها الغراب (الاحتلال).

وارتأت الباحثة أن يكون هذا البحث في تمهيد وفصلين:

بحثت في التمهيد معنى طائر الغراب وأنواع طائر الغراب وطائر الغراب في القرآن والسنة النبوية والغراب في الشعر القديم والغراب في الأمثال الشعبية العربية والفلسطينية والغراب في الأساطير القديمة.

الفصل الأول: مدخل لدلالة طائر الغراب في الشعر القديم، ولصورة طائر الغراب في الشعر العالمي الغربي تحديدًا، ولدلالة طائر الغراب في الشعر العربي، وقسمته إلى مبحثين المبحث الأول تناولت فيه الغراب في الشعر العالمي والمبحث الثاني تناولت فيه طائر الغراب في الشعر العربي.

أما الفصل الثاني: فكان تطبيقًا عنونته الباحثة بدلالة الغراب في الشعر الفلسطيني وقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، تطرق المبحث الأول إلى الغراب والشؤم وكان طائر الغراب من أكثر الطيور التي حملت صورة سلبية في الشعر الفلسطيني، واستعرض المبحث الثاني الغراب والبين (الفراق) وكان طائر الغراب من أكثر الطيور التي استخدمها الشعراء للتعبير عن البين وفراق الأحبة، وتناول المبحث الثالث الغراب والاحتلال الصهيوني وكان طائر الغراب يحمل صورة مطابقة للاحتلال الصهيوني من خلال ما وصفه بعض الشعراء في قصائدهم أمثال درويش وغيره.

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج والتوصيات التي وصلت إليها في البحث.

وفي الختام آمل أن أكون قد وفقت في إعداد بحثي. والله وليّ التوفيق

التمهيد

منذ وجود الإنسان سعى إلى اكتشاف المخلوقات على وجه الأرض، وقد كان الغراب من أوائل الطيور التي اكتشفها الإنسان، ومن أوائل الطيور التي وجدت على وجه الأرض وفق ما ذكر في القرآن. وقد بقيت مكانة هذا الطائر محفورة في ذهن الأدباء والشعراء، وقد استخدم الغراب رمزًا من أهم الرموز، في الشعر بوجهٍ عام والشعر العربي بشكلٍ خاص، وقد كان من أكثر رموز الحيوانات والطيور التي لجأ الشعراء إلى استخدامها. وجد طائر الغراب في الكثير من القصائد العربية، واختلفت رموزه بين من تشاءم منهُ، ومن استخدمه كتعبير عن فراق الأحبة.

الغراب

الغُراب هو طائر أسود، وجمعه أغرِبة وأغرُب وغِرْبان. يُستخدم في اللغة العربية للتعبير عن صفات مثل الحذر والذكاء، حيث يُقال "أبصر من غُراب" و"أحذر من غُراب". كما يُستخدم في التعبيرات المتعلقة بالخِصْب، مثل "لا يطير غُرابها". يُعتبر الغُراب رمزًا للشؤم والفسق، ويُقال "أشأم من غُراب". في حديث عائشة، يُشير إلى الآية القرآنية التي تتحدث عن النساء وغطاء رؤوسهن، حيث وُصِفَت رؤوسهن بالغِرْبان. (ابن منظور، 1311هـ) وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ، لَمَّا نَزَلَ قولُه تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[النور:31]: فأَصْبَحْنَ عَلَى رؤوسِهِنّ الغِرْبانُ (العسقلاني، 773–852ه، صفحة 364).

زَمَانَ عَلَيَّ غُرابٌ غُدافٌ فطَيَّرَهُ الشّيْبُ عنّي فَطَارَا

إنما عَنى بِهِ شِدَّةَ سوادِ شَعَرِهِ زمانَ شَبابِه. وَقَوْلُهُ: "فَطَيَّرَه الشّيْبُ، لَمْ يُرِدْ أَن جَوْهَرَ الشّعر زَالَ، لَكِنَّهُ أَراد أَنّ السَّوادَ أَزالَه الدهرُ فبَقِي الشعرُ مُبْيَضّاً. (ابن منظور، 1311هـ).

والغراب هو: "جنس طير من الجواثم يُطلق على أَنْوَاع كَثِيرَة مِنْهَا الْأسود والأبقع والزاغ والغذاف والأعصم وَالْعرب يتشاءمون بِهِ إِذا نعق قبل الرحيل فَيَقُولُونَ:غراب الْبَين". (المعجم الوسيط، 1960م)،

هذه الطيور غالبًا ما تتميز بلونها الأسود، رغم أن هناك أنواع منها لديها مساحات بيضاء أو رمادية أو زرقاء أو بنفسجية أو خضراء. وله أسماء عديدة منها:

1. الغاق: هو نوع من طير الماء، يسمى غراب البحر.
2. الغداف: نوع من الغرابيات كبيرة الحجم، هو غراب أسود لونه كلون الرماد.
3. الغراب: "طائر معروف وسمي بذلك لسواده. ومنه قوله تعالى:﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[فاطر:27] وهما لفظان بمعنى واحد، وقد تعددت ألقابه من نحو: أبو حذر، وأبو زيدان، وأبو الشؤم، وأبو الجراح، ويقال له أيضًا: ابن الأبرص وابن بريح، وابن داية. وهو أصناف: الغذاف، والأكحل، والزاغ، وغراب الزرع، والأورق، والغراب الأعصم" (الدميري، 1992م، صفحة 128).

وقد جعل اللون الأسود من الغربان طيور معروفة متميزة بسواد ريشها الذي يشبه سواد الليل في جماله، رغم كل هذا الجمال إلا أن الناس تتشاءم منه وتبتعد عنه. كذلك أكلها للجيف كان سببًا في ربطهم لها بالموت. (ساكس، 2010م، صفحة 12). قال الجاحظ: الغراب طائر لئيم وضعيف، ينتمي إلى الفئات الدنيا من الطيور، يعتمد على الجيف للبقاء، ويعيش في ظل الطيور الأضعف. (الحيوان، 1965م، الصفحات 314-315) يعد الغراب من الطيور التي تتشاءم منها العرب، حيث وصفه ابن قتيبة بأنه الأكثر نكدا بين الطيور. كما أنه لا يُعتبر محمودا في أي حال، ويشتقون من اسمه كلمة "الغربة".(الدينوري ا.، د.ت، صفحة 264).

كلمة الغراب تحمل دلالات وصفات بداخلها تدل على طائر الغراب فحروفها تحمل دلالات: "فالغين من غدر وغرور، وغيبة وغم، وغلة وهي حرارة الحزن، وغول وهي كل مهلكة والراء من رزء وروع وردى وهو الهلاك والباء من بلوى وبؤس، وبرح وهو الداهية وبوار – وهو الهلاك" (الدّينوري، 2005م، صفحة 263).

وقد قال المقدسي في صفات طائر الغراب: إِنَّه يبعث الشؤم؛ "فهو النّاعق بين الأحباب، النّــائح النّــادب اللّابس من سود الثياب، الدّاعي إلى البين، نذير الشّتات مشؤم لئيم" (معلــم، 2016م، الصــفحات 179-194).

وقال أيضًا: "بينما كنت في نشوة الخطاب، سمعت صوت غراب ينعق بين الأصدقاء، وينوح علــى مــا يعانيه من ألم. ناديت الغراب، معبرًا عن استيائي من تكديره للأجواء الجميلة، متسائلًا عن سبب ســعيه في الصباح ونعيه للأحباب. ذكرت له أنه إذا رأى تجمعًا، كان ينذر بتفككه، وإذا شاهد مكانًا معروفًــا، بشر بتدميره." (معلم، 2016م، صفحة 194؛ المقدسي، د.ت، الصفحات 104-105).

وبالنسبة لطوله يصل طول طائر الغراب العادي، إلى حوالي (65) سنتمترًا أو (27) إنشًا عند البلــوغ. (أبي الحسن، 1997م، صفحة 16) وكذلك طائر الغراب من الطيور المحبة للمجتمعات البشرية، ويحب السكن والمكوث في الأماكن التي يتواجد فيها البشر؛ وذلك لسهولة الحصول علــى الطعــام (ســاكس، 2010م، صفحة 19).

ولطائر الغراب أنواع عديدة منها:

1. الغراب البلدي.
2. الغراب الأسحم.
3. الغراب ذو القلنسوة.
4. غراب الزيتون. (كين، 2020م، صفحة 52)

طائر الغراب في القرآن الكريم

الغراب في القرآن الكريم: هو الطائر الأسود الذي أرسله الله ﷻ؛ لكي يعلم ابن آدم كيف يقــوم بــدفن أخيه الميت، وذلك عندما قام قابيل بقتل أخيه هابيل. قــال تعــالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ

لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[المائدة:31]، وقد قال الجاحظ: "فلولا أنّ للغراب فضيلة وأمورًا محمودة، وآلة وسببا ليس لغيره من جميع الطّير لما وضعه الله تعالى في موضع تأديب النّاس، ولما جعله الواعظ، والمذكّر بذلك" (الجاحظ أ.، 1965م، صفحة 411)فَقَتِلَآ

وأما نوح ﷺ؛ فقد بعث الغراب؛ لكي يستكشف الأرض بعد الطوفان، ومن ثم يعود إلى السفينة لإخبار نوح ﷺ بحال الأرض، ولكنه نسي أمر نوح ﷺ والسفينة. عندما وقف على جيفة وبدأ يأكل منها، ونسي ما أمره به نوح ﷺ. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[هود:44].

أمر الله سبحانه وتعالى نوح ﷺ ببناء السفينة، وطلب منه أن يتخذها في ديار قومه، وأن يجعلها ألف ذراع طولًا وخمسمائة عرضًا وثلاثمائة ارتفاعًا، فبدأ نوح ﷺ بعمل السفينة وقد ساعده فيها أبناؤه ومن آمن بالله من قومه. والناس من قومه يسخرون منه ويقولون له: تركت النبوة وبدأت تعمل نجارًا. قال تعالى:﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[هود:38-39].

صنع نوح السفينة بشكل يشبه الطيور، حيث كان شكلها كطاووس وعنقها كعنق نسر، وهيكلها كهيكل حمامة، ومؤخرتها كمؤخرة ديك، ومنقارها كمنقار باز، وأجنحتها كأجنحة عقاب. غطاها بالزفت وجعلها بسبع طبقات، لكل طبقة باب، وعندما انتهى من بنائها نطقت بإذن الله. وقالت: لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، أنا السفينة من ركبني نجا، ومن تخلف عني غرق، ولا يدخلني إلا أهل الإخلاص.

دعا نوح قومه للإيمان، لكنهم اعتبروه سحراً. استأذن ربه في الحج فأذن له، وعندما هم قومه بإحراقه، أمر الله الملائكة بحمله إلى السماء. بعد انتهاء مناسك الحج، رأى نوح تابوت آدم وسأل الله عنه، فأمر الملائكة بنقله إلى دار نوح. وعند عودته، أوحى الله إليه بأنه قد أهلك قومه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ [هود:40]

ثم أمر الله تعالى نوحًا عليه السلام أن ينادي الطير والوحوش والسباع والهوّام والأنعام؛ وقد وصلت دعوته الشرق والغرب، وقد جاء إليه كل من آمن من السباع والوحوش والبشر، وكان معه ثمانون إنساناً، وحمل نوحٌ عليه السلام زوجين اثنين من الحيوانات والطيور التي أذن الله لها أن تصعد داخل السفينة.

"في مستهل شهر رجب، نودي نوح من التنور ليحمل في سفينته من كل زوجين اثنين، ذكرًا وأنثى. كان معه جسد آدم وحواء، وتباطأ الحمار في الصعود بسبب تعلق إبليس بذيله. فقال نوح لإبليس "ادخل يا شيطان"، فدخل معه. وعندما رآه نوح، استفسر عن دخوله، فأجابه إبليس بأنه عاهد نوح ألا يغوي أهل السفينة ما داموا فيها.".

ثم أوحى الله إلى جبريل أن يأمر خزنة الماء أن يرسلوه بغير كيل ولا مقدار وأن تضرب المياه بجناح الغضب. ففعل ذلك، ونبعت العيون، وهطلت السماء ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢﴾ [القمر:12]، وكان ماء السماء أخضر، وماء الأرض أصفر؛ وأمر الله الملائكة أن يحملوا البيت إلى سماء الدنيا؛ وكان الحجر يومئذ أشد بياضا من الثلج؛ فيقال إنه أسود من خوف الطوفان؛ وقال نوح عند ركوبه السفينة ما أخبرنا الله عنه في كتابه العزيز": ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب

مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود:41-45].

وبعد ذلك كانوا يعرفون الليل والنهار بواسطة خرزة موجودة بوسط السفينة، إذا نقص ضوؤها علموا أنها نهار وإذا زاد علموا أنها ليل، وطافت السفينة بنوح ومن معه الشرق والغرب، حتى وصلت الكعبة فطافت سبعًا ونطقت التلبية وهبطت، وقد بعث نبي الله نوح الغراب لكي يكتشف الأرض ولكنه تأخر، ثم بعث الحمامة وعادت مسرعة، وعرف أنه لم يبقَ أحد على الأرض ولم يتبقَ شجر إلا شجرة الزيتون، فخرج ومن معه من السفينة وعاد كل شيء إلى طبيعته. (النويري، م1923، الصفحات 45-47).

معجزة النبي سليمان عليه السلام كانت الحديث مع الحيوانات والطيور ومن قصص النبي سليمان مع الطيور: تقدمت كل الطيور وتكلمت مع سليمان عليه السلام. ثم تقدم الغراب وقال: إن الله ﷻ فضل سليمان على العالمين، وقد منحه معجزة الحديث مع الحيوانات، ثم قال: لقد كنت أبيض ولكن لما سمعته من شرور البشر أصبح لوني أسود قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾﴾ [مريم:88]. ثم قال: دعا لي أبوك آدم ونوح بطول العمر، وسمعت أباك إبراهيم يتلو آية يخضع لها كل شيء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر:38] (النويري، م1923، صفحة 66).

طائر الغراب في السنة النبوية الشريفة

قالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ الرسول ﷺ أمر بقتل خمس فواسق في الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأر والكلب العقور (رواه البخاري ومسلم). (الحنبلي، 1996م، صفحة 34)، "قالوا: فلو قال: اقتلوا هذه الخمسة وخمسة معها لجاز ذلك في التعبد؛ فأما أنّها تقتل لأنها فواسق فهذا لا يجوز؛ لأن الفسق والهدى لا يجوز على شيء من هذه الأشياء، والهوام، والسباع، والطير غير الشيطان، وغير الجن والإنس اللذين يكون منهم الفسق والهداية" (ابن تيمية، 1991م، صفحة 273).

وقد قال أبو محمد: إنَّ هذا المعتقد خطأ؛ لأن الطيور والحيوانات لا يجوز عليها العصيان مثل البشر، حتى في قصة سليمان عليه السلام عندما تفقد الهدهد ولم يجده؛ قال إنه سيعذبه إذا لم يأته بعذر عن غيابه، ولا يجوز أن يعذبه إلا بذنب أو معصية، والذنوب والمعاصي تسمى فسوقًا، وما جاز أن يسمى عاصيًا بل سمي فاسقًا (ابن تيمية، 1991م، صفحة 273). وبعد أن اعتذر الهدهد أنزل الله تعالى فيه هذه الآيات. قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل:20-25].

غراب نوح، كما ورد في التوراة، أُرسل لتفقد الأرض ولم يعد حتى جف الماء. ثم أرسل نوح حمامة، التي عادت عدة مرات، وفي النهاية عادت ومعها ورقة زيتون، مما أشار إلى انخفاض منسوب الماء. دعا نوح الله أن يُبارك الحمامة بالطوق في عنقها والخضاب في رجليها. (ابن تيمية، 1991م، صفحة

275) وقد سمي غراب البين؛ لأنه بان على نوح ﷺ؛ لذلك تشاءم العرب منه وابتعدوا عنه، واشتقوا من اسمه الغربة. (ابن تيمية، 1991م، صفحة 276)، " والغراب يقع على داء البعير الدبر فينقره حتى يقتله؛ ولذلك تسميه العرب: ابن داية... وكل هذه يجوز أن تسمى فواسق؛ لخروجها على الناس واعتراضها، بالمضار عليهم..." (ابن تيمية، 1991م، صفحة 278)

وقد قال صلى الله عليه وسلم: تلك صلاة المنافقين، عن الذي ينتظر الشمس حتى تغرب ثم يقوم للصلاة: كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تلك صلاة، تلك صلاة، تلك صلاة المنافق: يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا». (ابن تيمية، 1991م، صفحة 31)

وقوله ﷺ: "نهى رسول الله ﷺ وسلم عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير» (ابن تيمية، 1991م، صفحة 32). "حديث محمد بن سنان العوفي عن عبد الله بن الحارث بن أبزى المكي عن أمه رائطة بنت مسلم عن أبيها أنه قال: شهدت مع رسول الله – ﷺ – حنينا فقال لي: ما اسمك؟ قلت غراب، فقال: أنت مسلم كره أن يكون اسمه غرابا؛ لفسق الغراب ومعصيته فسماه مسلما، ذهب إلى ضد معنى الغراب؛ لأن الغراب عاص والمسلم مطيع، مأخوذ من الاستسلام وهو الانقياد والطاعة، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح" (ابن قتيبة، 2009م، صفحة 277).

الغراب في الشعر العربي القديم (العصر الجاهلي)

بعد أن اكتشف الإنسان الطبيعة وما فيها من حيوانات وطيور، واكتشف طائر الغراب وربطه بحادثة الموت والدفن، وكذلك أكل الجيف في المعارك. وغيرها من الأسباب دفعت الإنسان إلى الخوف والتشاؤم من هذا الطائر. بالإضافة إلى صوته العالي والحاد المسمى بالنعيق، فكان العرب في الجاهلية

عندما يسمعون صوت الغراب يتشاءمون منه وينفرون وقد اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب. وقد قال عنترة في ذلك:

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع

(بن شداد، ديوان عنترة بن شداد، 1891، صفحة 45)

هذا البيت جاء في تشاؤم العرب من الغراب (الدميري، 1992م، صفحة 128)؛ ولعل أهم الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك هو الجهل والابتعاد عن الدين؛ فقد كان العرب في ذلك الوقت يعبدون الأصنام؛ لأنهم كانوا غير مدركين لحقيقة الدين الإسلامي التي رفعت وعلت من قيمة كل شيء، وفي ذلك الوقت هنالك ظاهرة كانت منتشرة تعرف بظاهرة التطير؛ (أي التشاؤم من الشيء)، وعندما جاء الإسلام نفى هذه العادة وحرمها.

وفي بيت آخر لجرير:

ليت الغراب غداة ينعب[1] بالنوى كان الغُرَابُ مُقَطَّعَ الأوداج

(بن غالب، 2016، صفحة 95؛ محمد و محمد، 2003م، صفحة 114)

هذا يدل على أن العرب منذ القدم استخدموا الغراب رمزًا للشؤم والخراب والفراق، وقد ظل الغراب على هذا الاستخدام والرمز حتى عصرنا الحالي.

الغراب في الأمثال الشعبية العربية

التطير من الطيور، هو نوع من الزّجر بالطير، كانت هذه الظاهرة منتشرة في الجاهلية، وكانت قائمة على أساس مراقبة حركة الطيور، فإن تيامنت؛ (أي ذهبت باتجاه اليمين)؛ دل تيامنها على فأل؛ (أي تفاءلوا بالشيء وعملوا به. وإن تياسرت؛ (أي ذهبت باتجاه اليسار)؛ دل تياسرها على شؤم، واعرضوا

[1] تشحاجه: صياحه، يقال: شحج ونغق ونعب (محمد بن حبيب، د.ت، صفحة 136).

عن العمل بالشيء (ابن منظور، 1311هـ؛ الزبيدي، 1971م). كان العرب في الجاهلية إذا طار الطير عن يمينهم أكملوا السير، وإذا طار عن يسارهم لا يكملوا السير. وذلك في قولهم: "مَرَّ لَهُ غُرابُ شِمَالٍ"؛ (أي لقي ما يكره) (الزمخشري، 1987م، الصفحات 359–360؛ الميداني، 518هـ، صفحة 356). وقد عم مفهوم الطيرة كل الحيوانات والطيور التي كان العرب في الجاهلية يخافون ويتشاءمون منها، ومن هذه الطيور طائر الغراب ويعود السبب في ذلك إلى لونه الأسود؛ وصوته الحاد، وأكله للجيف بعد انتهاء المعارك، وارتباطه بحادثة الموت والدفن، عندما قام الغراب بدفن هابيل بعد أن قام قابيل بقتله.

وقد جاءت الأمثال العربية التي تحدثت عن الغراب بصورة متناقضة منها من تفاءل بالغراب لقولهم:" أَبْصَرُ مِنْ غُرابٍ"، " العرب تسمي الغراب أعورَ؛ وذلك لحدة بصره؛ وذلك لأنه يبقي أحد عينيه مغمضة لشدة قوّة بصره". (الميداني، 1838م، صفحة 115) وفي المثال الآخر: " هُمْ في خَيْرٍ لا يَطِيرُ غُرابُهُ"، " أصله أنّ الغراب إذا وقع في موضع لم يحتج أن يتحوّل إلى غيره. قيل: هذا يضرب في كثرة الخصب والخير". هذا بما يتعلق بالتفاؤل بطائر الغراب (الميداني، 1838م، صفحة 481).

وفي أمثلة أخرى: "كأَنَّهُمْ كانوا غُرَاباً وَاقِعاً"؛ "فلأن الغراب وَقَعَ لا يَلْبَثُ أن يطير".

(أي أن الغراب لا يستطيع الطيران لفترات طويلة فيسقط بسرعة)، "يضرب فيما ينقضي سريعًا". (الميداني، 1838م، صفحة 56)،

"**كالغُرَابِ والذِّئْبِ**"

وهذا المثل يضرب في الرجلين اللذين يكون بينهما وفاق ولا يختلفان؛ وذلك لأن الذئب إذا أغار على الغنم لحق به الغراب؛ لكي يأكل ما يتركه الذئب؛ أما المخالفة بينهما فتكون في أن الغراب لا يواسي الذئب فيما يصيد، وقد قال الشاعر:

يُوَاسِـــي الغـــرابَ الـــذئبُ فِيمـــا يَصِـــيدُهُ وَمَا صَـــادَهُ الغِرْبَـــانُ فـــي سَـــعَفِ النَّخْـــلِ

(الميداني، مجمع الأمثال، 1838م، صفحة 79).

"هَذَا أحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكٍ"

يضرب لكل شيء قد اسْتَحَقَّ أن يُتْرَك من رجلٍ أو جِوار أو غيره

وقَالَ أبو عوسجة:

هـــــذا أحـــــقُّ مَنْـــــزِلٍ بِتَـــــرْكِ الـــــذئبُ يَعْـــــوِي وَالغُـــــرَابُ يَبْكِـــــي

(الميداني، مجمع الأمثال، 1838م، صفحة 471)

وقيل أيضًا: "هُوَ غُرَابُ ابنُ دَأيَةَ"

وقد قيل إنه: "يكنى به عن الكاذب في نسبه". (الميداني، مجمع الأمثال، 1838م، صفحة 482)

الغراب في الأمثال الشعبية الفلسطينية

"احذر الطيور بقع"

ويضرب لاستحالة الارتفاع والارتقاء دونما عثرات. (السهلي، 1970م، صفحة 19)

"الْحَقِّ الغُرَابَ بِوَصَلَكَ لَلْخَرَابِ"

ويضرب لرفيق السوء. (السهلي، 1970م، صفحة 38)

غاب وجاب يا ما جاب الغْرابْ لأمه

ويضرب في الفشل في أمر ما.

مثل الغِرابْ إلي بزعق بالخرابْ

ويضرب في التشاؤم بالشيء.

"مَعْ دورةْ الغِرابْ"

يقال للدلالة على الساعة السادسة صباحاً. (السهلي، 1970م، صفحة 436)

"غراب يدق لَكَ عَ الْباب"

يضرب في معرض الدعاء على المرء بالضرر. (السهلي، 1970م، صفحة 308)

حياة طائر الغراب

محكمة الغربان من أعدل المحاكم الموجودة في الوجود؛ إذ تجتمع الغربان في مشهد يتم فيه معاقبة الغراب الجاني، مثلًا إذا قام غراب بهدم عش لغراب آخر يحكم عليه بإعادة بنائه، وإذا اعتدى غراب على أنثى غراب آخر، يتم الحكم عليه بالإعدام بواسطة مناقير الغربان الأخرى حتى الموت. وتتم محاكمة الغراب الجاني في الحقل وأمام جميع الغربان؛ حتى يتعلم الجميع من هذا الغراب المذنب؛ ولكي لا يكرر فعلته. (الصومعي، 2012م، صفحة 23)لطالما كان الغراب معلم الإنسان الأول؛ فقد كان شاهدًا على أول جريمة قتل حدثت في تاريخ البشرية، وقد قام الغراب بتعليم ابن آدم كيفية دفن أخيه الميت بعد أن قام بقتله. عندما بعث الله غرابين يقتتلان وقتل أحدهما الآخر ثم قام بدفنه. وبعد هذه الحادثة تعلم قابيل كيفية دفن أخيه هابيل بعد أن قام بدفنه. وذلك في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[المائدة:31] (الزمخشري، 1987م).

طائر الغراب من الطيور المخلصة لشريكة حياته، فالغراب يقدر الزوجة التي عاشت معه، وتبقى مخلصة له تتفقده إذا غاب وتبقى بقربه إذا حضر. الغراب لا يتزوج على زوجته ويبقى وفيًّا لها، إلا في حالتين وهما: إذا وضعت بيضًا ولم يفقس، أو ماتت زوجته (الصومعي، 2012م، صفحة 24). بالإضافة إلى ذلك طائر الغراب من الطيور الذكية. هناك عالم صهيونيّ يتابع حياة الغربان، وقد وصف مشهدًا لطائر غراب يعمل على جمع فتات الخبز، ويصعد إلى أعلى الشجرة، ويقوم برميها في البحر، وبعد ذلك تجتمع الأسماك حولها ويقوم باصطيادها. وفي عدل الغربان قيل: إذا سرق غراب طعام الصغار من الفراخ، تقوم الغربان الأخرى بنتف ريشه حتى يصبح عاجزًا عن الطيران (الصومعي، 2012م، صفحة 23). هذا العدل عجز الإنسان عن تنفيذه حتى في المحاكم الدولية وتحديدًا اتجاه ما يحدث في فلسطين على نحوٍ عام وفي غزة هاشم بوجهٍ خاص.

لطائر الغراب صوته المميز المختلف عن باقي الطيور، صوته يشكل الإزعاج للناس والكثير من الناس يتشاءم لمجرد سماع صوته. وهذا الصوت تستخدمه الغربان للحديث فيما بينها، وهي لغة تعارف بين فصيلة الغرابيات، ولكل صوت من أصوات الغربان شيفرة مخصصة لنوع واحد من الغرابيات، إذا سمع غراب صوت غراب غريب يقوم بالصراخ؛ لكي ينادي أبناء قبيلته للتصدي له، وهذا تطبيقٌ لمبدأ الكثرة غلبت الشجاعة. وطائر الغراب من الطيور المحبة لجمع الأشياء اللامعة والجميلة وكل شيء له بريق ويجذب الانتباه يقوم الغراب بسرقته (الصومعي، 2012م، صفحة 24).

يقوم طائر الغراب ببناء عش له ولزوجته، ويستغرق بناء هذا العش حوالي أسبوعين. وبعد ذلك تبدأ الأنثى بوضع البيض، وقد تضع من (2) إلى (6) بيضات خلال أسبوع واحد. ثم يفقس البيض بعد (19) يومًا وتظل الصغار بداخل العش، ما يقارب (30) إلى (45) يومًا، يكون هذا قبل أن يظهر ريش الفرخ الصغير أما بعد ظهور ريشة يبدأ بالاعتماد على نفسه والطيران، ويساعد أبويه في جمع الطعام، ولا تضع الأنثى بيضًا طيلة السنة تكتفي بجيل واحد كل سنة. وتكون مهمة الأنثى الاعتناء بالصغار؛ أما الذكر فيعمل على جلب الطعام لهم. تتغذى الغربان على المحاصيل الزراعية والفاكهة والحشرات

والديدان وبيض الطيور والقواقع والسمك وجيف الحيوانات الميتة. وتعمل على إخفاء طعامها تحت أغصان الشجر لحمايته من الطيور الأخرى. عند حلول المساء تبدأ الغربان بالنداء؛ لكي تتجمع مع بعضها البعض وتعمل على حماية نفسها من باقي الطيور والحيوانات ولكي ترهب الطيور والحيوانات؛ التي تقترب منها تطبيقًا لمبدئها المشهور الكثرة تغلب الشجاعة (بركات، 2017م، صفحة 70).

الغراب في الأساطير القديمة

"الغراب يعد من الطيور التي تشاءم منها العرب، ضمن مجموعة تُعرف بـ "الطير العراقيب" التي تشمل الصرد والشقراق والأخيل والورقاء والزماحج. وفقًا للجاحظ، فإن أصل التطير مرتبط بالطير، حيث كان العرب يتشاءمون من رؤية الطيور في حالات معينة، مما أدى إلى استخدام مفهوم التطير في سياقات أخرى" (الدميري، 1992م، صفحة 122؛ الجاحظ، 1965م، صفحة 438).

الغراب دليل في قصة صالح عليه السلام وثمود

عن كعب الأحبار في حديثه عن النبي صالح عليه السلام، (وكانت رعوم امرأة كنوه أبي النبي صالح عليه السلام)، كانت هذه المرأة كثيرة البكاء بسبب فقدها لزوجها. وفي ليلة من الليالي بكت كثيرًا وأثناء بكائها سقط شيء وسط بيتها. فخرجت لتنظر إليه، وكان طائرًا على شكل غراب " ورأسه أبيض وظهره أخضر وبطنه أسود وهو أحمر الرجلين والمنقار وفي عنقه درة معلقة بسلسلة من ذهب". فقالت للطائر: ما أحسن خلقك، ثم سألته إذا كان هاربًا من صاحبه (عجينة، 1994، صفحة 326). فقال الغراب: ما هربت من صاحبي وبدأ برواية قصته.

وقال: أنا الغراب الذي علم قابيل كيف يواري سوءة أخيه هابيل بعد أن قام بقتله، "وقال: بياض رأسي؛ فإنه شاب لمّا رأيت قابيل وقتل هابيل؛ وأما حمرة منقاري ورجلاي فإني غمتها في دم هابيل الشهيد؛ وأما خضرة ظهري فمن لمس الملائكة والحور العين. وأنا من طيور الجنة ولكن، أتحبين أن أرشدك

إلى زوجك كنوه فإني عارف بموضعه. فقالت: ومن لي بذلك فقد غاب عني مائة سنة فقال: لا تنكري ذلك فإن الله على كل شيء قدير.

تقلدت المرأة سيف بعلها وتبعت الطائر حتى وصلت إليه وهو نائم. نادى الطائر ابن عبيد، فاستيقظ واعتنق زوجته، فحملت بصالح. بعد ذلك، قبض ملك الموت روحه، وتبعت المرأة الطائر حتى وصلت إلى بلاد ثمود، حيث وضعت صالح ليلة الجمعة يوم العاشوراء. نشأ صالح في مهده يسبح الله ويقدسه (الكسائي، 1922، صفحة 122).

وبناء على جميع ما تقدم، طائر الغراب ليس كباقي الطيور، له دلالته الخاصة المعروفة بين الناس المرتبطة بالشؤم والخراب والتطير عند العرب في الجاهلية، وارتبط بذهن المسلم بالمعلم الأول للإنسان لأنه قام بتعليم ابن آدم كيف يواري سوءة أخية. وكان الغراب دليلًا لعبد المطلب على بئر زمزم فقد كان الغراب دليل له لحفر بئر زمزم لما شاهده في منامه؛ أن مكان حفر البئر "قيل له: عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الأعصم. قال: فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين: إساف ونائلة، اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر، فقامت قريش إليه وقالوا: والله لا نتركك أن تحفرها ووثنانا ومنحرنا عندها". وكان ذلك لخوف قريش من كشف عبد المطلب للكنوز الموجودة بداخله (النيسابوري، 1035م، صفحة 77). ودليل لأم النبي صالح عليه السلام على مكان أبيه الميت. وهناك أساطير قديمة تقول إنَّ الغراب من طيور الجنة؛ ويعود هذا الاعتقاد إلى تعليمه لابن آدم كيف يواري سوءة أخيه.

الفصل الأول

الغراب في الشعر القديم

الغراب في الشعر العربي القديم له مكانة خاصة ومميزة، وغالبًا ما يرتبط بمشاعر الحزن والفراق. وقد كان الغراب بمثابة "نذير الشؤم" في المخيلة العربية، والكثير من الشعراء كانوا يستحضرونه في لحظات الوداع. كان الشعراء القدماء يعدون الغراب رمزًا للفراق؛ لأنه غالبًا ما يظهر عند مغيب الشمس أو الفجر، وقد استخدم الشعراء أمثال امرئ القيس الغراب رمزًا للفقدان والألم، ورؤية الغراب في القصيدة يدلل على انتهاء الشيء الجميل ومجيء الأحزان. من أشهر الرموز التي ارتبطت بالغراب هو "غراب البين[1]"، وهو الغراب الذي يظهر عند رحيل وفراق الأحبة. وقد ارتبط الغراب بأماكن الخراب كالمقابر وغيرها. فزاد من ارتباطه بالمعاني الكئيبة. وقد اشتهر طائر الغراب بالحكمة والمعرفة، وكان طائر الغراب يُعبد في الكثير من القبائل، ويعدونه طائرًا مقدسًا. وهكذا كان الغراب في الشعر العربي القديم رمزًا معقدًا، يجمع بين الحزن والفراق وأحيانًا الحكمة، وكان مصدر إلهام للعديد من الشعراء اللذين عكست كلماتهم مشاعر مختلطة من الحياة والموت.

[1] البين: بُعْد وفُرقة.

المبحث الأول: الغراب في الشعر العالمي

طائر الغراب ظل محافظاً على نظرة الناس التشاؤمية منه، لم تتغير وجهة نظر الأدباء والشعراء من هذا الطائر على اختلاف العصور. ظل محصورًا في فكرة التشاؤم والفراق والحزن وترك الأحبة. كما كان الغراب رمزًا لفراق الأحبة عند عنترة بن شداد، كذلك استخدمه (إدغار آلان بو)[1] للتعبير عن حالة الحزن والفقد التي كان يعانيها نتيجة رحيل حبيبته. وقد تأثر الأدب الغربي بالأدب العربي؛ وذلك كان واضحًا من خلال تأثر الشعراء بصورة الغراب في الشعر العربي؛ فقد استخدمها الشعراء كما هي؛ رمزًا للفقد والحزن؛ أما هذا التأثر لدى الشعراء القدماء فكان نابعًا من ظاهرة التطير[2] التي كانت منتشرة في العصر الجاهلي، وتشاءم الناس من طائر الغراب؛ لأنه بان على نوح ﷺ؛ ولأنه علم ابن آدم كيف يواري سوءة أخيه بعد أن قام بدفنه. هذا كله دفع الشاعر الغربي إلى التأثر بطائر الغراب عند العرب، وهذا التأثر مستوحى من القرآن الكريم والأساطير القديمة.

الغراب من الطيور المجدة، دائمًا ما نراها تتحرك وتبحث عن الغذاء، وتقريبًا في كل أنحاء العالم يوجد غربان على اختلاف أنواعها، وأحجامها، وألوانها. سواد الغراب وحبه لأكل الجيف وصوته الحاد لطالما كان سببًا في نفور الناس منه وابتعادهم عنه. إن أسماء الغربان جاءت مرتبطة بصوتها وأغلب التسميات جاءت نتيجة هذا الصوت الحاد.

وقد قال الحكيم اليوناني (إيسوب (Aesop)) الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، في جزيرة (ساموس). في ذكاء طائر الغراب: عثر الغراب على جرة ماء ولم يستطع الوصول إلى الماء للشرب منها، وقام بإحضار حصى وبدأ بوضعها داخل الجرة؛ لكي يرتفع منسوب المياه ويستطيع الشرب. طائر

[1] إدغار آلان بو، الشاعر الأمريكي الذي وسمت حياته بالرهبة والمعاناة، عاش في عوالم تجمع بين الحقيقة والحلم، وبين الإبداع المدهش والغرابة التي تكسر المألوف. كانت حياته أشبه بمغامرة أدبية تبحث عن الجمال عبر "شعرية الاختلاف"، متجاوزة ما يُعرف بـ"شعرية الألفة".في أعماله، يظهر الماضي بوصفه جوهر الذاكرة التي تواجه قدرها المحتوم، حيث تتلاشى الحدود بين الموت والكلمة. هذا التلاشي يعكس هذياناً أدبيًا يحتفي بالاستعادة الحية لرموز مشعة مثل هيلانة، آني، أولالي، ولينور.بو يُعتبر من رواد الحداثة الشعرية، إذ رفض النمط السائد واتجه نحو كتابة مغايرة، خارجة عن كل ما هو مألوف، مكرّسًا بذلك فنًا أدبيًا يثير الدهشة والتأمل في آنٍ واحد.

[2] الطيرة: مصدر من تطير وهو التشاؤم، وهذه الطيرة مأخوذة أصلاً من الطير، حيث كان أهل الجاهلية يعتقدون في الطير، فكان الواحد منهم إذا أراد الزواج أو أراد التجارة أو أراد الرحلة في السفر لأمر ما كان ينظر في الطير وهو يطير، فإن ذهب الطير يميناً تيمن، وقال: هذا من البركة فرحل أو مضى على ما أراد، وإن ذهب الطير شمالاً تشاءم، وقال: هذا من الشؤم بمكان فأوقفه.

ذكي مثل الغراب لا بد من أن يكون له أبعاد أسطورية عند الغرب كما له أبعاد أسطورية عند العــرب. (ساكس، 2010م، صفحة 21)

المطلب الأوَّل: الغراب في الحضارة البابلية

ملحمة جلجامش[1] قصيدة شعرية مدونة بالخط المسماري واللغة البابلية على اثني عشر رقيمًا من الطين، (عبد الواحد، 1985م، صفحة 35) من أقدم الملاحم التاريخية، وهي تمثل الشعر الملحمــي الأصــيل، (عبد الكريم، 2016، صفحة 302) تم تدوينها في الألف الثانية قبل الميلاد، وترجمت ملحمة جلجــامش إلى نحو عشرين لغةً، (السواح، 2016م، صفحة 14) بقيت ملحمة جلجامش كاملة دون أي تحريــف أو نقص يذكر، اجمالي النقص منها كان بعضًا من السطور. وجدت لملحمة جلجامش نســخ عديــدة فــي مناطق العراق وفلسطين وتحديدًا في مجدو؛ ويعود السبب في ذلك إلى أنها ذكرت في التــوراة. رغــم تعدد النسخ إلاّ أن النسخة الأصلية أخذت من العراق من مكتبة قصر الملــك (آشــوربانيبال) (حامــد، 2019م، صفحة 224).

وتُعَدُّ ملحمة جلجامش من أهم الملاحم التي يدرسها طلاب الأدب المقارن؛ وذلــك لمقارنتهــا ومقارنــة شخصياتها مع الملاحم السابقة، والشخصيات الأسطورية للملاحم السابقة التي تشابهت شخصية أبطالهــا الأسطوريين مع شخصــية جلجــامش أمثــال: هرقــل[2]، وشمشــون[3]، والإســكندر[4]، وذي القــرنين[5] وأوديسيوس[6]. تحدثت الملحمة عن الطوفان (طوفان نوح ﷺ)، وعن ما شاهده صديق جلجامش عندما نزل إلى العالم السفلي من العذاب والضرب؛ وذلك لأنهم أساءوا التصرف في الحيــاة الــدنيا (حامــد، 2019م، صفحة 224). امتداد الأساطير هو امتداد ديني وأكثر القضايا التي تتضمنها هي قضية الخلــق

[1] جلجامش: الشخصية الرئيسة. حاكم مدينة أورك سخّر رعيته كلها في بنائها، وتحصين أسوارها من الداخل والخارج، وعدّد أسواقها، وهو مزيج من عنصر الهي (من ناحية أمه) وعنصر بشري (من ناحية أبيه). قوى البنية، جميل الطلعة. يحب المغامرة، ولا يخشى الوحوش والمصارعين. (حامد، 2019م، صفحة 221)

[2] هرقل: بطل إغريقي أسطوري اشتهر بقوته الخارقة، نفّذ 12 مهمة صعبة تُعرف بـــ "أعمال هرقل"، وهو ابن الإله زيوس.

[3] شمشون: شخصية توراتية، قاضٍ من بني إسرائيل اشتهر بقوته العظيمة المرتبطة بشعره الطويل، وقُتل في معبد الفلسطينيين بعد أن فقد قوته بخيانة دليلة.

[4] الإسكندر: الإسكندر الأكبر، ملك مقدونيا وقائد عسكري عبقري، غزا معظم العالم المعروف آنذاك (اليونان، مصر، فارس والهند) في القرن الرابع قبل الميلاد.

[5] ذو القرنين: شخصية قرآنية ورد ذكرها في سورة الكهف، يُعتقد أنه ملك صالح جاب الأرض من مشرقها إلى مغربها، وبنى سدًا لمنع يأجوج ومأجوج.

[6] أوديسيوس: بطل إغريقي، ملك إيثاكا، وقائد في حرب طروادة. عُرف بمغامراته في الأوديسة، وهي ملحمة تصف رحلته الطويلة للعودة إلى وطنه.

والموت والحياة وكيف وجد الكون وبدأت الحياة عليه، وكيف سينتهي هذا الكون وما مصـــير الكائنـــات الموجودة عليه.

ما ورد ذكره في الكتاب المقدس عن ملحمة جلجامش

يذكر الكتاب المقدس "آثار بابل" وذكر الكاهن المصري (بيروسوس) الذي روى قصة طوفان حدث فـــي عهد الملك (أكسيسوثروس)، حيث بنى الملك فلكًا لنجاة عائلته وأصدقائه. أرسل الملك طيـــورًا للتحقـــق من الأرض، وعادت بعضها بطين، بينما لم تعد الأخرى. كما يُشير النص إلى أقدم رواية عن الطوفـــان في ملحمة جلجامش، حيث سأل جلجامش (أثنافيشتيم) عن سبب حياته الأبدية، وروى له قصة الطوفـــان التي قرر فيها أربعة آلهة إهلاك العالم، لكن إله الحكمة (أيا) أمره ببناء فلك. بعد الطوفان، عاد بعـــض الطيور حاملة غصن زيتون، وقدّم (أثنافيشتيم) ذبائح شكر، فباركه إله الحكمة ومنحه وزوجتـــه الحيـــاة الخالدة. [التوراة: التكوين:6].

أهم موضوعات الملحمة

1. الصداقة (صداقة جلجامش وإنكيدو).
2. الحب (حب عشتار وجلجامش).
3. الرثاء (رثاء إنكيدو).
4. البطولة والحرب (مغامرات الصديقين جلجامش وإنكيدو).
5. مظاهر التطور في الحضارة البابلية.
6. العادات والتقاليد في بلاد الرافدين (عبد الكريم، 2016، صفحة 22).

الغراب في ملحمة جلجامش[1]

اجتمع الآلهة في مدينة (شروباك)، [2]وقرروا إغراق جميع أهل الأرض، عن طريق طوفان هائل يعمل على إغراق الأرض بالمياه؛ مما يؤدي إلى إغراق كل من عليها؛ وكان ذلك بسبب فساد الناس وعدم خضوعهم للآلهة. جاء إله طيب إلى (أوتو- نبشتم)، وطلب منه أن يبني سفينة ليصعد إليها مجموعة من الأشخاص الطيبين وبعض الحيوانات (حامد، 2019م، صفحة 227)، أخبر (أوتو- نبشتم) الناس بأنه سيبني السفينة؛ لكي ينزل إلى العالم السفلي، والذي سينجو من المخلوقات، من كانوا بداخل السفينة؛ وأما من هم خارجها سيقتلهم الطوفان، كانت السفينة ذات طول وعرض متساويين، حمل (أوتو- نبشتم) الحرفيين من بناء ونجار وغيرهم؛ لكي يستطيع المحافظة على الحياة بعد انتهاء الطوفان (السواح، 1987م، صفحة 207). وبالفعل قام بعمل السفينة بمساعدة أهل المدينة وجمع فيها الأشخاص والحيوانات مثلما طلب منه الإله. وعندما بدأ الطوفان وأغرقت الأرض، طفت السفينة التي تحمل (أوتو- نبشتم) ومن معه من الأشخاص والحيوانات، وبقيت هكذا لمدة سبعة أيام (حامد، 2019م، صفحة 227). ومن ثم هدأت مياه البحر وتوقفت العواصف، بدأ (أوتو- نبشتم) بالبكاء لهول المنظر الذي شاهده، ومن ثم استقرت السفينة على جبل نصير لمدة سبعة أيام والجبل ممسك بالسفينة ولا يتركها، ثم جاء (أوتو- نبشتم) بحمامة وأطلقها فطارت الحمامة بعيدًا ثم عادت إليه، وجاء بطائر

---

[1] قسمت ملحمة جلجامش إلى اثني عشر طورًا، تبدأ الملحمة بوصف جلجامش وهو بطل الملحمة. هو حاكم مدينة أوروك. خلق من تزاوج بين آلهة وبشر، كانت أمه من الآلهة وأبوه من البشر. اشتهر جلجامش بكونه حاكمًا ظالمًا مستبدًا، كان يستعبد كل رعيته ويعدهم من ملكه الخاص، كما لو أنه يتعامل مع قطعة قماش لديه وليس رعية. طلب جلجامش من رعيته أن يقوموا ببناء سور لمدينة أوروك لكي يقوم بحمايتها من الأعداء. لم يتحمل الرعية ظلم جلجامش، فذهبوا إلى الآلهة واشتكوا لهم ظلم جلجامش، فسمع الآلهة لهم وقرروا أن يخلقوا بشرًا منافسًا لهُ وهو إنكيدو[1]، كان يعيش في الغابات ويتصارع مع الوحوش. عندما علم جلجامش بأمره قرر أن يوقع به عن طريق إغوائه بامرأة جميلة، (حامد، 2019م، صفحة 223) وقد خضع لها وطلبت من إنكيدو أن يترك حياة الغابة ومصارعة الوحوش وأن يذهب معها إلى المدينة. التقى جلجامش وإنكيدو وتصارعا وقد انتصر جلجامش عليه، وأصبح جلجامش وإنكيدوأصدقاء، حتى أن أم جلجامش عدته ابنًا لها. قرر إنكيدو وجلجامش الذهاب إلى غابة الأرز وقتل حارسها (خمبابا)[1]، وقد تمكن الصديقان من قتله. وبعد عودتهما جلس جلجامش على عرشه، وقد أعجبت به الآلهة عشتار، ولكن جلجامش رفض الزواج منها، وغضبت عشتار لأن جلجامش رفضها فقررت أن تقتله ذهبت إلى أبويها وهما أنو وأنتم، وقد قرر والداها الانتقام لها فأعطياها الثور السماوي[1]للقضاء على جلجامش، (حامد، 2019م، صفحة 224) ولكن جلجامش وإنكيدو تمكنا من قتله. وبعد ذلك رأى إنكيدو حلمًا وعلى آثار هذا الحلم مرض مرضًا شديدًا ومات بعده، أما جلجامش فحزن حزنًا شديدًا على موته، وهنا بدأت رحلة جلجامش إلى (أوتو- بنشتم) [1]للبحث عن الخلود، حتى وصل إلى جبل (ماشو)، الذي يحرس مشرق الشمس ومغربها، ويحرسه البشر- العقارب[1]، (حامد، 2019م، صفحة 225) وعندما وصل جلجامش إلى ساحل البحر أوصته صاحبة الحانة بملاح يدعى (أور-شنابي)، عبر (أور-شنابي) [1]البحر مع جلجامش حتى وصل مياه الموت وأوصى جلجامش أن لا يلمس المياه. هنا شاهد (أوتو- نبشتم)، أعجب بجرأة جلجامش وأطلعه على سر الطوفان: (حامد، 2019م، الصفحات 226-227)

[2] مدينة جلجامش

السنونو وأطلقه، طار السنونو بعيدًا ثم عاد إليه، ومن ثم جاء بغراب وأطلقه لكن الغراب طار بعيدًا ولم يعد؛ لأنه وجد جيفة ووقف عليها للأكل منها ونسي أمر(أوتو– نبشتم) والسفينة.

وعندما لم يعد الغراب علم (أوتو– نبشتم) أن المياه قد انحسرت، فقام بتقديم قربان للآلهة وسكب خمر القربان على قمة الجبل؛ لكي تشتم الآلهة رائحة الدماء (السواح، 1987م، الصفحات 213–215).

وبعد ذلك قامت الآلهة بإعطاء (أوتو– نبشتم) وزوجته الخلود، وعلم جلجامش حينها بأنه لن يستطيع الحصول على الخلود؛ لأنه من البشر والبشر لا يموتون، أخذ جلجامش النوم وغط في سبات عميق، فقالت له زوجته: المسه ليستفيق وأجابها بأن البشر من عادتهم الخداع فاخبزي له.

فخبزت له زوجة (أوتو– نبشتم) أرغفة وفي كل يوم تضعها عند رأسه؛ لكي تعلم كم نام من الوقت، الرغيف الأول يبس والثاني... والثالث رطب والرابع أبيض والخامس بائت والسادس كان مخبوزًا لتوه وقبل الرغيف السابع لمسه (أوتو– نبشتم) فاستفاق (السواح، 1987م، الصفحات 218–219). وبعد ذلك طلب (أوتو– نبشتم) من (أور–شنابي)، أن يأخذه ليستحم ويلبس ملابس جديدة وأطلعه (أوتو– نبشتم) على سر نبته إذا أكل منها يعود لشبابه، وبينما هو عائد إلى مدينة (شروباك)، شاهد بركة ماء نزل إليها ليستحم وشمت أفعى رائحة النبتة وخطفتها منه؛ وبذلك أدرك أنه لن يعيش إلى الأبد ولن يعود إلى شبابه (السواح، 1987م، الصفحات 220–224).

ذكر طائر الغراب في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش، شكل الغراب في هذه الملحمة دور الطائر الخائن؛ فقد خان الغراب (أوتو– نبشتم)؛ والسبب كان يتمثل بأن طائر الغراب وجد جيفة وبدأ يأكل منها وترك (أوتو– نبشتم) ومن معه على السفينة وهم ينتظرونه؛ لكي يعود ويخبرهم بأن المياه انحسرت وانتهى الطوفان، أم أن المياه لا زالت موجودة.

المطلب الثَّاني: الغراب في آسيا

انتشرت عبادة الغربان في بعض المناطق من شمال آسيا الوسطى، وبعض المناطق من أمريكا الشمالية والشعوب القريبة في الشرق، وبعض من القبائل مثل قبائل السلت والنورمانديين في الغرب، وانتشرت بشكل أقل بين قبائل العبرانيين والصينيين. وقد اشتهر طائر الغراب لدى الشامان من سكان سيبيريا وسكان أمريكا الأصليين؛ بكونه إله الخلق ورمزًا للخداع؛ لذلك أصبح يمثل القداسة والدناسة في الوقت نفسه (ساكس، 2010م، صفحة 83).

في شمال شرق سيبيريا تداولت الشعوب قصة لغراب وزوجته، دارت أحداث القصة حول طلب زوجة الغراب من زوجها الغراب أن يقوم بخلق عالم؛ لكي يعيشوا بداخله، وبعدما طلبت منه ذلك خلدت إلى النوم وولدت توأمًا، كانا طفلين ولكن الغريب في ذلك أنهما خلقا دون ريش وكانا أول البشر على الأرض. ونتيجة لولادة الزوجة للطفلين شعر الغراب بنوع من التحدي فقام بخلق العالم بما فيه من وديان وجبال وأنهار ويابسة، ويروي سكان (كوكوليك) في (آيسلندا) كيف كون الغراب أرضهم من خلال دمج الماء والرمال وكيف تحولت الحصى الموجودة داخل المياه إلى بشر (ساكس، 2010م، صفحة 85).

هناك أسطورة يابانية تقول إن هناك وحشًا كبيرًا حاول أن يلتهم الشمس، فخلقت الآلهة الغراب الأول الذي قام بالطيران إلى حلق الوحش وخنقه حتى تتمكن الشمس من الهروب. وتقول الأسطورة إن طائر الغراب يحصل على الحبوب من الحقول جزاءً لما فعله. وهناك أسطورة أخرى تقول إن الغراب ساعد البطل (جيموتينو) في معرفة المكان الذي يؤسس فيه مملكته؛ وذلك بوساطة غراب أرسلته آلهة الشمس (أميراتسو)، لحق (جيموتينو) بطائر الغراب إلى (ياموتو) واستقر هناك في عام (660)ق.م ليصبح جد أباطرة اليابان (ساكس، 2010م، صفحة 86).

وهناك أسطورة صينية تتحدث عن قصة شاب تحول إلى غراب تدور أحداث الأسطورة حـــول: قصـــة شاب فقير يُدعى (يي جونغ)، الذي تحول إلى غراب بعد أن صلى في معبد (وو وانغ)، إلـــه الغربـــان الطاوي. تزوج من غراب أنثى تدعى (شوشيينغ)، لكن أثناء مغامرة قرب البشر، أصابه ســـهم جنـــدي. وجد نفسه فجأة في هيئته البشرية مصاباً في المعبد. بعد شفائه، لم ينس حياته كغراب وعاد للتعبد وتقديم الطعام للغربان. لاحقاً، اجتاز امتحاناته وقدم خروفاً كأضحية؛ مما جذب ســـرباً مـــن الطيـــور كانـــت (شوشيينغ) من بينها. أعادت له الثوب الأسود، وأخبرته أنه إذا رغب في رؤيتها فعليه ارتـــداء الثـــوب والتحليق إلى منزلها. هذه الأسطورة من المجموعة القصصية "قصص غريبة من استديو الصين" التـــي كتبت في القرن السابع عشر وتنسب إلى (باوسونغلينغ). تتحدث القصة عن شاب فقير يدعى (يي جونغ) من مقاطعة (هونان)، فشل في امتحاناته وشعر باليأس. ذهب للصلاة في (معبد وو وانغ)، إله الغربـــان الطاوي، حيث قاده خادم إلى الإله (وو وانغ). بناءً على أوامر الإله، مُنح (يـــي جونـــغ) ثوبـــاً أســـود، وعندما ارتداه تحوّل إلى غراب. تزوج من أنثى غراب تدعى (شوشيينغ)، ومعاً كانوا يلتقطون الكعـــك وبقايا اللحم (ساكس، 2010م، صفحة 88).

في الملحمة الشعرية (رامايانا)[1] يتحول (ياما) وهو إله الموت إلى شكل غراب؛ لكي يهرب من الشيطان (رافانا)، وبعدما يعود إله الموت إلى هيئته يجعل من طائر الغراب طائرًا مباركًا؛ لذلك معظم الهندوس يتركون الطعام للغربان ليرضى عليهم الإله. في الهندوسية ينسب الغراب إلى ياما إلـــه المـــوت وإلـــى فارونا ملك السماوات الحكيم (ساكس، 2010م، صفحة 89).

الغربان كانت مكروهة في آسيا كما في الثقافات السابقة، حيث ورد في الكتـــاب المقـــدس أن الغـــراب معروف بخطفه وسلبه، ويأكل كل ما يجده بما في ذلك الجيف. عندما خرج من الفلك لـــم يســـتقر فـــي

[1] رامايانا هي ملحمة شعرية هندوسية قديمة تُعد واحدة من أقدم وأهم النصوص في الأدب الهندي القديم. تُنسب إلى الحكيم فالميكي وتُكتب بالسنسكريتية. تتـــألف مـــن حوالي 24,000 بيت شعري مقسمة إلى سبعة كتب تُعرف بـــ "كانداس" (Kandas).تحكي الملحمة قصة راما، الأمير المثالي والتجسيد السابع للإله فيشنو، وزوجته سيتا. بعد نفيه من مملكته لمدة 14 عامًا، تُختطف سيتا من قبل رافانا، ملك الشياطين في لانكا (سريلانكا الحالية). يتعاون راما مع جـــيش مـــن الكائنـــات الســـماوية والقردة بقيادة هانومان لاستعادة سيتا، وينجح في النهاية في هزيمة رافانا.

حضن نوح مثل الحمامة، بل اختار الجيف. كما تم ذكر عدة طيور مكروهة في الـنص، مثـل النسـر والحدأة والغُراب، مما يعكس نظرة سلبية تجاه هذه الطيور.". [التـوراة: اللاويـين:11: الآيـات 14-19].

المطلب الثَّالث: الغراب لدى سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر)

الغراب يحتل مكانة مهمة في ثقافات العديد من شعوب الهنود الحمر في أمريكا الشمالية. يُعدّ الغـراب رمزاً للذكاء والحكمة، وغالباً ما يُصوّر ككائن خارق للطبيعة يمتلك قدرات سحرية.

يعود السبب في تشاؤم الهنود الحمر من طائر الغراب إلى لونه الأسود. لطالما رمز الأسود إلى الشـر، وطائر الغراب من أشد الطيور سوادًا؛ لذلك عدوه نذيرًا للشؤم والخراب. بالإضافة إلـى صـوت هـذا الطائر، الذي يسبب القلق والخوف لسكان هذه المناطق؛ فقد عُدَّ صوته جرسًا لإعلان الشـرور. تفـوق طائر الغراب على غيره من الطيور الأخرى بقدرته العالية على البقاء على قيد الحياة بالاعتمـاد علـى أكل الجيف، تحديدًا في المناطق الشمالية القاسية؛ حيث تكثر الثلوج فيها ويصعب وجود طعـام كـافٍ. (ساكس، 2010م، صفحة 93).

وكان سكان الساحل الشمالي (والإنويت) (الأسكيمو) وبعض من سكان (سيبريا)، يتشاركون عبادة طائر الغراب. وقد احتفظ سكان (الإنويت) (الأسكيمو) بمخالب الغراب؛ إذ كانوا يعلقونها كتميمة لمسـاعدتهم على إيجاد الطعام، وفق اعتقادهم أن طائر الغربـان سيرشـدهم لرؤيـة الطريـدة (سـاكس، 2010م، الصفحات 93-94)؛ أما فيما يتعلق بالأساطير المتعلقة بالغراب لدى (الإنويت) (الأسـكيمو)؛ أسـطورة الخلق كان هناك كائن يدعى (تولونغوساك)، وعندما نزل من السماء إلى الأرض أرشده السـنونو إلـى المكان الذي يوجد فيه مادة الطين البدائية التي خلق منها النساء والرجال والشـمس والقمـر (سـاكس، 2010م، صفحة 94).

بما يتعلق بقبيلة (هايدا) الهندية الموجودة في جزر (الملكة شارلوت)، فهم يعتقدون أن طائر الغراب هو خالق الكون وهو الذي خلق البشر من الصخور وأوراق النباتات، بالنسبة للبشر المخلوقين من طين لم يستطيعوا التحرك، والمخلوقين من النباتات تحركوا، وقد قال الغراب الأعظم للبشر: إنكم ستتلاشون مثل هذا الورق الذي خلقتم منه. وقد كان لهذا الغراب أختٌ ولم يشأ هذا الغراب لها أن تلد ذكورًا فلم تلد سوى الإناث، ولكنها قامت بابتلاع حجرٍ ملتهبٍ أصبحت بواسطته حاملًا بذكر كان يحمل صفة الخلود، وقد قام الغراب الأعظم بتسليمه الحكم (ساكس، 2010م، صفحة 94).

وفي أسطورة أخرى تحدثت عنها هنود (أثاباسكان)، يقال إن هذه الأسطورة تتشابه مع أسطورة قابيل وهابيل ولكن هذه الأسطورة تأثرت بالمسيحية أكثر من غيرها من الديانات وقد تحدثت عن غرابين أحدهما أسود والآخر أبيض، الأبيض خلق الكون والأسود أعمته الغيرة فقتل أخاه (ساكس، 2010م، صفحة 95).

وفق ما ذكر هنود (تسيمشان) وهم من قبائل الساحل الشمالي الغربي، عن طائر الغراب أنه قام بسرقة نور الأرض؛ فقد قام الغراب بنشر الفواكه والسمك على طول العالم، ولكنه خاف من اختفاء الطعام، فطار الغراب من خلال فتحة في السماء؛ حيث عثر على عالم مطابق لعالمنا، وجاءت ابنة زعيم قد اختبأ على شكل ورقة أرز بداخله ودخل إلى بطنها فحملت وولدت الغراب على شكل طفل صغير، سمحت له أمه باللعب بصندوق الضوء وقد لاذ بالفرار وكسر الصندوق فعاد إلى هيئته ونشر ضوء الشمس والقمر في العالم. (ساكس، 2010م، الصفحات 95-96)

رمز الغراب لدى الهنود الحمر إلى النور والظلام، وقد كانوا يضعونه على شكل رسومات على ملابسهم، وكانوا يضعونه داخل حلقة ويقومون بالرقص من حوله وهذه الرقصة تعرف باسم ديانة رقص الأشباح وهي ترمز إلى عودة قوم بدائيين إلى تقاليد قديمة شبه منسية، وقد قدس الهنود الحمر طائر الغراب وتحديدًا الذين عبروا مضيق (بيرينغ) إلى العالم الجديد (ساكس، 2010م، الصفحات 99-

100)؛ إذ إن قادة رقصة الأشباح كانوا يرتدون ريش النسر أحياناً، لكن غالبًا كانوا يرتــدون "واكونــا" المصنوع من ريشتي غراب متباعدتين. يضع الراقصون الريش الملون على رؤوسهم قبــل الطقــوس؛ حيث يمثل هذا الريش الأجنحة الملائكية التي تمكنهم من الصعود إلى الجنة. (ساكس، 2010م، صــفحة 100)

ومن الأغاني التي كانوا يُغنونها في رقصة الأشباح وتتعلق بالغراب:

وتقول الأغنية:

"أبانا، الزوبعة

أبانا، الزوبعة

يرتدي الآن عصابة رأس من ريش الغراب

يرتدي الآن عصابة رأس من ريش الغراب" (ساكس، 2010م، الصفحات 100–101)

في رقصة الأشباح، كانت الأغاني العفوية تمجد الغراب كرمز للأرواح والأجداد الراحلين؛ حيث اعتقــد الراقصون أنهم يتلقون رؤى من خلال نشوتهم.

إحدى الأغاني المشهورة تحدثت عن الغراب الذي يأتي ليأخذ الراقص إلى أقاربه الراحلين.

"الغراب يدور فوقي

الغراب يدور فوقي

الغراب قادم من أجلي

الغراب قادم من أجلي" (ساكس، 2010م، صفحة 101).

الرقصات والطقوس المرتبطة بالغراب ما زالــت ذات أهميــة لــدى هنــود جريــت بلاينــز، وتــتم ضمن جمعيات طقسية. مثلاً، لدى هنود الباوني جمعية رمح الغراب، التي أسسها كشاف أحيته الغربان

وقادته إلى كهف حيث رقص لثلاث ليال، ومنح رمحًا مغطى بريش الغربان يحقق النجاح في الصيد والحرب.

أما هنود الهوبي في الجنوب الغربي لأمريكا، الذين يعتمدون على الزراعة، فيعدُّون الغراب حشرة ضارة ولكنهم يكنون له احترامًا بنقمة (ساكس، 2010م، صفحة ص101). ومن قصص هنود الهوبي حول الغراب:

تحكي قصة هنود الهوبي عن غراب دعا صديقه الصقر إلى العشاء وقدم له أفعى ثور متفسخة. تظاهر الصقر بالأكل وأثنى على الغراب لكنه خطط للانتقام. بعد فترة، دعا الصقر الغراب إلى العشاء وقدم له طعامًا عفنًا من جلد وأحشاء الأرانب. بدلاً من الاشمئزاز، أكل الغراب الطعام بنهم؛ مما أدهش الصقر أكثر. (ساكس، 2010م، صفحة 102) كما أن الغراب يُعدُّ رمزًا للتربية لدى هنود الهوبي؛ حيث يُعرف الغراب الأم كجدة لكل الكاتشينا وتعيش في عالم الأرواح. تنمو أجنحة غراب من رأسها وتحمل وعاء ماء، وتشرف على شعائر انتقال الشباب إلى مرحلة الرشد. لدى بعض هنود الشمال الشرقي مثل لينياب في نيويورك، توجد أساطير تقول إن الغراب كان أول من أحضر حبوب القمح للبشر. (ساكس، 2010م، صفحة ص102) وفقًا لأسطورة هنود لينياب في بنسلفانيا، كان الغراب يتمتع بريش ملون وصوت رخيم. عندما غطى الثلج العالم لأول مرة، أُرسل الغراب مبعوثًا إلى الخالق الذي كان مشغولًا، فاجتذب انتباهه بأغنية جميلة. أعطى الخالق الغراب شعلة من الشمس لإنقاذ الحيوانات من البرد. ولكن، احترق ريش الغراب وأصبح أسود وصوته أجش بسبب حمله الشعلة. تقديرًا لبطولته، استمر الغراب في تحذير الحيوانات من الخطر، ولا تزال ألوان قوس قزح تظهر في ريشه عند النظر بدقة. (ساكس، 2010م، الصفحات 103-104)

وهكذا الغراب له مكانة مميزة في ثقافات الهنود الحمر، ويظهر في العديد من الأساطير والطقوس:

1. رمز للروحانية والتحول: في رقصة الأشباح، يُعتقد أن الريش الملون يمثل الأجنحة الملائكية التي تساعد الراقصين على الصعود إلى الجنة.
2. وسيط بين العالمين: لدى هنود الباوني، أسس كشاف جمعية رمح الغراب بعدما أحيته الغربان وقادته إلى كهف؛ مما منحه رمحًا يجلب النجاح في الصيد والحرب.
3. رمز للتربية والحماية: لدى هنود الهوبي، تُعرف الغراب الأم كجدة لجميع الكاتشينا، تشرف على انتقال الشباب إلى مرحلة الرشد وتحمل وعاء الماء، رمز الحياة.
4. جالب القمح: أساطير هنود لينياب في نيويورك تقول إن الغراب كان أول من أحضر حبوب القمح للبشر.
5. بطل التضحية: في أسطورة هنود لينياب في بنسلفانيا، أحضر الغراب شعلة من الشمس لإنقاذ الحيوانات من البرد؛ مما جعله يفقد ألوان ريشه الرائعة وصوته الرخيم.

الغراب يُعدُّ شخصية متعددة الأدوار، تجمع بين الرمزية الروحية والبطولية في ثقافات الهنود الحمر.

المطلب الرابَّع: الغراب في الكتاب المقدس

حسب ما جاء في الكتاب المقدس إن الفساد قد توغل في الجنس البشري، وفسدت النفس الداخلية للبشر؛ لذلك كانت الأرض بحاجة إلى طوفان يعمل على تجديد الأرض ومحو الفساد فيها.

1. فلك نوح

كما ورد في الكتاب المقدس حول فلك نوح:"1وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، 2 أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. 3 فَقَالَ الرَّبُّ: "لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». 4 كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ

أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. 5وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. 6 فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. 7 فَقَالَ الرَّبُّ: "أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ؛ لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». 8 وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. 9 هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ. 10 وَوَلَدَ نُوحٌ ثَلاَثَةَ بَنِينَ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ.11 وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. 12 وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ. 13 فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: "نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي؛ لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. 14 اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. 15 وَهكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ، وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ. 16 وَتَصْنَعُ كَوًّا لِلْفُلْكِ، وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ. وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً تَجْعَلُهُ. 17 فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوتُ. 18 وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. 19 وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ لاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. 20 مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. اثْنَيْنِ مِنْ كُلّ تُدْخِلُ إِلَيْكَ لاسْتِبْقَائِهَا. 21 وَأَنْتَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ وَاجْمَعْهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَامًا». 22 فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هكَذَا فَعَلَ" [التوراة:التكوين:الإصحاح6: الآيات 1–22].

2. الطوفان

طوفان نوح: " 1وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: "ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ؛ لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ. 2 مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى. 3 وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْلٍ عَلَى وَجْهِ كُلِّ

الأَرْضِ. 4 لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ». 5 فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ. 6 وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ، 7 فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. 8 وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: 9 دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللهُ نُوحًا. 10 وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ. 11 فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. 12 وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. 13 فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلْكِ. 14 هُمْ وَكُلُّ الْوُحُوشِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عُصْفُورٍ، كُلُّ ذِي جَنَاحٍ. 15 وَدَخَلَتْ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ. 16 وَالدَّاخِلاَتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. وَأَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ. 17 وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ. 18 وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. 19 وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. 20 خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ. 21 فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ. 22 كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. 23 فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ. 24 وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا" [التوراة:التكوين:الإصحاح7: الآيات 1-24].

3. خلاص نوح بالفلك

خلاص نوح: "1 ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. 2 وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. 3 وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ، 4 وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ. 5 وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصًا مُتَوَالِيًا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ. 6 وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا، 7 وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. 8 ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، 9 فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ؛ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. 10 فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، 11 فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. 12 فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا. 13 وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأَرْضِ. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأَرْضِ قَدْ نَشِفَ. 14 وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأَرْضُ. 15 وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائِلًا: 16 "اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. 17 وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطُّيُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَكُلَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأَرْضِ وَتُثْمِرْ وَتَكْثُرْ عَلَى الأَرْضِ». 18 فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ. 19 وَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ، كُلُّ الدَّبَّابَاتِ، وَكُلُّ الطُّيُورِ، كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ. 20 وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، 21 فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: "لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ؛ لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. 22 مُدَّةَ

كُلِّ أَيَّـامِ الأَرْضِ: زَرْعٌ وَحَصَـادٌ، وَبَـرْدٌ وَحَـرٌّ، وَصَـيْفٌ وَشِـتَاءٌ، وَنَهَـارٌ وَلَيْـلٌ، لاَ تَـزَالُ». "[التوراة:التكوين:الإصحاح8: الآيات 1–22].

شعب الله المختار

يرى اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن الله اصطفاهم واختارهم بأن يكونوا خلفاء الله في الأرض، فـي تفسير هذه الآيات وفق الكتاب المقدس أن الله سيعاقب أعداء شعب الله. وقد ذكر فـي التـوراة الآيـات التالية التي تتحدث عن سخط الله على كل الأمم ولا سيما أدوم فهم كانوا ينهبون ويسلبون من يهوذا في محنتهم حينما يهاجمهم عدو بالاتفاق مع هذا العدو [التوراة: إشعياء:34].

"1اِقْتَرِبُوا أَيُّهَا الأُمَمُ لِتَسْمَعُوا، وَأَيُّهَا الشُّـعُوبُ اصْـغَوْا. لِتَسْـمَعِ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَـا. الْمَسْـكُونَةُ وَكُـلُّ نَتَائِجِهَا.2لأَنَّ لِلرَّبِّ سَخَطًا عَلَى كُلِّ الأُمَمِ، وَحُمُوًّا عَلَى كُلِّ جَيْشِهِمْ.3 قَدْ حَرَّمَهُمْ، دَفَعَهُمْ إِلَـى الـذَّبْحِ.4 فَقَتْلاَهُمْ تُطْرَحُ، وَجِيَفُهُمْ تَصْعَدُ نَتَانَتُهَا، وَتَسِيلُ الْجِبَالُ بِدِمَائِهِمْ. "وَيَفْنَى كُـلُّ جُنْـدِ السَّـمَاوَاتِ، وَتَلْتَـفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ، وَكُلُّ جُنْدِهَا يَنْتَثِرُ كَانْتِثَارِ الْوَرَقِ مِنَ الْكَرْمَةِ وَالسُّقَاطِ مِنَ التِّينَةِ.5؛لأَنَّهُ قَـدْ رَوِيَ فِـي السَّمَاوَاتِ سَيْفِي. هُوَذَا عَلَى أَدُومَ يَنْزِلُ، وَعَلَى شَعْبٍ حَرَّمْتُهُ لِلدَّيْنُونَةِ.6 لِلرَّبِّ سَيْفٌ قَدِ امْتَلأَ دَمًا، اطَّلَـى بِشَحْمٍ، بِدَمِ خِرَافٍ وَتُيُوسٍ، بِشَحْمِ كُلَى كِبَاشٍ؛ لأَنَّ لِلرَّبِّ ذَبِيحَةً فِي بُصْرَةَ وَذَبْحًـا عَظِيمًـا فِـي أَرْضِ أَدُومَ.7 وَيَسْقُطُ الْبَقَرُ الْوَحْشِيُّ مَعَهَا وَالْعُجُولُ مَعَ الثِّيرَانِ، وَتَرْوَى أَرْضُهُمْ مِنَ الدَّمِ، وَتُرَابُهُمْ مِنَ الشَّـحْمِ يُسَمَّنُ.8 لأَنَّ لِلرَّبِّ يَوْمَ انْتِقَامٍ، سَنَةَ جَزَاءٍ مِنْ أَجْلِ دَعْوَى صِهْيَوْنَ. 9 وَتَتَحَوَّلُ أَنْهَارُهَا زِفْتًـا، وَتُرَابُهَـا كِبْرِيتًا، وَتَصِيرُ أَرْضُهَا زِفْتًا مُشْتَعِلًا. 10 لَيْلًا وَنَهَارًا لاَ تَنْطَفِئُ.11إِلَى الأَبَدِ يَصْعَدُ دُخَانُهَا. مِنْ دَوْرٍ إِلَـى دَوْرٍ تُخْرَبُ.12 إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ لاَ يَكُونُ مَنْ يَجْتَازُ فِيهَا. وَيَرِثُهَا الْقُوقُ وَالْقُنْفُـذُ، وَالْكَرْكِـيُّ وَالْغُـرَابُ يَسْكُنَانِ فِيهَا، وَيُمَدُّ عَلَيْهَا خَيْطُ الْخَرَابِ وَمِطْمَارُ الْخَلاَءِ. أَشْرَافُهَا لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَدْعُونَهُ لِلْمُلْـكِ، وَكُـلُّ رُؤَسَائِهَا يَكُونُونَ عَدَمًا. 13وَيَطْلَعُ فِي قُصُورِهَا الشَّوْكُ. 14 الْقَرِيصُ وَالْعَوْسَجُ فِي حُصُونِهَا.15 فَتَكُـونُ مَسْكِنًا لِلذِّئَابِ وَدَارًا لِبَنَاتِ النَّعَامِ. وَتُلاَقِي وُحُوشُ الْقَفْرِ بَنَاتِ آوَى، وَمَعْزُ الْوَحْشِ يَدْعُو صَاحِبَهُ. هُنَـاكَ

يَسْتَقِرُّ اللَّيْلُ وَيَجِدُ لِنَفْسِهِ مَحَلًّا. هُنَاكَ تُحْجِرُ النَّكَّازَةُ وَتَبِيضُ وَتُفْرِخُ وَتُرَبِّي تَحْتَ ظِلِّهَا. وَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ الشَّوَاهِينُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. 16فَتِّشُوا فِي سِفْرِ الرَّبِّ وَاقْرَأُوا. 17وَاحِدَةٌ مِنْ هذِهِ لاَ تُفْقَدُ. لاَ يُغَادِرُ شَيْءٌ صَاحِبَهُ؛ لأَنَّ فَمَهُ هُوَ قَدْ أَمَرَ، وَرُوحَهُ هُوَ جَمَعَهَا. وَهُوَ قَدْ أَلْقَى لَهَا قُرْعَةً، وَيَدُهُ قَسَمَتْهَا لَهَا بِالْخَيْطِ. إِلَى الأَبَدِ تَرِثُهَا. إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ تَسْكُنُ فِيهَا" [التوراة: إشعياء:34: الآيات 1-17].

الغراب ونبي الله إيليا

أرسل الله نبي الله إيليا، إلى أخاب وإيزابل وقد كثرت الخطيئة في ذلك الوقت، وقد كان أخاب وإيزابل يقتلون أنبياء الله، وقد صلى إيليا لوقف المطر وقد كانت هذه معجزة للنبي إيليا، وقد استجاب الله للنبي إيليا وأوقف المطر وكان المطر لا ينزل إلا إذا قال له النبي إيليا بأن ينزل وقد كان كلام النبي إيليا مع الله أمام الجميع؛ ولذلك حاول أخاب وإيزابل قتل نبي الله إيليا. وقد ورد ذلك في الآيات الآتية:

آية 1:- "وَقَالَ إِيلِيَّا التِّشْبِيُّ مِنْ مُسْتَوْطِنِي جِلْعَادَ لأَخْآبَ: "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي».[التوراة: الملوك:17: الآية 1].

الآيتان 2، 3:- "وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ لَهُ قَائِلًا: "انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَاخْتَبِئْ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الأُرْدُنِّ،"[التوراة: الملوك:17: الآيتان 2-3].

الآيات 4-7:- "فَتَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ الْغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ». فَانْطَلَقَ وَعَمِلَ حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ، وَذَهَبَ فَأَقَامَ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الأُرْدُنِّ. وَكَانَتِ الْغِرْبَانُ تَأْتِي إِلَيْهِ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ صَبَاحًا، وَبِخُبْزٍ وَلَحْمٍ مَسَاءً، وَكَانَ يَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ. وَكَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ النَّهْرَ يَبِسَ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَطَرٌ فِي الأَرْضِ." [التوراة: الملوك:17: الآيات 4-7].

الآيتان 8، 9:- "وَكَانَ لَهُ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلًا: "قُمِ اذْهَبْ إِلَى صِرْفَةَ الَّتِي لِصِيدُونَ وَأَقِمْ هُنَاكَ. هُوَذَا قَدْ أَمَرْتُ هُنَاكَ امْرَأَةً أَرْمَلَةً أَنْ تَعُولَكَ» [التوراة: الملوك:17: الآيتان 8-9].

الآيات 10–16:– "فَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى صِرْفَةَ. وَجَاءَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، وَإِذَا بِامْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ هُنَاكَ تَقُشُّ عِيدَانًا، فَنَادَاهَا وَقَالَ: "هَاتِي لِي قَلِيلَ مَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَأَشْرَبَ». وَفِيمَا هِيَ ذَاهِبَةٌ لِتَأْتِيَ بِهِ، نَادَاهَا وَقَالَ: "هَاتِي لِي كِسْرَةَ خُبْزٍ فِي يَدِكِ». فَقَالَتْ: "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُكَ، إِنَّهُ لَيْسَتْ عِنْدِي كَعْكَةٌ، وَلكِنْ مِلْءُ كَفّ مِنَ الدَّقِيقِ فِي الْكُوَّارِ، وَقَلِيلٌ مِنَ الزَّيْتِ فِي الْكُوزِ، وَهأَنَذَا أَقُشُّ عُودَيْنِ لآتِيَ وَأَعْمَلَهُ لِي وَلابْنِي لِنَأْكُلَهُ ثُمَّ نَمُوتُ». فَقَالَ لَهَا إِيلِيَّا: "لاَ تَخَافِي. ادْخُلِي وَاعْمَلِي كَقَوْلِكِ، وَلكِنِ اعْمَلِي لِي مِنْهَا كَعْكَةً صَغِيرَةً أَوَّلًا وَاخْرُجِي بِهَا إِلَيَّ، ثُمَّ اعْمَلِي لَكِ وَلابْنِكِ أَخِيرًا؛ لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: إِنَّ كُوَّارَ الدَّقِيقِ لاَ يَفْرُغُ، وَكُوزَ الزَّيْتِ لاَ يَنْقُصُ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُعْطِي الرَّبُّ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ». فَذَهَبَتْ وَفَعَلَتْ حَسَبَ قَوْلِ إِيلِيَّا، وَأَكَلَتْ هِيَ وَهُوَ وَبَيْتُهَا أَيَّامًا. كُوَّارُ الدَّقِيقِ لَمْ يَفْرُغْ، وَكُوزُ الزَّيْتِ لَمْ يَنْقُصْ، حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ إِيلِيَّا" [التوراة: الملوك:17: الآيات 10–16].

الآيات 17–24:– "وَبَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ مَرِضَ ابْنُ الْمَرْأَةِ صَاحِبَةِ الْبَيْتِ وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ جِدًّا حَتَّى لَمْ تَبْقَ فِيهِ نَسَمَةٌ. فَقَالَتْ لإِيلِيَّا: "مَا لِي وَلَكَ يَا رَجُلَ اللهِ! هَلْ جِئْتَ إِلَيَّ لِتَذْكِيرِ إِثْمِي وَإِمَاتَةِ ابْنِي؟». فَقَالَ لَهَا: "أَعْطِينِي ابْنَكِ». وَأَخَذَهُ مِنْ حِضْنِهَا وَصَعِدَ بِهِ إِلَى الْعُلِّيَّةِ الَّتِي كَانَ مُقِيمًا بِهَا، وَأَضْجَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: "أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَأَيْضًا إِلَى الأَرْمَلَةِ الَّتِي أَنَا نَازِلٌ عِنْدَهَا قَدْ أَسَأْتَ بِإِمَاتَتِكَ ابْنَهَا؟» فَتَمَدَّدَ عَلَى الْوَلَدِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: "يَا رَبُّ إِلهِي، لِتَرْجِعْ نَفْسُ هذَا الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ». فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ. فَأَخَذَ إِيلِيَّا الْوَلَدَ وَنَزَلَ بِهِ مِنَ الْعُلِّيَّةِ إِلَى الْبَيْتِ وَدَفَعَهُ لأُمِّهِ، وَقَالَ إِيلِيَّا: "انْظُرِي، ابْنُكِ حَيٌّ» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لإِيلِيَّا: "هذَا الْوَقْتَ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلُ اللهِ، وَأَنَّ كَلاَمَ الرَّبِّ فِي فَمِكَ حَقٌّ»" [التوراة: الملوك:17: الآيات 17–24].

الغراب والملك سليمان[1]

وقد ذكر الغراب في "نشيد الأناشيد"، الذي هو جزء من العهد القديم في الكتاب المقدس، ويُعرف أيضًا باسم "نشيد الأنشاد" أو "نشيد سليمان".

[1] اسم عبري معناه "رجل سلام" وهو ابن الملك داود الذي خلفه على عرش بني إسرائيل، فكان أعظم ملك، وقد ملك أربعين سنة.

يتحدث "نشيد الأناشيد" عن الحب بين رجل وامرأة، ويصف على نحوٍ جميل وعاطفي العلاقة الحميمة بينهما. يستخدم النشيد لغة شاعرية ملحمية وصورًا رومانسية ليصف المشاعر العميقة للحب والشوق والغرام. كما يُعدُّ تعبيرًا عن العلاقة الروحية بين الله وشعبه؛ حيث يتم استخدام العلاقة بين العاشقين رمزًا للعلاقة بين الله وشعبه [التوراة: نشيد الأنشاد:5].

وقد ورد في ذلك: "رَأْسُهُ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ. قُصَصُهُ مُسْتَرْسِلَةٌ حَالِكَةٌ كَالْغُرَابِ" [التوراة: نشيد الأنشاد:5: الآية 11].

هنا مسترسلة وحالكة تدل على تدفق الأحداث على نحوٍ سريع؛ أما الغراب فقد استخدم للدلالة على سواد شعر الملك سليمان، وهذا السواد يرمز إلى الظلام، وقد يرمز إلى جمال سواد شعر الملك الذي يشبه ظلمة وسواد الليل؛ مما يعني أن القصص تتدفق بسرعة على نحوٍ متواصل ومتكرر، وتميل إلى أن تكون مظلمة بعض الشيء مثلما يُعدُّ الغراب رمزًا للظلام والغموض في الأدب والثقافة.

الغراب في التوراة يرمز إلى الخطيئة؛ وذلك لأنه أكل من الجيف التي أغرقها الرب، وهؤلاء كانوا من المفسدين في الأرض؛ لذلك أغرقهم الرب؛ وبهذا عُدَّ طائر الغراب رمزًا للخطيئة. وفي اعتقادهم أن الحمامة ترمز إلى الفضيلة والسلام؛ أما الغراب فقد رمز إلى الخطيئة؛ وبهذا أصبح طائرًا مكروهًا في معتقداتهم وديانتهم.

وقد رمز أيضًا إلى الخراب، الذي سيحل بالشعوب التي عادت شعب الله المختار؛ فالله سيمحق هذه الأمم ويجعل بيوتهم تسكنها الغربان رمزًا للخراب لهذه الشعوب، والبقاء والتمكين لليهود في الأرض.

أما الغربان التي ساعدت النبي إيليا؛ فقد كانت رمزًا للخير؛ وذلك لأن الغراب هنا جاء مختلفًا عن طبيعته لطالما كان رمزًا للشر. ولكن هنا رمز للخير، وهذا جاء ليبين قدرة الله على تحويل السيء إلى جيد، فالغراب من المفروض أن يقوم بأكل الطعام إلّا أنه لم يأكله ولم يطعم صغاره، بل كان يحضره إلى نبي الله إيليا في الوقت المحدد لهُ صباحًا ومساءً.

وغراب الملك سليمان رمز تارةً إلى جمال سواد شعره الذي يشبه الليل الحالك في ظلمته، وتارةً أخرى إلى الظلام لعدم وضوح الأحداث وسرعتها.

عناية الخالق: رزق الله للحيوانات في الطبيعة كما جاء في الكتاب المقدس

مما ورد ذكره في التوراة: "ويقول الرب يسوع المسيح: "تَأَمَّلُوا الْغِرْبَانَ: أَنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ، وَلَيْسَ لَهَا مَخْدَعٌ وَلاَ مَخْزَنٌ، وَاللهُ يُقِيتُهَا. كَمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيُورِ!" [إنجيل: لوقا:12: الآية 24].

"مَنْ يُهَيِّئُ لِلْغُرَابِ صَيْدَهُ، إِذْ تَتْعَبُ فِرَاخُهُ إِلَى اللهِ، وَتَتَرَدَّدُ لِعَدَمِ الْقُوتِ؟" [التوراة: سفر أيوب:38:الآية 41].

"الْمُعْطِي لِلْبَهَائِمِ طَعَامَهَا، لِفِرَاخِ الْغِرْبَانِ الَّتِي تَصْرُخُ."[التوراة: سفر المزامير:147: الآية 9].

ذكرت هذه الآيات للدلالة على أن الله يبسط الرزق لمن يشاء، وأن الله يرزق البشر والحيوانات على حد سواء.

كما ورد ذكره في القرآن الكريم: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود:6].

المطلب الخامس: الغراب عند اليونانيين والرومانيين

في الثقافة اليونانية القديمة، كان الغراب يحظى بأهمية كبيرة كمصدر للإلهام والرمزية. كان اليونانيون القدماء يرون في الغراب رمزًا للحكمة والذكاء، وكان يُعتقد أنه يحمل قدرات تنبؤية. تجلى هذا في العديد من الأساطير والقصص اليونانية؛ إذ كان الغراب يظهر كشخصية مهمة ترتبط بالآلهة والبشر على حد سواء.

بالإضافة إلى ذلك، كان للغراب دور في الفنون والأدب اليوناني؛ إذ كان يُصوّر في الفسيفساء والرسومات ويُذكر في النصوص الأدبية كرمز للحكمة والتبصر.

تشاءم اليونانيون من طائر الغراب وذلك؛ لأنه كان دائمًا بعد انتهاء المعارك يهجم على جثث العساكر ويقوم بأكلها. وقد مثلت الغرابيات الحيوانات العصية وفق الفكر اليوناني؛ وذلك لأنها لا تخضع لسيطرة البشر (ساكس، 2010م، صفحة 40)، وقد استخدم قارون الفرعوني طائر الغراب لإيصال الرسائل إلى أي وجهة يريد وفق ما ذكر أيليان الكاتب الروماني (ساكس، 2010م، صفحة 41).

من القصص التي تحدثت عن طائر الغراب قصة لغراب صغير طلب من أمه أن تدعو وتصلي للآلهة لشفائه، ولكنها قالت له إنَّ الآلهة لن تقبل بهذا؛ والسبب في ذلك أنه كان يسرق القرابين التي كانت تقدم للآلهة (ايسوب، 1998م، صفحة 37).

وفقًا لما ذكره أبولو تُعدُّ الغربان في مصر رمزًا مهمًّا؛ فقد مثلت الحب المخلص؛ وذلك لأن طائر الغراب يكتفي بزوجة واحدة طوال حياته. وقد استخدم الفنانون المصريون الغراب رمزًا للآلهة آريس (إله الحرب)، والآلهة أفروديت (آلهة الحب)؛ وذلك من خلال رسم غرابين؛ أما السبب في ذلك فيعود إلى أن طائر الغراب يضع بيضتين يفقس منهما ذكر وأنثى يعيشان معًا طيلة حياتهما ولا يفترقان؛ أما إذا جاء ذكران (ساكس، 2010م، صفحة 41) أو أنثيان فيحكم عليهما بعدم الزواج والعزوبية طيلة حياتهما وهذا يعد نذير شؤم؛ أما الغربان الصغيرة وفق اعتقادهم فترمز إلى القلق؛ وذلك لأن الأم تعتني بصغارها حتى تتمكن الغربان الصغيرة من الطيران. (ساكس، 2010م، صفحة 42).

الغراب وأبولو (فيبوس)

الأساطير الإغريقية مليئة بالقصص المثيرة التي تروي حكايات الآلهة والبشر على حد سواء، ومن بين هذه القصص تبرز أسطورة أبولو وطائر الغراب، والتي تعكس القوة والفطرة الإلهية بجانب تأثير الخطيئة والعقاب. تتناول هذه الأسطورة قصة حب محرمة والعواقب القاسية التي نتجت عنها.

تدور الأسطورة حول إله الشمس فيبوس، كان فيبوس شابًا أعزبًا جميلًا وكثير المرح والعنفوان، وقد كان فيبوس من أمهر الرماة بالقوس. باستخدام مهارته في الرماية تمكن من قتل الأفعى "فيتون" عندما كانت نائمة في ضوء الشمس.

وقد كان فيبوس بارعًا بالعزف على آلات موسيقية مختلفة أيضًا، بالإضافة إلى الغناء؛ فقد كان صوته جميلًا يطرب له كل من يستمع له. حتى إنَّ ملك طيبة الذي شيد مدينته بسحر إنشاده لم يستطع التفوق على فيبوس، وقد كان شديد الوسامة وكامل الخلق ومهذب وكان كريمًا، وكان دائمًا ما يحمل سيفه ابتهاجًا لما فعله بالأفعى " فيتون". هذا فيبوس؛ أما بالنسبة لعلاقته مع طائر الغراب فقد كان لدى فيبوس غراب داخل منزله، يربيه في قفص وقد تمكن من تعليمه الكلام، كان الغراب جميلًا وله ريش أبيض ينافس البجعة في جماله وبياض الثلج في لونه ويجيد تقليد كلام الإنسان (تشوسر، 1983م، صفحة 479).

كان لفيبوس زوجة تدعى كورونيس في بيته يحبها حبًّا شديدًا ويغار عليها؛ لذلك يحتجزها في منزله ويمنعها من الخروج إلى الخارج، وقد وضع زوجته تحت المراقبة لشدة غيرته عليها، وقد عمل الكثير لها لإسعادها وإرضائها لكن زوجته لم تستحق ما فعله فيبوس لها؛ فقد أقدمت على خيانته، كان هناك طائر غراب يسكن بالقرب من مسكن كورونيس، وكان يراقبها بانتباه شديد. وعلى الرغم من تحذيراته، انخرطت كورونيس في علاقة محرمة مع رجل آخر.

عندما اكتشف الغراب الخيانة، لم يتردد في إخبار فيبوس بما رأى. غضبًا من خيانة حبيبته، أرسل فيبوس سهمه الذهبي القاتل نحو كورونيس. وبينما كانت تلقي بجنينها من رجل آخر، أصابها السهم القاتل وأرداها قتيلة. وبينما كانت كورونيس تلفظ أنفاسها الأخيرة، أبولو شعر بالندم العميق والحزن على ما فعله. ومن ثم، قرر أن يحمّل الغراب مسؤولية موت حبيبته. فقام بتحويل لون ريشه من الأبيض إلى الأسود، كنوع من العقاب الأبدي له على خيانته وكشفه للحقيقة (تشوسر، 1983م،

الصفحات 481–482). "وأجاب الغداف على الغراب قائلاً: (لن تنجح محاولاتك في إثنائي عن القيام بواجبي، وإنني لأسخر بكل نبوءاتك العقيمة. وواصل رحلته قاصداً مولاه فويبوس، فلما جاءه أبلغه نبأ رؤيته كورونيس تضاجع شاباً من ثيساليا.

عندما اكتشف عاشق كورونيس خيانتها، شعر بالغضب الشديد وأطلق سهماً أصابها في صدرها. تألمت كورونيس وسقطت دماؤها، قبل أن تسأل لماذا لم ينتقم منها بعد أن تضع حملها، مما جعل العاشق يشعر بالندم العميق. أدرك أنه استمع للوشايات وترك الغضب يسيطر عليه، وندم على فعله، لكنه كان قد فات الأوان لإنقاذها. حاول ضم جسدها، لكن محاولته كانت بلا جدوى.

عندما رأى المحرقة تشتعل وفشل في إنقاذها، شعر بالألم دون أن تدمع عيناه، مثل البقرة التي ترى ساطور القصاب. صب العطور الجنائزية على كورونيس واحتضنها للمرة الأخيرة، ثم انتزع ابنه من النيران وحمله إلى كهف القنطور خيرون. وفي النهاية، انتظر جزاءه على إخلاصه، لكن فويبوس قرر إقصاءه من بين الطيور البيضاء" (فوزس، 1992م، صفحة 64).

وبعد ذلك؛ "فلما دعت زوجة فيبوس خليلها الى جانبها قام الاثنان بكل ما تشتهى نفساهما من فسق عاهر؛ أما الغراب الأبيض الذي كان أسير القفص المعلق فشاهد كل ما ارتكباه من إثم، ولكنه لم ينبس ببنت شفة. ولما عاد السيد فيبوس إلى بيته انتفض الغراب وصاح " كوكوكوكوكوكو !، فسأله فيبوس مستغربا: " ما هذا أيها الطائر؟ ما هذا النشيد الذي تنشده؟ ألم تكن قد عودتني أن تغنى غناء مرحا تثلج به صدري، وتسعدني بسماع صوتك؟ ويلك ! ما هذا النشيد الحزين؟ ».

فقال له الطائر: "أقسم بالله يا فيبوس أن غنائي مناسب للمقام؛ إذ إن كل عظمتك وجمالك وكرم أخلاقك وكل قدرتك على الإنشاد وعلى العزف الرقيق وكل خدمة المحب للحبيب، أقول كل ذلك لم يحل دون انخداعك بامرأة حقيرة السمعة، ليست أهلا لك، إذا قارنا كما بأهلية الناموسة، وذلك ما أقوله قسما بالنعمة! لقد رأيته يضاجع زوجتك في فراشك" (تشوسر، 1983م، صفحة 481).

ومن "ثم التفت للغراب وقال له: أيها الخائن يا من لسانك مثل لسان العقرب، لقد دفعتني إلى تكبتي وبوارى. يا ويحي... ليتنى لم أولد! لماذا لم أهلك؟ يا زوجتي العزيزة! يادرة بهجتي! يا من كنت حبى الجاد والمخلص، ها أنت ذي جثة هامدة، ووجهك شاحب للغاية وأنا واثق أنك بريئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب مما ينسب إليك! يا أيتها اليد الغاشمة المتسرعة ماذا (ما الذي) جعلك تقومين بمثل هذه الجريمة! أيها العقل القلق، أيها الغضب الأحمق ! يا من ضربت البريئة ضربة قاضية من غير تروا! أيتها الريبة يا من تتشككين شكا باطلا، أين كان وقتئذ عقلك وحصانتك؟ أيها الناس إياكم والريبة! لا تصدقوا شيئا من غير سند قوى من الحقيقة" (تشوسر، 1983م، صفحة 482).

وهكذا، تعلم الأسطورة من أبولو وطائر الغراب أن الغيرة والانتقام قد يؤدي إلى عواقب وخيمة، وأن الخيانة والكذب لا يمكن أن يفلتا دون عقاب. ومن خلال تغيير لون ريش الغراب، يظل طائر الغراب يذكر العالم بأهمية الصدق والوفاء، وبأن الخطأ لا يمكن أن ينسى بسهولة، حتى عندما يكون مرتكبه إلهًا. تقدم هذه الأسطورة درسًا قاسيًا حول تداعيات الغيرة والانتقام، وتعكس أيضًا مفهوم العدالة الإلهية والقدر. فبينما يُظهر أبولو قوته وسلطته كإله، يكشف الغراب عن جانب آخر من الطبيعة الإلهية، وهو القدرة على الانتقام وتطبيق العقاب. علاوة على ذلك، يمكن أن نرى في تحويل لون ريش الغراب إلى الأسود رمزًا للعقاب الدائم والذي لا يمكن تجاوزه. فلون ريش الغراب الأسود يذكر البشر بأن أفعالهم لها عواقب دائمة، وأن الذنوب لا تمحى بسهولة.

وكذلك كان لهذه الأسطورة دور في العادات والتقاليد المجتمعية، فالإنسان لغاية عصرنا الحالي يعمل على معاقبة الخائن، وهذا يدل على أن الأساطير جزء لا يتجزأ من تراثنا الثقافي والأدبي. وَتُعَدُّ أكبر مثال على العدالة الإلاهية وأن الحقيقة والوفاء دائمًا ما ينتصران على الخيانة والغدر.

رحلة جايسو ن للحصول على جزة الصوف الذهبية

الغربان كانت مقدسة لدى هيرا وجونو. في كتاب "رحلة أرغو"، يواجه البطل جايسون مهامًا صعبة للحصول على جزة الصوف الذهبية، وتساعده الإلهات أثينا وأفروديت وهيرا من خلال إيجاد المشعوذة ميديا التي تقع في حبه. يسير جايسون مع موبسوس إلى شجرة حور حيث تتواجد الغربان، وترسل هيرا طائرًا ليخبر موبسوس بأن ميديا تحب جايسون. بمساعدة ميديا، ينجح جايسون في مراوغة التنين الذي يحرس جزة الصوف الذهبية. (ساكس، 2010م، الصفحات 44-45).

ماركوس فاليريوس وطائر الغراب

تتمحور القصة حول ماركوس فاليروس، الذي كان شابًا شجاعًا ومغامرًا، يسعى دائمًا لتحقيق النجاح والانتصار في التحديات التي يواجهها. وفي إحدى المرات، وجد نفسه محاصرًا في معركة ضارية؛ حيث كان يواجه جيشًا كبيرًا من الأعداء. بينما كان ماركوس يقاتل بشجاعة، ظهر الغراب أوروس، صديقه المخلص، الذي كان يراقب الوضع من السماء.

وبمجرد أن رأى الغراب الوضع الصعب الذي واجهه ماركوس، قرر التدخل لمساعدته. باستخدام ذكائه وحنكته، قاد الغراب أوروس سربًا من الغربان الأخرى للانضمام إلى معركة ماركوس. وبسرعة، هاجمت الغربان الأعداء؛ مما ألهب الفوضى في صفوفهم وأعطى ماركوس والجيش الخاص به فرصة للتفوق. وبفضل جهود الغراب وماركوس، تمكنوا من قهر الأعداء والانتصار في المعركة. وعندما انتهت المعركة، تبادل ماركوس وأوروس الشكر والامتنان؛ إذ أدرك كل منهما أنه لم يكن بإمكانه الانتصار بمفرده، وأن التعاون والتضامن هما العنصران الأساسيان لتحقيق النجاح في الحياة؛ وبهذا، أصبحت القصة لحظة لا تُنسى من التضحية والصداقة والانتصار على الصعاب؛ إذ يظهر كيف يمكن للتعاون بين الإنسان والطبيعة أن يحقق العجائب ويحقق النجاح.

لقد كان ماركوس قائدًا رومانيًّا، وقد دخل في شبابه بنزال فردي مع قائد غالي، في معركة جمعت بين الجيش الغالي والجيش الروماني. بينما كان ماركوس يقاتل بشجاعة، ظهر الغراب أوروس، صديقه المخلص، الذي كان يراقب الوضع من السماء.

وبمجرد أن رأى الغراب الوضع الصعب الذي واجهه ماركوس، قرر التدخل لمساعدته. باستخدام ذكائه وحنكته، قاد الغراب أوروس سربًا من الغربان الأخرى للانضمام إلى معركة ماركوس. وبسرعة، هاجمت الغربان الأعداء؛ مما ألهب الفوضى في صفوفهم وأعطى ماركوس والجيش الخاص به فرصة للتفوق. (ساكس، 2010م، صفحة 58) وقد ساعده الغراب في الانتصار في المعركة عن طريق الوقوف على رأسه واعطائه التعليمات ومساعدته مع مجموعة من الغربان، وقد أطلق الرومان على طائر الغراب اسم كورفينوس نسبة إلى الغراب (Corvus). حصل على القنصلية مرتين الأولى في عام (348)ق.م، والمرة الثانية كانت عام 299ق.م وهي الأخيرة. "وهو الجد الأكبر لميسالا القائد العسكري وصاحب الصالون الأدبي في عصر أغسطس والراعي الأدبي للشاعر تيبولّس" (شيشرون، 2022م، صفحة 488).

وهكذا لم يختلف طائر الغراب عند اليونانيين والرومانيين عن غيرهم من الشعوب، بل كانوا بمجرد مشاهدة طائر الغراب في حفلات الزفاف يعدونه نذير شؤم ويدل على أن أحد الزوجين سيموت قريبًا. وكذلك في معظم الأساطير القديمة اليونانية والرومانية أو غيرها يحط طائر الغراب؛ لكي يتناول الطعام وينسى واجبه اتجاه الآلهة. وكانت الغربان ترمز إلى طول العمر؛ وذلك لأنها تعيش طويلًا.

المطلب السَّادس: الغراب في الثقافات الجرمانية وعصر الفايكنج

أسطورة أودين[1] وطائر الغراب

علق أودين نفسه بشجرة العالم (يجدراسيل)، تعلق بهذه الشجرة لمدة تسع ليالٍ، دون لا طعام ولا ماء وكان جسده معرضًا للهواء الذي كان بمثابة قوة عظيمة يستمد منها الأمل للبقاء، وقد جرح طرفه بجرح بليغ من طرف حربة، فتفاقم ألمه، وقد بدأ ضوء الحياة بالسريان في جسده ببطء. وبدأ جسده بالبرود ودنت منه سكرات الموت، وقد اقترب من تحقيق أهدافه بأن يكتشف الحروف الرونية، وعندما نظر إلى أسفل وجد أمامه الحروف الرونية. وقد اكتشف سر هذه الحروف وفهم سر عظمة قوتهم، فانقطع الحبل به وسقط من الشجرة، وبعد هذا تعلم أودين السحر ليصبح كل العالم بين يديه. لدى أودين عدة ألقاب وفق ما ذكر نيل جايمان في كتابه " الأساطير النوردية" وهي: "الرب، الأرباب، الرب الأكبر، سيد الأموات، إله المشانق، إله البضائع والمسجونين، وجريمنير، لديه هيئات مختلفة بكل مدينة باختلاف لغات تلك المدينة ولكن كلهم اجتمعوا على عبادة أودين". (جايمان، 2020م، صفحة 13).

كان لدى أودين غرابان هما هوجين (Huginn) "الفكر"، ومونين (Muninn) "الذاكرة"، فكان غرابا أودين يطيران في جميع أرجاء العالم ويحضران الأخبار إلى أودين، ويقفان على أكتافه، ويهمسان في أذنيه بما سمعا به وأدركاه. بينما كان أودين يجلس على عرشه في هليدسكالف، (ويعرف كل ما هو موجود في العالم، هو السبب في كل الحروب الموجودة بالعالم، وكل حربة يتم إلقاؤها على الجنود، وتقدم الجثث قربانًا إلى أودين، الذي يمنحهم بركته للفوز في الحرب، وإذا خسروا الحرب؛ ذلك لأن أودين خانهم). إذا مات المقاتل الشجاع داخل المعركة أتت مقاتلات الفالكيري الفاتنات لتقبض روحه، وترسلها إلى قاعة فالهالا لتناول الطعام والخمر مع أودين. (جايمان، 2020م، صفحة 14)

[1] "هو أعلى وأكبر الآلهة جميعهم. هو عالم الأسرار، الذي ضحى بإحدى عينيه طلبًا للحكمة، وبذل ما هو أكبر من ذلك للوصول لسر الحروف الرونية، للوصول إلى القوة العظمى، لقد ضحى بنفسه لنفسه". (جايمان، 2020م، صفحة 13)

أسطورة خمر الشعراء

وجود الأغاني عائد إلى هذه الأسطورة النوردية التي بدأت قصتها منذ بداية الكون. كان هناك حرب دائرة بين الآلهة الآيسير والفانير. آلهة الآيسير؛ كانوا أقوياء لديهم القدرة على القيام بالمعارك والغزوات، أما آلهة الفانير فكانوا أقل قوة من آلهة الآيسير؛ وذلك لأن بنيتهم أضعف من الآيسير، وكانوا قادرين على المحافظة على خصوبة التربة ونمو النباتات. رغم كل هذا إلا أن لا أحد من الطرفين تمكن من هزيمة الآخر؛ وذلك لأنه لا فائدة من فوز بمعركة ولا يوجد طعام وشراب للاحتفال. وقد قرر الطرفان على أن يعقدان هدنة تشمل أن يقوم كل من آلهة الآيسير وآلهة الفانير بالبصق في برميل لتندمج بصقاتهم مع بعض؛ وباندماج بصقاتهم تترسخ عهودهم المشتركة.

اجتمع الآلهة في حفلة وتناولوا فيها كل أنواع الطعام وأجود أنواع الخمور (جايمان، 2020م، صفحة 82). وبعد انتهاء الاحتفال اقترح أودين أن يصنعوا شيئًا من بصقتهم، وافق آلهة الفانير على رأي أودين. وتقدمت فريا نحو البرميل وحولت البصقة إلى رجل عارٍ وكان هذا الرجل فازير آلهة من أكثر الآلهة حكمة؛ لأنه جمع بين حكمة العقل وحكمة القلب.

كان فازير يجيب على أسئلتهم بحكمة وذكاء، وبعد ذلك سافر فازير للإجابة على جميع الأسئلة الموجودة في العالم (جايمان، 2020م، صفحة 83).

ذهب من قرية لقرية ومن مدينة لمدينة، سمع بمجيئه قزمان شريران كانا يمارسان السحر والشعوذة، ذهب القزمان إلى فازير وكانت نيتهم تتمثل في قتل فازير وأخذ دمائه ودمجها مع العسل لصناعة خمر الشعراء هو من أجود أنواع الخمر. وفعلًا قاما باستدراجه وقتله وخلطا دمه مع العسل ليصبح من أجود أنواع الخمر (جايمان، 2020م، الصفحات 84-85).

وهنا "يبدو أنكم قررتم قتل ضيفكم وإراقة دمه في الحوضين، ثم غلي الدماء مع العسل لصنع خمراً مميزاً يمنح الشاربين إلهاماً وإبداعاً" (جايمان، 2020م، صفحة 85).

وقد "اعترف جالار قائلاً: "يالك من عبقري ! لقد كنت محقاً، نحن أشرار بالفعل. ثم عاجله سريعاً بـــذبح رقبته وبرفقه أخيه قاما بتعليقه من أقدامه فوق الأحواض المستقبلية دماءه المنهمرة حتى آخـــر قطـــرة. بعدها اشعلوا النيران ومزجوا العسل بالدماء الساخنة، بالإضافة لبعض المكونات الخاصـــة، ثـــم بـــدأوا بتقليبها بعصا. تناثرت الفقاقيع على سطح المزيج، ثم هدأت ليحتسي كلا الأخوين رشفة صـــغيرة مـــن المزيج لتتدفق بداخلهما الأشعار ثم تخرج من أفواههما بعد أن احتبســـت لســـنوات طـــوال" (جايمـــان، 2020م، صفحة 85).

جاءت الآلهة للبحث عن فازير، ولم يجدوا إلا جثته وحملوها وعادوا بها إلى اســـجادر، وبـــدأ النـــاس يتوافدون على القزمين لأخذ خمر الشعراء.

لكن جالار وفالار قروا بالاحتفاظ بخمر الشعراء لهم ولأحبائهم، وفي ليلة من الليالي اســـتيقظ القزمـــان ليجدا نفسيهما مقيدين ومعهما عملاق يدعى سوتون.

وقد "أجابهم العملاق: "أنا سوتون (Suttung)، لقد تناهي إلى أسماعي تفاخركم الدائم بقتلكم لوالدايّ"!

رد جالار: "حسناً، هذا تفسير مناسب لتقييدك لنا... أليس كذلك؟".

قال القزمان للعملاق عن خمر الشعراء وقصة خمر الشعراء وكيف صنعاه من دماء الآلهـــة (جايمـــان، 2020م، الصفحات 88-89).

هنا جاء دور الغرابين؛ فقد سمعا ما قاله القزمان وكيف قام القزمان بقتل فازير وأخذ دمائه. ومـــن ثـــم عاد الغرابين إلى أودين وأخبراه بالقصة. ذهب أودين وأخذ معه حجرًا ومثقابًا من أفضل مثاقيب الآلهة، وطلب من خدمه أن يصنعوا ثلاثة براميل من الخشب وذهب، ذهب أودين إلى أرض العمالقة عنـــد أخ العملاق سوتون يدعى باوجي، لديه تسعة خدم من العمالقة قام أودين بذكاء بالايقاع بهـــم وقـــتلهم عـــن طريق سن مناجلهم فأصبحت حادة وعندما اقتربوا من بعض لاتقاط الحجر الذي جعل هذه المناجل حادة

سقطوا جميعًا. وطلب أودين أن يأخذ مكانهم في العمل وإذا استطاع أن يعمل بدلًا منهم جميعًا يشرب من خمر الشعراء. وفعلًا تمكن من إنهاء العمل.

وذهب أودين وباوجي إلى سوتون لكنه رفض، وقد قرر باوجي وأودين أن يذهبا إلى جبل نيتبيورج حيث يوجد خمر الشعراء. خدع أودين باوجي وجعله يحفر حفرة كبيرة؛ لكي يتمكن من الوصول إلى قلب الجبل.

وبعد معرفة باوجي بأن أودين قد خدعه وعاد إلى البيت، تحول أودين إلى شكل أفعى حتى وصل إلى قلب الجبل حيث سمع صوت غناء جميل وهو صوت جانلود حارسة المكان، فتمكن أودين من خداعها بعد أن تحول إلى عملاق جميل ووسيم وأوقعها في حبه على مدار الوقت، وظل يلفق الأعذار لها؛ لكي يتمكن من شرب الخمر، وبعد أن شرب كل الخمر علمت بأنه قام بخداعها وقبل أن تقبض عليه هرب وأغلق الباب عليها وتحول على شكل نسرٍ وطار بعيدًا، وبعد أن علم سوتون بالأمر تحول على شكل نسر أيضًا وتبع أودين وتعاركا، ولكن سرعان ما أبتعد أودين حتى وصل إلى الآلهة وتمكن من مَلءْ البراميل الثلاثة. ومنذ ذلك الوقت أصبح من يقول الشعر على نحوٍ جميل لا بد له من أن يكون قد شرب من خمر الشعراء (جايمان، 2020م، الصفحات 90-102).

لعب الغراب في هذه الأسطورة دور طائر الآلهة، وكان الطائر المفضل لدى أودين، والذي يخبره بكل ما يحصل داخل العالم وكان سببًا في أخذ خمر الشعراء، وكان سببًا أساسيًّا في انتشار الشعر وقول الأشعار الجميلة... حسب الأسطورة من لا يمتلك هذا الخمر لا يستطيع قول الشعر.

المطلب السَّابع: قصيدة الغراب للشاعر (إدغار آلان بو)

(إدغار آلان بو)

وُلد إدغار آلان بو في بوسطن في (19) يناير (1809) م، عاصمة ولاية ماساتشوستس الأمريكية، لأبوين إنجليزيين كانا يعملان في التمثيل المسرحي. عاش بو حياة مضطربة نتيجة بيئته الأسرية. بعد وفاة والدته، تبنته أسرة أخرى لكنه عانى من علاقة سيئة مع والده بالتبني. لجأ بو إلى المجون هرباً من واقعه الاجتماعي، وانغمس في معاقرة الخمرة والمخدرات، مستخدماً الأدب والشعر والفوضى ملاذًا له. كان منبوذاً في مجتمعه الأمريكي ولم يلقَ تقديراً لعبقريته. لم يكتشف موهبته إلا شاعران فرنسيان، بودلير ومالارمييه؛ مما أضفى عليه شهرة دولية. لم ينل بو الشهرة في بلده إلا عام (1844)، وترك أثراً كبيراً في الأدب العالمي بأعماله الشعرية، القصصية، والنقدية (خالد محمد، 2010م، الصفحات 329-330).

وقد "كان أسلاف إدغار بو زراعيين وحرفيين من جهة، وممثلين من جهة أخرى؛ وكان للفرع الأبوي للأسرة بعض المطالبات بالتميز العسكري. كان الجد الأكبر لبو، ديفيد بو، مزارعًا مستأجرًا بروتستانتيًّا وسط المستنقعات التي لا نهاية لها والحقول الصخرية في درينغ، مقاطعة كافان، أيرلندا، على بعد حوالي خمسة وسبعين ميلًا شمال غرب دبلن" (Meyers, 1992, p. 1).

إدغار آلان بو كان جزءًا من الحقبة الرومانسية الأمريكية، التي كانت تتسم بالأحاسيس العالية والرمزية والعناصر الخارقة. في هذه الفترة، ظهر الأدب القوطي الذي يتميز بقصص الرعب والأشباح. أعمال بو كانت جسرًا بين الرومانسية والرمزية وأسهمت في تأسيس المذهب الرمزي في الأدب العالمي، خاصة الأدب الفرنسي. وقد عاش بو مغمورًا في الولايات المتحدة؛ إذ اختلف النقاد حوله، منهم من رآه نابغة ومنهم من وصفه بالفوضوي والهلوسة. بدأت شهرته بعد موته في فرنسا بفضل الكاتب الفرنسي بودلير الذي ترجم أعماله بشغف (منتهى و نبيلة، 2020م، صفحة 67).

عندما كان إدغار بو في الثالثة من عمره، انتقل إلى منزل التاجر الغني جون آلان وزوجته؛ حيث أحيط برعاية ومحبة كبيرتين، خاصة وأن الزوجين لم يُرزقا بأطفال. شجّعاه على إلقاء مقاطع من أعمال سكوت وشكسبير؛ مما نَمّى فيه حب الأدب والجمال الفني منذ الصغر. مع تطور أعمال آلان، انتقل إلى إنجلترا؛ حيث أقام إدغار في مدرسة داخلية بالقرب من لندن وأظهر ذكاءً وتفوقاً، رغم أن أساتذته كانوا ينتقدون تدليل والديه له ومنحه الكثير من المال. بعد خمس سنوات، عاد إلى نيويورك حيث تراجعت أعمال آلان، لكن إدغار واصل تعليمه وتميز بقدراته الفكرية وجماله ومهاراته في المبارزة والفروسية والسباحة. بدأ في كتابة الشعر باللاتينية وحصل على المركز الأول في الصف. خلال هذه الفترة، افتتن بأشعار بايرون ومور ووردزورث وكيتس، واهتم بعلم الفلك؛ إذ كان يقضي ساعات طويلة يتأمل النجوم من شرفة منزل والديه بواسطة منظار (الأحمد، 1969م، صفحة 59).

عندما بلغ إدغار بو السابعة عشرة من عمره، ورث ثروة كبيرة من والده المتبني، جون آلان، الذي لم يعد يدفع تكاليف دراسته. رغم اجتهاده في تعلم اللغات والأدب، لم يهتم بو بالعلوم السياسية التي كانت تجذب الشباب في ذلك الوقت. لجأ إلى المقامرة وتراكمت عليه الديون؛ مما اضطره لمغادرة المعهد والمدينة تحت اسم مستعار. انغمس في معاقرة الخمرة التي أثرت سلباً على صحته. في بوسطن، التقى ناشراً وافق على نشر ديوانه "تيمور لنك وقصائد أخرى" دون أن يلقى اهتماماً. عاد إلى ريتشموند ليجد حبيبته القديمة متزوجة؛ مما زاد من شعوره بالعزلة والفشل. انضم إلى الجيش الأمريكي وارتقى إلى رتبة مساعد خلال عام ونصف، ثم وجد مجالاً للكتابة. في هذه الأثناء، توفيت السيدة آلان ولم يصل النبأ إلى بو إلا متأخراً. عاد إلى ريتشموند وطلب مساعدة آلان لدخول مدرسة الضباط في وست بوينت عام (1830). رغم تفوقه في الدراسة باستثناء الرياضيات، ضاق ذرعاً بالحياة العسكرية وانصرف إلى الشراب. حصلت مشادة بينه وبين وصيه آلان، وتبادلا رسائل تحمل التهجم والانفصال النهائي. في نهاية المطاف، حاول بو للمرة الأخيرة استثارة عاطفة وصيه، لكن ذلك لم ينجح (الأحمد، 1969م، الصفحات 60-61).

وقد كتب إدغار بو رسالة إلى وصيه جون آلان يطلب منه مبلغاً من المال، جاء فيها:

"عمي، ماذا يهم إذا كانت حياتي، التي لن تطول بسبب ضعف صحتي، ستنقضي في المرض والبؤس؟ إذا لم ترد خلال عشرة أيام، سأهمل دروسي ووظائفي في الكلية العسكرية، وسأجعلهم يطردونني." لم يرد آلان على هذه الرسالة التي كانت تحمل تهديداً ومناشدة أخيرة، فتم طرد إدغار بو من الكلية. توجه إلى نيويورك حيث نجح في إصدار ديوان جديد بمساعدة رفاقه في الكلية العسكرية. لكن الديوان خيب آمالهم؛ إذ لم يحتو على القصائد النقدية والهجائية التي كانوا يستمتعون بها أثناء دراستهم (الأحمد، 1969م، صفحة 62).

حول قصيدة الغراب

قصيدة لاقت شهرةً واسعة في العصر الحديث؛ وخاصة لما تحتويه من رموز وشيفرات استخدمها الشاعر في وصف طائر الغراب؛ وقد لفتت القصيدة أنظار الشعراء والأدباء؛ وذلك لأن الشاعر استخدم الغراب دون غيره من الطيور فلماذا الغراب؟!

قصيدة "الغراب" لإدغار آلان بو تعد واحدة من أشهر القصائد في الأدب الإنجليزي، وقد أثارت إعجاب النقاد والقراء على حد سواء منذ نشرها الأول في (29) يناير (1845) في صحيفة "نيويورك إيفنينغمير". "تتكون القصيدة من ثمانية عشر مقطعًا كل مقطع يحتوي على ستة أبيات، معظمها طويل نسبيًا " (كنعان، 2019م، صفحة 253) ترجمت إلى لغات عديدة، بما في ذلك الترجمة الفرنسية التي قام بها الشاعر ستيفان مالارميه عام (1875). الناقد يوسف سامي اليوسف يُعدُّ قصيدة "الغراب" واحدة من أروع القصائد الإنجليزية، مشيراً إلى تعبيرها الحي عن الذات القلقة واغترابها وتصادم الأحاسيس بين الحلم والموت. وتُعزى شهرة القصيدة إلى الموسيقية العالية والأسلوب اللغوي الفريد والأجواء الفوق-الطبيعّية للأحداث. إدغار آلان بو نفسه تحدث في محاضرة ألقاها في بوسطن عن أهمية الأصوات في اللغة الإنجليزية، وخصوصاً تأثير حرفي الـ (o) والـ (R)، مما انعكس في استخدامه المتكرر لكلمة

(Nevermore) على لسان الغراب. هذه القصيدة ألهمت العديد من الأعمال الفنية الموسيقية والمسرحية، وظلت مصدراً للإلهام على مدى أكثر من قرن ونصف منذ نشرها الأول (خالد محمد، 2010م، صفحة 330).

قصيدة "الغراب" للشاعر إدغار آلان بو تعد من أعظم الأعمال الشعرية التي تجسد المأساة الفردية بامتياز. في هذه القصيدة، يتجسد الطائر الملهِم في الشعر، وهو الغراب، الذي يردد كلمة: "نيفرمور" (لن يعود) في نهاية كل مقطع؛ مما يعكس التناغم بين كلمتي "لينور" (محبوبته الراحلة) و"نيفرمور" (خالد محمد، 2010م، صفحة 331).

تحليل قصيدة الغراب

وقد قالت زغريت خالد في مقال لها في تحليل القصيدة:

الغراب كان يعبر عما في نفس الشاعر من مشاعر حزن وأسى، وقد كان "بو" خائفًا من الغراب كما لو أنه بئر أسراره الذي سيكشف أمامه، وقد فتح "بو" النافذة للغراب العبوس كما وصفه، وقد رمز طائر الغراب إلى الموت وقد ظللّ طائر الغراب يردد كلمة واحدة وهي؛ " أبدًا بعد اليوم" (خالد محمد، 2010م، صفحة 332) وقد رمزت الكلمة إلى الموت الأبدي؛ أي موت محبوبته "لينور"، لطالما كان الغراب رمزًا للموت وقد ارتبط هذا الرمز بطائر الغراب منذ قيامه بتعليم ابن آدم كيف يواري سوءة أخيه. كان غراب "بو" بمثابة رسول الشر وقدومه كان يدلل على الموت والشر والحزن الأبدي. وقد طلب "بو" منه الرحيل؛ لكي تبتعد هذه الغمامة السوداء عن حياته (خالد محمد، 2010م، الصفحات 333-334).

إدغار كان من الشعراء الذين لاقوا شهرة واسعة بعد موتهم أكثر من الشهرة التي لاقها وهو على قيد الحياة. ترجمت قصيدة الغراب إلى كل اللغات الأدبية تقريبًا، وقد أصبحت من أفضل القصائد في الأدب الأمريكي والأدب العالمي. وبسبب الشهرة التي لاقتها قصيدة الغراب؛ حصل إدغار آلان بو على شهرة

واسعة على مستوى الشعر العالمي سواء أكان في الشعر الغربي أم الشعر العربي؛ فقد تأثر الكثير من الشعراء حول العالم بهذه القصيدة، وقد سعى الأدباء لدراستها وتحليل مضمونها ومعرفة المغزى وراء تسمية القصيدة بالغراب (الأحمد، 1969م، صفحة 64). وبعد كتابة هذه القصيدة ماتت زوجته وهم به المرض ولم يلبث طويلًا وتوفي.

وقد قال صديقه " غريسفولد" في رثائه:

"لقد مات إدغار آلان أول أمس... وقليلون سيأسفون على ذلك...؛ فقد كان له قراء ولكن لم يكن لديه الا القليل من الأصدقاء، بل ربما لم يكن له أصدقاء ألبتة. كانت تجربته القاسية قد حرمته من الثقة بالرجال أو النساء. لم يكن باستطاعة أحد أن يتحدث أمامه عن الثروة دون أن يشحب وجهه رغبة وسداً. كان يعاني طموحاً مرضياً، وليس رغبة نبيلة في حب أو جاه. كان يريد فقط أن ينجح. ولكن علينا أن نعترف أنَّ من الصعب أن يتفوق عليه أحد ككاتب؛ أما كناقد فلم يكن إلا لغوياً يتعلق بالترهات..." (الأحمد، 1969م، صفحة 67).

التحليل الأدبي للقصيدة

المشهد المأساوي

بدأت القصيدة بمشهد مأساوي، مليء بالكآبة والوحدة. الشاعر يجلس في وحشة الفقد بعد رحيل محبوبته لينور، ويغرق في التأمل في غربته وضياعه. الليل مظلم والجو مملوء بالكآبة، مما يعكس الفراغ الوجودي الذي يعاني منه الشاعر.

رمز الغراب

ودارت القصيدة حول طائر الغراب، كان الغراب يظهر من ظلمة الليل رمزًا للموت والخراب والمأساة. هذا الطائر الأسود يقتحم غرفة الشاعر ويحط على تمثال بالاس، إلهة الحكمة عند الإغريق؛ مما يعكس

قهر الحكمة والتنوير أمام فجيعة الشاعر. الغراب يتكلم بكلمة واحدة "نيفرمور"؛ مما يزيد من حدة التوتر ويعبر عن عدمية المستقبل وفقدان الأمل.

الصراع الداخلي للقصيدة

تمثل الصراع الداخلي للقصيدة، في الحوار بين الشاعر والغراب الأم الذي يعكس الصراع الداخلي للشاعر. الغراب يظل يردد: "نيفرمور"؛ مما يجعل الشاعر يغرق أكثر في الحزن واليأس، ويشعر بأن مصيره هو الانمحاء والاندثار؛ هذا يعبر عن هزيمة الشاعر أمام قوى الموت والخراب.

البنية السردية

القصيدة تتبع بنية سردية قصصية وفلسفية؛ إذ يتداخل الحاضر مع ذكريات الماضي والأسئلة الوجودية للشاعر. الحوار مع الغراب يبرز هذه البنية السردية ويضيف عمقاً فلسفياً للقصيدة؛ مما يجعلها تعبيراً عن مأساة الذات والوجود الإنساني؛ فقد تمكن إدغار آلان بو من إيصال الرسالة، من خلال قصة قصيرة حدثت بين الشاعر وطائر الغراب، ورمز الغراب فيها إلى الشؤم والحزن.

الجماليات الشعرية

القصيدة تستخدم موسيقى شعرية ورموزًا وصورًا فنية متكاملة. الوحدة العضوية للقصيدة تجعلها لوحةً فنية مليئة بالأسرار، تعكس قلق الشاعر واضطراباته. الرموز مثل الغراب والليل والتمثال تضفي عمقاً وتفتح أبواب التأويل المتعددة.

الرموز في القصيدة

1. الغراب: يرمز إلى الموت والخراب، وأيضاً إلى النبوءة القاتمة وعدم الأمل. ظهوره في القصيدة يعكس المأساة والشؤم.
2. تمثال بالاس: يرمز إلى الحكمة والتنوير، ولكن وجود الغراب عليه يعكس قهر الحكمة أمام الفجيعة الإنسانية.

3. الليل والظلام: يرمزان إلى الغموض والخوف والضياع، وهي المشاعر التي تسيطر على الشاعر.
4. لينور:رمز للمحبوبة الراحلة والجمال المفقود، وحضورها الغائب يضفي حزناً عميقاً على الشاعر.

قصيدة "الغراب" تظل واحدة من القصائد الخالدة التي تتناول موضوعات الفقد والوجود بأسلوب شعري عميق ومعقد، يجمع بين الجماليات الفنية والرمزية الغنية.

شرح القصيدة

المقطع الأول

يتحدث الراوي عن تجربة حدثت له خلال ليلة مظلمة وغامضة. كان الراوي يشعر بالاستياء والحزن، وربما كان في حالة من الضياع أو البحث عن إجابات. أثناء نومه أو غفوته، سمع صوت طرق خفيف على باب غرفته. هذا الصوت كان ضعيفاً لدرجة أنه لم يكن متأكداً مما إذا كان حقيقياً أم لا. ومع ذلك، قرر أن يفتح الباب ليرى ما وراءه، لكنه وجد الظلام فقط ولا شيء أكثر من ذلك.

وقد استخدم الشاعر الطرق على الباب، والظلام، والغفوة، والاستياء للدلالة على رموز معينة:

1. الطرق على الباب: يمكن أن يرمز الطرق الخفيف إلى الأفكار أو المخاوف التي تطرق ذهن الراوي بلطف، تذكره بأمور تشغله أو تقلقه. قد يكون هذا الطرق تلميحًا للأشياء التي يفضل الراوي تجنبها أو قمعها.
2. الظلام: يرمز الظلام إلى الغموض، المجهول، وربما إلى حالة الراوي النفسية المليئة بالحزن والاكتئاب. الظلام هنا هو رمز لعدم الوضوح، الخوف، والوحدة.
3. الغفوة: يمكن أن تكون الغفوة رمزًا للحالة الذهنية غير الواعية أو الانسحاب من الواقع. هي فترة من الراحة المؤقتة من الهموم والضغوطات، ولكنها لا تدوم طويلاً.
4. الاستياء: يعكس الاستياء مشاعر الراوي العميقة من الحزن والقلق. هو دلالة على الصراع الداخلي والتوتر الذي يعاني منه

تتحدث القصيدة عن صراع داخلي وعواطف مضطربة، وعن مواجهة الـراوي لمخاوفـه وأحزانـه. الطرق الخفيف على الباب يمثل الأمور التي تعكر صفو ذهنه، والظلام الذي يواجهه بعد فـتح البـاب يرمز إلى عدم وجود إجابات واضحة أو حلول لمشاكله. النص يترك القارئ مـع شـعور بـالغموض والتوتر؛ مما يعكس بمهارة الحالة النفسية للراوي (Allan Poe, 2017, p. 26).

المقطع الثاني

يصف الراوي حالته أثناء وقوفه في الظلام، متأملاً، خائفاً، وشاكاً، ومغرقاً في أحلام لا يجـرؤ البشـر على الحلم بها. رغم ذلك، يبقى الصمت والسكون حاضرين، فلا يسمع الراوي سوى الكلمـة الوحيـدة "لينور"، التي يهمس بها ثم يتردد صداها في الفراغ. هذا التكرار يعمق إحساس الوحدة والفـراغ الـذي يشعر به الراوي.

تحليل الرموز

1. الظلام: يرمز إلى المجهول، الغموض، وحالة الحزن أو الاكتئاب التي يعيشها الراوي. الظلام هو مرآة لحالته النفسية؛ حيث لا يوجد وضوح أو راحة.
2. التساؤل والخوف: يعبر عن الحالة النفسية للراوي؛ حيث يمتزج الفضول بالخوف والشك. هو فـي حالة من عدم اليقين والصراع الداخلي.
3. الأحلام التي لم يجرؤ بشر على الحلم بها: تشير إلى أفكار ومشاعر غير عادية ومعقدة، ربما تعبر عن الطموحات أو الرغبات المكبوتة التي لم يستطع الراوي التعبير عنها أو تحقيقها.
4. الصمت والسكون: يعبران عن العزلة والفراغ العاطفي الذي يعيشه الراوي. رغـم كـل الأفكـار والمشاعر التي تدور في ذهنه، يبقى العالم من حوله صامتاً؛ مما يزيد من شعوره بالوحدة.
5. لينور: الكلمة الوحيدة التي تُذكر، تشير إلى شخص أو شيء مهم جداً للراوي، ربما يكـون حبيبـاً مفقوداً أو رمزاً للأمل الذي لم يعد موجوداً. تكرار الكلمة يعكس مدى تأثير هذا الشخص أو الشيء على حياة الراوي.

6. الصدى: تكرار كلمة "لينور" بصدى يعبر عن الرغبة العميقة في استعادة ما فُقد، ولكنه أيضاً يذكر الراوي بأن كل ما يملكه الآن هو الفراغ والصدى، من دون وجود حقيقي للشخص أو الشيء الذي يناديه.

النص يعبر عن حالة من الحزن العميق والوحدة؛ إذ يجد الراوي نفسه محاصراً في ظلام عاطفي ونفسي. تكرار كلمة "لينور" يعمق شعوره بالفقد واليأس؛ إذ لا يجد سوى الصمت والصدى للرد عليه. النص يتناول على نحوٍ عميق مشاعر الإنسان عند مواجهة الفقد والعزلة، وكيف يمكن لهذه المشاعر أن تسيطر على الفكر والوجدان (Allan Poe، 2017، صفحة 28).

في ظلام حالك، وقفت متسائلاً وخائفاً، أحلم بأحلام جريئة. لكن الصمت استمر، ولم يُسمع سوى همسة اسم "لينور"، التي ترددت كصدى (Allan Poe، 2017، صفحة 28).

المقطع الثالث

في هذا الجزء، يصف الراوي حالته وهو في الغرفة؛ حيث يشعر بأن روحه تحترق من الداخل؛ بسبب القلق والتوتر. يسمع صوت نقر أعلى من السابق، ويعتقد أنه يأتي من نافذة. يحاول الراوي تهدئة نفسه ويقرر أن يكتشف مصدر الصوت، معتقدًا أن ما يسمعه هو مجرد الريح ولا شيء أكثر من ذلك.

تحليل الرموز

1. الروح المحترقة: يرمز احتراق الروح إلى حالة القلق العميق والتوتر النفسي الذي يشعر به الراوي. هذا الشعور يعبر عن معاناة داخلية قوية ربما تكون نتيجة للفقد أو الحزن.
2. النقر الأعلى: يمثل النقر الأعلى من السابق تصاعد التوتر والقلق لدى الراوي. كلما زاد الصوت، زادت مشاعر الخوف والاضطراب داخله.

3. نافذة النافذة: النافذة هنا قد ترمز إلى حدود العقل الباطن؛ حيث يحاول الراوي اكتشاف ما يكمن وراء مشاعره وأفكاره المضطربة. النافذة هي الفاصل بين الداخل والخارج، بين المعروف والمجهول.
4. اللغز: يمثل اللغز الحالة النفسية الغامضة التي يعيشها الراوي. هو في حالة من البحث والتساؤل عن طبيعة مشاعره ومصدر القلق الذي يشعر به.
5. الريح: اعتقاد الراوي بأن الصوت هو مجرد الريح يمثل محاولة للتهدئة الذاتية والتقليل من شأن ما يسمعه. الريح هنا ترمز إلى القوى الطبيعية والعوامل الخارجية التي يحاول الراوي إقناع نفسه بأنها سبب قلقه، بدلاً من مواجهة الحقائق الداخلية الأصعب.
6. القلب الذي لا يزال لحظة: طلب الراوي بأن يظل قلبه هادئًا يعبر عن رغبته في السيطرة على مشاعره وتهدئة نفسه وسط حالة الفوضى الداخلية التي يشعر بها.

النص يعبر عن حالة من القلق والتوتر المتصاعد الذي يشعر به الراوي. رغم محاولاته لتهدئة نفسه والتقليل من أهمية ما يسمعه، تظل مشاعر القلق والتساؤل قائمة. هذه المحاولات تعكس الصراع الداخلي بين محاولة الراحة العقلية والمواجهة مع الحقائق المقلقة. النص يظهر كيف يمكن للأفكار والمشاعر الغامضة أن تسيطر على العقل وتسبب توترًا عميقًا، وكيف يحاول الإنسان التعامل معها بطرق مختلفة (Allan Poe، 2017، صفحة 29).

المقطع الرابع

في هذا المقطع، يصف الراوي كيف رمى النافذة ليرى ما يحدث، وإذا به يرى غرابًا فخمًا يدخل الغرفة بطريقة درامية. الغراب يتصرف وكأنه يحمل هيبة اللورد أو السيدة، ويستقر على تمثال نصفي للإلهة بالاس (رمز الحكمة) فوق باب الغرفة. يستقر الغراب هناك دون أي حركة أو نية للرحيل.

تحليل الرموز

1. الغراب: الغراب هنا هو رمز للموت، الحزن، والقدر المحتوم. في الأدب، الغراب غالبًا ما يرتبط بالظلام والمجهول. قد يمثل الغراب في هذه القصيدة الحزن العميق الذي يلاحق الراوي، أو قد يكون رمزًا لفقدان الأمل والانعكاسات العميقة للمشاعر السلبية.
2. المغازلة والرفرفة: تصف الطريقة التي دخل بها الغراب؛ مما يعزز الشعور بالدراما والتشويق. هذه الحركة قد ترمز إلى الطريقة المفاجئة والمزعجة التي تدخل بها الأفكار المظلمة إلى عقل الراوي.
3. أيام القديس من الماضي: يمكن أن تشير إلى فكرة الزمن والحنين إلى الماضي، أو إلى أوقات كان فيها الراوي أكثر هدوءًا وسعادة. قد يكون هذا تلميحًا إلى الأوقات التي فقدها الراوي ويرغب في استعادتها.
4. مين من اللورد أو السيدة: هذا الوصف يعكس الهيبة والسلطة التي يحملها الغراب؛ مما يجعله أكثر من مجرد طائر عادي. يعزز هذا الوصف الشعور بأن الغراب يحمل رسالة مهمة أو أنه يمثل شيئًا أكبر من مجرد طائر.
5. تمثال نصفي لبالاس: بالاس (أثينا) هي إلهة الحكمة في الأساطير اليونانية. وجود الغراب على تمثال نصفي لبالاس قد يرمز إلى الصراع بين الحكمة والعقلانية من جهة، والحزن والفوضى من جهة أخرى، قد يعكس هذا التناقض الصراع الداخلي للراوي بين محاولاته لفهم الأمور بعقلانية ومعاناته العاطفية.

النص يعكس حالة نفسية معقدة للراوي بعد دخول غراب غامض إلى حياته. وجود الغراب على تمثال لبالاس يبرز الصراع بين الحكمة والفوضى. الراوي يواجه مشاعر متناقضة، ومحاولاته لفهمها تظل بلا جدوى أمام رمز الغراب الغامض (Allan Poe، 2017، صفحة 30).

المقطع الخامس

يصف الراوي كيف يشعر بالخداع من قبل الغراب، الذي يحمل وجهًا صارمًا يجعله يبتسم رغم حزنه العميق. الراوي يلاحظ أن الغراب لا يبدو جبانًا، بل يوحي بالقوة والشجاعة. يسأل الراوي الغراب عن اسمه الرباني، معتقدًا أن الغراب قد جاء من شاطئ مظلم وغامض (شاطئ الليل البلوتوني). يجيب الغراب بكلمة واحدة فقط، "أبدا"؛ مما يزيد من إحساس الراوي بالحزن واليأس.

تحليل الرموز

1. الطائر الأبنوس: يشير وصف الغراب كطائر أبنوس (أسود اللون) إلى طبيعته المظلمة والغموض الذي يحمله. اللون الأسود يرتبط غالبًا بالحزن، الموت، والليل؛ مما يعزز الجو العام للنص.
2. الوجه الصارم: يعكس الوجه الصارم للغراب جديته وحزمه، وهو ما يخدع الراوي ويجعله يبتسم على الرغم من حزنه؛ هذا التناقض بين مشاعر الراوي وملامح الغراب تعكس الصراع الداخلي الذي يعيشه.
3. الشعار الذي يقطع ويحلق: يرمز الشعار إلى السلطة والقوة. استخدام هذا الوصف يعزز فكرة أن الغراب ليس مجرد طائر عادي، بل يحمل رمزية أعمق ويملك تأثيرًا قويًّا على الراوي.
4. شواطئ الليل البلوتوني: يشير إلى الأماكن المظلمة والغامضة التي ترمز إلى العالم السفلي أو الجحيم في الأساطير اليونانية (بلوتو هو إله العالم السفلي). هذه الصورة تعزز من الإحساس بالغموض والرهبة المحيطة بالغراب.
5. اسمك الرباني: سؤال الراوي عن الاسم الرباني للغراب يعكس محاولته لفهم معنى وجود الغراب والرسالة التي يحملها. الاسم الرباني يشير إلى شيء مقدس أو قوي؛ مما يعكس احترام الراوي للغراب وإدراكه لأهمية وجوده.

6. كلمة "أبدا": الرد الوحيد للغراب يعبر عن اليأس والنهائية. هذه الكلمة البسيطة تحمل وزنًا ثقيلًا من الحزن واللامبالاة، وتشير إلى أن الراوي قد لا يجد الأجوبة التي يبحث عنها، وأن حزنه قد لا ينتهي أبدًا.

النص يعبر عن الحزن العميق واليأس الذي يشعر به الراوي. وجود الغراب، بوجهه الصارم وشعاره القوي، يعزز من هذا الشعور بالرهبة والغموض. السؤال عن الاسم الرباني والرد بكلمة "أبدا" يعكس البحث الدائم للراوي عن الأجوبة والمعنى في وجه مشاعر الفقد والحزن العميقة. الغراب هنا يمثل رمزًا للنهائية واليأس؛ مما يترك الراوي في حالة من الشك والتساؤل المستمر (Allan Poe، 2017، الصفحات 31–32). "لقد تعجبت من هذا الطائر غير المرغوب فيه لسماع الخطاب بوضوح شديد، على الرغم من أن إجابته لا معنى لها – القليل من الصلة تحمل؛ لأننا لا يسعنا إلا أن نتفق على أنه لم ينعم أي إنسان حي بعد برؤية طائر فوق باب غرفته – طائر أو وحش على تمثال نصفي منحوت فوق باب غرفته، باسم "أبدا" (Allan Poe، 2017، صفحة 31).

المقطع السادس

الراوي يعبر عن دهشته من الغراب، الذي يظهر غير مرغوب فيه ولكنه يتحدث بوضوح غير متوقع. رغم أن إجابة الغراب "أبدا" تبدو بلا معنى واضح بالنسبة للراوي، فإنه يظل متأملاً في الطبيعة الغريبة لهذه التجربة. يعبر الراوي عن استحالة أن يكون أي إنسان حي قد شهد من قبل طائرًا أو وحشًا جالسًا فوق تمثال نصفي منحوت فوق باب غرفته، يردد كلمة: "أبدا".

تحليل الرموز

1. الطائر غير المرغوب فيه: يشير هذا الوصف إلى شعور الراوي بأن الغراب جاء دون دعوة، وربما يمثل أفكارًا أو مشاعر غير مرغوب فيها أو غير مرحب بها. هذه المشاعر قد تكون مرتبطة بالحزن، الفقدان، أو القلق.

2. الخطاب بوضوح شديد: يعكس الكلام الواضح للغراب شعور الراوي بأن هناك رسالة واضحة أو معنى خلف وجود هذا الطائر، رغم أن الإجابة قد تبدو غير مفهومة أو غير منطقية.

3. إجابته لا معنى لها: يشير إلى الحيرة التي يشعر بها الراوي إزاء كلمة "أبدا". هذا يعكس عدم القدرة على فهم أو قبول الواقع المرير أو الحزن الدائم.

4. لا يسعنا إلا أن نتفق: يعبر هذا عن محاولة الراوي لإيجاد تفسير منطقي أو قبول للأحداث الغريبة التي يمر بها؛ مما يعكس الصراع الداخلي بين العقلانية والمشاعر الغامضة.

5. لم ينعم أي إنسان حي بعد برؤية طائر فوق باب غرفته: يعبر عن فرادة وغرابة التجربة التي يعيشها الراوي، مشيرًا إلى أنها تجربة غير مسبوقة وغير مألوفة؛ مما يزيد من شعوره بالعزلة والتفرد في معاناته.

6. تمثال نصفي منحوت فوق باب غرفته: يرمز التمثال النصفي، كما ذكرنا سابقًا، إلى الحكمة والمعرفة، وجود الغراب فوق هذا التمثال يعزز فكرة التناقض بين الحكمة والفوضى، وبين المعرفة والجهل؛ مما يعكس الصراع الداخلي للراوي.

7. كلمة "أبدا": تستمر في كونها رمزًا للنهائية واليأس. تكرار هذه الكلمة يعزز من الشعور بأن هناك شيئًا لا يمكن تغييره أو تجاوزه؛ مما يثقل على الراوي على نحوٍ كبير.

النص يعكس حالة من الدهشة والحيرة التي يشعر بها الراوي تجاه وجود الغراب وكلماته. الراوي يجد صعوبة في فهم أو قبول هذه التجربة الغامضة وغير المألوفة. كلمة "أبدا" تصبح رمزًا لليأس الدائم والنهائية التي تسيطر على مشاعر الراوي. النص يعكس الصراع الداخلي بين محاولة الفهم العقلاني للموقف وبين المشاعر العميقة والمعقدة التي تسيطر على الراوي (Allan Poe، 2017، الصفحات 32-33).

وهنا "أوت الغراب، جالسا وحيدا على تمثال نصفي هادئ، تحدث فقط تلك الكلمة الواحدة، كما لو أن روحه في تلك الكلمة الواحدة التي سكبها. لا شيء أبعد من ذلك، نطق – ولا ريشة ثم رفرف – حتى بالكاد تمتم أكثر من "أصدقاء آخرون طاروا من قبل – في الغد سيتركني، كما طارت آمالي من قبل." ثم قال الطائر: "أبدا" (Allan Poe، 2017، صفحة 34).

المقطع السابع

يواصل الشاعر الحديث عن أحزانه ومأساته، وقد عبر في هذا المقطع عن مخاوفه التي تسكن بداخله.

تحليل الرموز

1. الوحدة والانعزال: "جالسا وحيدا" يصف حالة من الوحدة والانعزال التي يعيشها المتحدث. هذا الشعور يتكرر طوال القصيدة؛ مما يعكس الحزن واليأس العميقين.
2. الغراب رمزًا: الغراب في الأدب غالباً ما يكون رمزاً للتشاؤم والموت. وجوده هنا يشير إلى شيء مظلم ومأساوي في حياة المتحدث.
3. الكلمة الواحدة: "تلك الكلمة الواحدة" التي يقولها الغراب هي "أبدا"؛ هذه الكلمة تحمل وزنًا كبيرًا وتعبر عن نهائية الأشياء وعدم وجود أمل أو تغيير في المستقبل.
4. تكرار الكلمة: تكرار الغراب لكلمة "أبدا" يرمز إلى استحالة الهروب من الحزن أو الفقدان. كلما سأل المتحدث سؤالاً، كانت الإجابة هي نفسها؛ مما يعمق شعوره باليأس.
5. التفاعل مع الغراب: محادثة المتحدث مع الغراب تعكس محاولته فهم مصيره والمصير المحتوم للفراق والألم. الغراب، الذي لا يتكلم سوى تلك الكلمة، يمثل الحقيقة الباردة والقاسية التي لا تتغير.
6. الرموز الدينية والفلسفية: استخدام عبارة "روحه في تلك الكلمة الواحدة التي سكبها" يمكن أن يرمز إلى الاعتقاد بأن الغراب يحمل رسالة من العالم الآخر أو من قوى أكبر؛ مما يضيف طبقة من الغموض والرعب.

7. الأمل المفقود: "في الغد سيتركني، كما طارت آمالي من قبل" يعكس الفقدان المستمر للأمل والشعور بأن كل شيء جيد سيختفي في النهاية. هذه الفكرة تتعزز برد الغراب المتكرر "أبدا".

من خلال هذه العناصر، يخلق إدغار آلان بو جوًا من الكآبة واليأس؛ إذ يصبح الغراب رمزًا لفقدان الأمل والنهائية التي لا يمكن الهروب منها (Allan Poe، 2017، صفحة 34).

وهنا " قال لي، منزعجا من السكون الذي كسره الرد الذي تحدث باقتدار، "بلا شك"، "ما ينطق به هو مخزونه ومتجره الوحيد الذي تم القبض عليه من سيد تعيس تبعته كارثة غير رحيمة بسرعة وتبعته بشكل أسرع حتى تحمل أغانيه عبئا واحدا – حتى يتدفق أمله الذي تحمله العبء الكئيب "أبدا – أبدا" (Allan Poe، 2017، صفحة 34).

المقطع الثامن

هذا المقطع يعمق من رمزية الغراب ويستكشف العلاقة بينه وبين المتحدث، مسلطًا الضوء على بعض الأفكار والمشاعر المعقدة.

تحليل الرموز

1. الانزعاج من السكون: العبارة "منزعجا من السكون الذي كسره الرد" تعكس حالة عدم الارتياح والاضطراب لدى المتحدث، الذي يبدو أن الردود البسيطة والمتكررة للغراب تثير فيه شعورًا بعدم الارتياح.
2. الغراب رمزًا للقدر التعيس: الإشارة إلى أن الغراب "ما ينطق به هو مخزونه ومتجره الوحيد الذي تم القبض عليه من سيد تعيس" تربط الغراب بمصدر من الحزن والتعاسة. الغراب هنا ليس فقط طائرًا عاديًّا بل هو رسول يحمل في طياته مشاعر الكآبة واليأس التي عاشها سيده السابق.
3. الكارثة غير الرحيمة: تعبير "كارثة غير رحيمة" يشير إلى أحداث مأساوية ومدمرة. هذا الوصف يعمق الإحساس بالكآبة التي تحيط بالغراب والمتحدث؛ مما يربطهما بتجارب سابقة مليئة بالمعاناة.

4. الأغاني الكئيبة: "حتى تحمل أغانيه عبئا واحدا" يشير إلى أن الغراب يغني أغاني تحمل في طياتها حملًا ثقيلاً من الحزن. الغراب هنا هو وسيلة لنقل هذه المشاعر الثقيلة، وكأن وجوده نفسه هو تذكير دائم للمتحدث باليأس والفقدان.
5. الأمل المفقود: العبارة "حتى يتدفق أمله الذي تحمله العبء الكئيب "أبدا – أبدا"" تعبر عن الفقدان الدائم للأمل. كل ما يستطيع الغراب نقله هو فكرة أن الأمل لن يعود أبدًا. هذا يعزز الشعور بالنهائية واليأس الذي يسيطر على القصيدة.
6. الاستنتاج النفسي: المتحدث يحاول أن يجد تفسيرًا عقلانيًّا لوجود الغراب وكلماته. قوله "بلا شك" يشير إلى محاولته لإقناع نفسه بأن الغراب مجرد ناقل لأغاني سيده السابق، لكن الحقيقة القاسية التي ينقلها الطائر تبقى تزعجه.

قدم إدغار آلان بو وصفًا معقدًا للعلاقة بين الإنسان واليأس؛ إذ يصبح الغراب رمزًا مستمرًّا للألم والنهائية التي لا يمكن الهروب منها. المتحدث يحاول فهم الغراب وكلماته، لكنه يجد نفسه محاصرًا في دائرة من الكآبة والتشاؤم (Allan Poe، 2017، صفحة 35).

وهنا "لا يزال الغراب يخدع كل روحي الحزينة في الابتسام، مستقيم قمت بتحريك مقعد مبطن أمام الطائر وتمثال نصفي وباب. ثم، عند غرق المحمل، أخذت على عاتقي ربط الهوى بالهوى، والتفكير في ما يعنيه هذا الطائر المشؤوم – ما يعنيه هذا الطائر القاتم، غير المرغوب فيه، المروع، الهزيل، والمشؤوم في النعيق "أبدًا" (Allan Poe، 2017، صفحة 35).

المقطع التاسع

سيطر على النص جو كئيب وحزين؛ إذ يعبر الراوي عن شعور عميق بالحزن والوحدة. الغراب، الذي يُعد رمزا للموت والحزن، يعزز هذا الجو من خلال وجوده وصوته المتكرر بكلمة "أبدا".

تحليل الرموز

1. الغراب: الغراب في الأدب غالبًا ما يرتبط بالموت والعزلة. في هذه القصيدة، يظهر الغراب رمزًا للألم الذي لا ينتهي وللحزن الذي يستمر. وجوده الدائم وتكراره لكلمة "أبدا" يُشير إلى فقدان الأمل واستمرار الألم.
2. المخمل: المخمل يُعبر عن الفخامة والدفء، ولكنه في هذا السياق يُظهر التناقض مع الحزن العميق الذي يشعر به الراوي. المخمل هنا قد يرمز إلى الذكريات الجميلة التي تُغرق الراوي في المزيد من الحزن.
3. التمثال النصفي والباب: التمثال النصفي يُمكن أن يرمز إلى الحكمة أو المعرفة، بينما الباب يُمثل الحدود بين العوالم أو الحالات النفسية. وجود الغراب على التمثال بالقرب من الباب يمكن تفسيره على أنه تذكير دائم بالمعرفة المؤلمة أو الحكمة التي جاءت من خلال التجربة الحزينة، وأنه لا مفر من مواجهة هذه المعرفة.

أما الراوي فيُظهر علامات الحزن العميق والعزلة. ومحاولة ربط الهوى بالهوى تعبر عن محاولته لفهم ومعالجتها مشاعره، ولكنه يواجه عجزًا أمام وجود الغراب ورسالته المتكررة بـ "أبدا". هذا يوضح شعور الراوي بالعجز واليأس المستمر.

يتناول المقطع الحزن المستمر والألم النفسي الذي لا يمكن الهروب منه. يُجسد الغراب هذا الألم، بينما تعكس عناصر المخمل والتمثال النصفي والباب محاولات الراوي لفهم والتعايش مع معاناته، لكنها تظل بلا جدوى (Allan Poe، 2017، صفحة 36). "جلست منخرطا في التخمين، لكن لا يوجد مقطع لفظي يعبر عن الطيور التي تحترق عيناها الناريتان الآن في قلب حضني. هذا وأكثر جلست العرافة، ورأسي مرتاح مستلق على بطانة الوسادة المخملية التي شمها ضوء المصباح، لكن بطانة البنفسج المخملية مع شماتة ضوء المصباح، ستضغط، آه، أبدا!" (Allan Poe، 2017، صفحة 38).

المقطع العاشر

النص يواصل جوه الكئيب والمشؤوم، مع زيادة الإحساس بالعزلة واليأس. الراوي يعبر عن مشاعر الحيرة وعدم الفهم، ويحاول إيجاد معنى لوجود الغراب وما يمثله.

تحليل الرموز

1. الطائر بعيون نارية: الطيور بعيون نارية تُعبر عن الطبيعة المخيفة للغراب. العيون النارية قد ترمز إلى الغضب أو الحكم؛ مما يعزز شعور الراوي بالخوف والعجز أمام هذا الكائن الغامض.
2. الوسادة المخملية: الوسادة المخملية تُعبر عن الراحة والفخامة، لكنها هنا تحمل شعورا بالتناقض. الراوي يجد نفسه مستلقيا عليها، لكن هذا لا يوفر له الراحة النفسية. المخمل البنفسجي يمكن أن يرمز إلى الحزن أو الملكية؛ إذ يعكس المشاعر المعقدة التي يمر بها الراوي.
3. الضوء: ضوء المصباح يعكس الحقيقة أو الوعي. شماته الضوء على الوسادة البنفسجية تشير إلى كيفية إلقاء الضوء على الذكريات الحزينة أو الحقائق المؤلمة التي لا يستطيع الراوي الهروب منها.
4. الضغط "أبدا!": التكرار في النهاية "ستضغط، آه، أبدا!" يعزز فكرة استمرارية الحزن واليأس. هذا الشعور بالضغوط المستمرة على الراوي يجسد عدم قدرته على التخلص من معاناته.

الراوي يُظهر علامات العجز واليأس المستمر. جلوسه مع "العرافة" يرمز إلى محاولته للبحث عن إجابات وفهم لمشاعره، لكنه يواجه فقط المزيد من الغموض والعزلة. الهواء الذي أصبح أكثر كثافة ومعطرًا من الغيب يمكن أن يرمز إلى حضور غير مرئي أو تأثير لا يمكن فهمه ولكنه ملموس بشدة. وقد عبر المقطع عن اليأس العميق واستمرارية الحزن الذي لا مفر منه. الغراب بعيونه النارية والوسادة المخملية مع شماتة الضوء كلها تعبر عن الطبيعة المتناقضة للتجربة الإنسانية؛ إذ البحث عن الراحة قد يأتي مع مواجهة حقائق مؤلمة (Allan Poe، 2017، الصفحات 37–38).

المقطع الحادي عشر

النص يعبر عن الجو الكئيب والمشحون بالعواطف الثقيلة. وبدأ الشاعر بالتلميح للأمل المؤقت في العثور على الراحة من الحزن، لكن هذا الأمل يتبدد سريعًا.

تحليل الرموز

1. المبخرة: المبخرة في الأدب غالبًا ما ترتبط بالطقوس الدينية والتطهير الروحي، في هذا السياق، قد ترمز إلى محاولة تطهير الروح من الأحزان والذكريات المؤلمة. لكن هذا التطهير يبدو غير كافٍ أو غير فعّال في مواجهة الحزن العميق للراوي.
2. السيرافيم: السيرافيم هي نوع من الملائكة في التقاليد المسيحية، تُعرف بكونها الأقرب إلى الله. وجود السيرافيم يُشير إلى تدخل إلهي أو مساعدة سماوية. لكن على الرغم من هذا التدخل، يبقى الحزن قوياً.
3. "البائس" و"إلهك أقرضك": الراوي يصرخ في محاولة للحصول على الراحة من خلال النسيان. هذا يُظهر عمق اليأس والحاجة الملحة للراحة من الحزن.
4. "الراحة من ذكرياتك عن لينور": الذكريات عن لينور تُعذب الراوي، والبحث عن الراحة منها هو محور هذا الجزء من القصيدة. لينور، التي يمكن أن تكون رمزًا للحب المفقود أو النقاء المفقود، تظل مصدرًا دائمًا للحزن.
5. النبتة (nepenthe): النبتة هي مادة أسطورية يُعتقد أنها تُسبب النسيان. هنا، تمثل الرغبة في الهروب من الألم عبر النسيان. استخدام النبتة يبرز مدى الحزن والرغبة العميقة في التخلص من الذكريات المؤلمة.
6. "أبدا": رد الغراب المتكرر بـ "أبدا" يعزز الشعور باليأس الدائم. إنه يُذكر الراوي على نحوٍ مستمر بأن النسيان والراحة لن يكونا ممكنين.

أما الراوي هنا فيُظهر علامات اليأس العميق والانكسار. صرخاته وطلبه للمساعدة تُظهر كم هو متعطش للراحة. وجود الملائكة والسيرافيم يعكس أمله في الحصول على مساعدة إلهية، لكن رفض الغراب المتكرر يُعمق شعوره بالعجز واليأس.

هذا المقطع يدور حول الحزن العميق الذي لا يمكن الهروب منه. على الرغم من التدخلات السماوية والبحث اليائس عن النسيان، يظل الراوي محاصرًا في حزنه. الغراب، برمزيته للموت والفقدان، يعزز فكرة أن بعض الأحزان لا يمكن الهروب منها (Allan Poe، 2017، صفحة 39).

المقطع الثاني عشر

في هذا المقطع سيطر الحزن على النص، وكان مملوءًا بالإلحاح واليأس. وقد سعى إدغار ألان بو للحصول على إجابات وراحة من معاناته النفسية، لكنه يُقابل بالرفض المتكرر.

تحليل الرموز

1. شيء من الشر: يشير هذا إلى وجود شيء شرير أو معادٍ يتجسد في الغراب، هذا يعزز الفكرة أن الغراب ليس مجرد طائر، بل هو كائن يحمل معه مشاعر وظلالًا مظلمة.
2. النبي لا يزال، إذا كان طائرا أو شيطانا!: الراوي يتساءل عما إذا كان الغراب مجرد طائر أو كائن شيطاني. كلمة "نبي" هنا تُعطي الغراب دورًا أكثر أهمية؛ كونه يحمل رسالة أو رؤية؛ هذا يُعزز الشعور بأن الغراب يحمل معرفة خفية أو قدرًا محتوما.
3. سواء أرسل المجرب: المجرب يُشير إلى الشيطان أو كائن شرير آخر. هذا يُعزز فكرة أن الغراب قد يكون أداة للشر، أرسل لتعذيب الراوي.
4. العاصفة قذفتك هنا إلى الشاطئ: يشير هذا إلى القوة العنيفة التي جلبت الغراب إلى الراوي. العاصفة ترمز إلى الفوضى والاضطراب العاطفي؛ مما يعكس حالة الراوي النفسية.

5. الأرض الصحراوية المسحورة: الأرض الصحراوية المسحورة تُعبر عن العزلة واليأس. الصحراء تمثل مكانًا بلا حياة، والمسحورة تُشير إلى أنه مكان محاصر بالسحر أو الكآبة.
6. المنزل من قبل الرعب مسكون: المنزل المسكون بالرعب يُعبر عن الحالة النفسية للراوي. هذا المنزل يمكن أن يكون عقله، الذي يسكنه الرعب والألم.
7. بلسم في جلعاد: بلسم جلعاد هو مرهم شافٍ ذُكر في الكتاب المقدس، يُستخدم هنا رمزًا للراحة والخلاص. الراوي يتساءل إذا كان هناك أي أمل أو راحة من معاناته.

أما الراوي هنا فيُظهر علامات اليأس المتزايد والعجز. يسعى بيأس للحصول على إجابة تُخفف من ألمه، لكنه يُقابل بالرفض المتكرر. سؤاله عن بلسم جلعاد يُعبر عن رغبته العميقة في الشفاء والراحة، ولكنه يُواجه بإجابة الغراب القاسية "أبدا".

في هذا المقطع تدور حول البحث اليائس عن الراحة والخلاص في مواجهة الألم العميق. الغراب يُمثل اليأس المستمر والرفض الدائم للأمل. عدم وجود "بلسم في جلعاد" يُعزز فكرة أن الراوي محاصر في معاناته دون أمل في الخلاص (Allan Poe، 2017، صفحة 40).

المقطع الأخير

النص هنا مظلم وكئيب؛ إذ يسيطر عليه الإلحاح واليأس. الشاعر يوجه سؤاله الأخير بقلق وتوتر، متوسلاً للغراب للحصول على إجابة حول مصير حبيبته لينور. وقد عبر الشاعر عن ذروة التوتر والانهيار النفسي التي مر بها، ويستمر في استخدام الرموز والإيحاءات القوية لتجسيد هذه المشاعر. وقد عبر عن النهاية المأساوية واليائسة للشاعر، ويستخدم الرموز القوية لتعزيز الأثر العاطفي والنفسي.

تحليل الرموز

شيء من الشر

1. التعبير "شيء من الشر" يعزز فكرة أن الغراب يمثل قوى الظلام والشر. الشاعر يستمر في رؤية الغراب كائنًا معاديًا يحمل معه الأخبار السيئة. *النبي، إذا كان طائرا أو شيطانا!*:
2. الشاعر يستمر في التأكيد على أن الغراب يحمل رسالة أو نبوة، سواء أكان طائرًا عاديًّا أم شيطانًا متجسدًا؛ هذا يشير إلى أن الغراب ليس مجرد طائر بل هو رمز لمعرفة مظلمة أو قدر محتوم.
3. السماء التي تنحني فوقنا: السماء تُعبر عن الإلهية والقدر، والشاعر يستخدمها هنا؛ ليعطي أهمية وسلطة لما يسأل عنه، وكأنه يستدعي القوى العليا لإجبار الغراب على الإجابة.
4. الإله الذي نعبده: الإشارة إلى الله تُعبر عن الأمل الأخير للشاعر في الحصول على إجابة أو راحة. الشاعر يستخدم اسم الله كنوع من الاستدعاء المقدس في محاولته للحصول على الحقيقة.
5. أيدن البعيدة: أيدن تُشير إلى الجنة أو الفردوس، وهو مكان الراحة الأبدية والسلام. الراوي يتساءل إذا كانت حبيبته لينور قد وجدت الراحة والسلام في الجنة.
6. عذراء قديسة تسميها الملائكة لينور: لينور تُعبر عن النقاء والجمال، وهي رمز للحب المفقود والأمل المفقود. السؤال عن مصيرها في الجنة يُعبر عن رغبة الراوي في معرفة إذا كانت قد وجدت السلام بعد الموت.
7. الطائر أو الشرير: يشير هذا التعبير إلى أن الراوي يرى الغراب كائنًا شريرًا يحمل معه رسائل أو مشاعر مظلمة، سواء أكان طائرًا عاديًّا أم كائنًا خارقًا.
8. العاصفة وشاطئ الليل البلوتوني: العاصفة ترمز إلى الفوضى والعواطف العنيفة، بينما "شاطئ الليل البلوتوني" يُشير إلى العالم السفلي أو الجحيم في الأساطير الإغريقية، هذا يعزز فكرة أن الغراب يأتي من مكان مظلم ومخيف.

9. عمودا أسود رمزًا لتلك الكذبة: العمود الأسود يمثل الغراب نفسه أو وجوده الدائم كرمز للكذب أو الخداع الذي يشعر به الراوي. الراوي يريد إزالة هذا الرمز من حياته ومن مساحته الشخصية.
10. اترك وحدتي دون انقطاع: هذه العبارة تعبر عن رغبة الراوي في العزلة والراحة دون تدخل الغراب المزعج. يريد الراوي أن يعود إلى حالته الأصلية من العزلة دون وجود الغراب الذي يذكّره بالألم.
11. التمثال النصفي فوق بابي: التمثال النصفي يرمز إلى الحكمة أو الذاكرة. وجود الغراب عليه يُشير إلى سيطرة الأفكار السوداوية على عقل الراوي. يطالب الراوي بإزالة الغراب ليتمكن من التخلص من الأفكار المظلمة والذكريات المؤلمة.
12. خذ منقارك من قلبي: هذه العبارة تصور مدى الألم العاطفي الذي يعاني منه الراوي. منقار الغراب في القلب يُمثل الألم العاطفي العميق الذي يسببه وجود الغراب.
13. شكلك من باب منزلي: يريد الراوي إزالة حضور الغراب من حياته ومنزله؛ مما يشير إلى رغبته في التخلص من الألم والحزن الذي يمثله الغراب.
14. الغراب: الغراب يظل جالسًا بلا حركة على التمثال النصفي. وجوده المستمر يرمز إلى الحزن والألم الذي لا يختفي أبدًا. الغراب هنا يمثل اليأس القابع الذي لا يمكن التخلص منه.
15. تمثال نصفي شاحب لبالاس: بالاس (أثينا) هي آلهة الحكمة والحرب في الأساطير اليونانية. التمثال النصفي لها فوق الباب يرمز إلى الحكمة أو المعرفة. الغراب الجالس عليه يُشير إلى أن هذه الحكمة قد أصبحت مشوهة أو مُظللة باليأس.
16. عيناه تبدوان كل ما يبدو وكأنه شيطان يحلم: عيون الغراب التي تبدو كعيون شيطان نائم تعزز فكرة الرعب واليأس العميق. العيون تعكس الحالة النفسية للراوي، وكأنها مرآة لأحلامه وكوابيسه المستمرة.

17. ضوء المصباح الذي يتدفق بظله على الأرض: ضوء المصباح هنا يمثل الحقيقة أو الإدراك، ولكن الظل الذي يُلقيه يرمز إلى الظلام أو اليأس. الضوء يعكس الظل على الأرض؛ مما يشير إلى أن الحقيقة نفسها محاطة بالحزن والظلام.

18. روحي من خارج ذلك الظل الذي يطفو على الأرض سترفع – أبدا!: هذا السطر يعبر عن الاستسلام الكامل. الروح التي لن تُرفع أبدًا من الظل تعبر عن الإحساس بأن الراوي محاصر في اليأس والحزن، ولا يرى أي أمل في الخلاص أو الراحة.

19. الثبات: الثبات الدائم للغراب يعكس ثبات الحزن واليأس في حياة الراوي. عدم حركة الغراب يشير إلى أن هذا الشعور لا يتغير ولا يزول.

20. الظل: الظل يمثل الجانب المظلم للحياة والمعاناة النفسية التي يعيشها الراوي. الضوء الذي يلقي الظل يشير إلى أن الحقيقة والنور في حياة الراوي مشوهة بالحزن.

21 النهاية: نهاية النص بجملة "أبدا!" تعكس النتيجة النهائية لليأس المستمر. استخدام الكلمة في النهاية يُعطي شعورًا بالإغلاق واليأس الأبدي.

التحليل النفسي للراوي

أما الشاعر فيُظهر علامات اليأس العميق والألم الشديد. في هذا المقطع، يبحث الشاعر عن إجابة نهائية حول مصير لينور في الحياة الآخرة، وكأنه يسعى للحصول على بعض الراحة والاطمئنان من معرفة أن حبيبته في مكان أفضل. وهذا المقطع يدور حول البحث اليائس عن الراحة والخلاص الروحي في مواجهة الألم العميق. الغراب، برمزيته للموت والفقدان، يرفض تقديم هذا الأمل؛ مما يعزز فكرة أن الراوي محاصر في معاناته دون أي أمل في الخلاص أو الراحة. ويطالب الغراب بمغادرة حياته ليتخلص من الألم الذي يسبب له. التكرار المستمر لرفض الغراب يغذي إحساس الراوي بالعجز واليأس (Allan Poe، 2017، الصفحات 40–44).

وهكذا فإنَّ قصيدة الغراب من أكثر الأعمال الأدبية انتشارًا وشهرة؛ وهذا العمل الأدبي يعكس براعة الشاعر في استخدام الرمزية واللغة لإيصال مشاعر الحزن واليأس، تبقى هذه القصيدة حتى اليوم مصدر إلهام للقراء والكتاب، وتعكس عبقرية بو الأدبية.

وهكذا كان الغراب رمزًا للظلم والشر والحزن، في الحضارة البابلية وشكل الغراب محورًا أساسيًّا للطوفان وملحمة جلجامش؛ فقد ذهب دون عودة ولم يأتِ لهم بخبر الأرض؛ أما في آسيا فكان الغراب من المقدسات التي تعبد وقد قدسهُ سكان آسيا؛ وذلك لأنه ارتبط بأسطورة الخلق وكون الغراب في معتقداتهم هو خالق الأرض الأول. عند الهنود الحمر كان الغراب رمزًا للشؤم والخراب؛ وذلك تبعًا للونه الأسود، وقد عدوه من الطيور المقدسة؛ لأنه من الطيور التي تستطيع العيش لفترة طويلة؛ أما الغراب في الكتاب المقدس فيرمز إلى الخطيئة؛ وذلك لأنه أكل الجيف التي أغرقها الرب، ورمز إلى الخراب الذي سيحل بالشعوب التي عادت اليهود وسيحل الخراب عليهم وتسكن بيوتهم الغربان. عند اليونانيين والرومانيين كان الغراب رمزًا للحكمة والذكاء، وقد كانوا من أكثر الشعوب التي استخدمت الغراب في الفنون والأدب، وقد مثلت دور الطيور العصية؛ لأنها خاضعة لسيطرة الرب وليس لسيطرة البشر. وقد ساعدت طيور الغربان ماركوس فاليريوس في معركته ضد الأعداء؛ لذلك بقي الغراب محافظًا على قداسته؛ أما الغراب في الثقافات الجرمانية فقد لعب دور طائر الآلهة وقد كان يخبره بكل ما يحصل في العالم، وقد كان سببًا في انتشار الشعر والأقوال الجميلة في العالم.

المبحث الثاني: الغراب في الشعر العربي

ذُكر الغراب في الأدب العربي، وفي القرآن الكريم؛ إذ ارتبط بدلالات رمزية مختلفة؛ ففي القرآن، جاء ذكره في قصة ابني آدم؛ عندما أرسل الله غراباً ليعلّم القاتل كيف يدفن أخاه، في قوله تعالى:﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[المائدة:31]؛ ليصبح الغراب رمزاً للمعرفة الفطرية المتوافقة مع الذات الإنسانية. وفي الشعر الجاهلي، استخدم الشعراء الغراب رمزًا للفراق والموت؛ إذ كان ظهوره نذير شؤم يوحي بوقوع المصائب، كما في قول قيس بن الملوح (ت 688م):

أَلا يا غُرابَ البَينِ ما لَكَ كُلَّما تَذَكَّرتُ لَيلى طِرتَ لي عَن شَمالِيا

(بن ذريح، ديوان قيس بن ذريح، 2003م، صفحة 46)

وفي العصر الأموي، ظل الغراب رمزاً للفراق والألم الداخلي؛ إذ كثيراً ما ورد في أشعار المراثي والحنين إلى الأحبة. ورد في ذلك مما قاله أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصيّ السّتاليّ عن جميل بن معمر (جميل بثينة) (ت 701م)، وعن طائر الغراب:

فلو أَن في عصري جميل معمَّر تَشكَّى الهوى علّمتُه كيف يعشقُ

ألا يا غرابَ البين لو كنتَ غُدوةً تفارق مَن تهواه لمتبقَ تتعقُ

ويا أَيها الواشي بنا لو لقيتَ ما نُلاقيه أعياكَ الحديثُ الملفَّقُ

(السّتاليّ، 1992م، صفحة 304)

في هذه الأبيات، يشير الستالي إلى جميل وإلى الغراب رمزًا للفراق والحزن الذي يرافق العشاق؛ إذ يعبر عن انزعاجه من صوت الغراب الذي يُذكّره بآلام الفراق؛ مما يضفي على الغراب معنى الشؤم

والألم الداخلي؛ أما في الشعر العباسي، فقد أخذت صورة الغراب بُعداً فلسفياً؛ إذ صار رمـــزاً للـــزمن والعمر الفاني، فكأن مروره يُذكّر الشاعر بقرب النهاية وزوال العمر.

زَعَـــــمَ الغُـــــرابُ مُنَبِّـــــئُ الأَنبـــــاءِ أَنَّ الأَحِبَّـــــــةَ آذَنَـــــــوا بِتَنـــــــاءِ

في هذا البيت؛ يعبر الشاعر عن حزن الشاعر لسماع خبر فراق الأحبة؛ وكأن الغراب جاء ينبئه بهـــذا الخبر المؤلم، مما يضيف لمسة من التشاؤم والحسرة (البحتري، 1962م، صفحة 61).

المطلب الأوَّل: الغراب في الشعر الجاهلي

منذ وجود الإنسان، كانت حياته بدائية؛ يعيش في الطبيعة ويسعى كل يوم لاكتشاف شيء جديـــد. وقـــد سعى الإنسان إلى اكتشاف الحيوانات والنباتات والطيور، ومن هذه الطيور طائر الغراب، الذي يُعد من الطيور المعروفة منذ الأزل. تشاءم الناس منه على مر العصور؛ بسبب صوته الحاد والعـــالي ولونـــه الأسود، وكان العصر الجاهلي من أكثر العصور تشاؤمًا من الغراب. ومن المعروف عن النـــاس فـــي العصر الجاهلي أنهم كانوا يعيشون في جو يسوده الجهل والتخلف، وكانوا يعبدون الأصنام؛ لأنهم كانوا غير مدركين لحقيقة الدين الإسلامي. في ذلك العصر، كانت هناك ظاهرة منتشـــرة ومعروفـــة وهـــي ظاهرة التطير؛ أي التشاؤم من بعض الأشياء. وعندما جاء الإسلام، نفى هذه العادات الجاهلية وحرمها.

الطيرة[1]

كان الإنسانُ في الجاهليةِ إذا أراد أن يقوم بعملٍ ما، لجأَ إلى الطِّيَرة: فالطِّيَرةُ هنا هي ما ردَّهُ وأمضـــاه. "فإن وجد اليمينَ قال: يَمنٌ وبركة، فأمضى إلى ما يريد، وإن وجد الشمالَ تَشاءم" (عبد الغفار، 2016م، صفحة 2). باختصارٍ كان الإنسانُ الجاهليُّ إذا قام بعملٍ ما يتطيرُ قبلَ ذلك العملِ، عن طريق إحضـــارِ طائرٍ، فإن طار جهةَ اليمينِ تَفَاءَل، وإن طار جهةَ اليسارِ تَشاءم.

[1] "الطيرة: مصدر من تطير وهو التشاؤم، وهذه الطيرة مأخوذة أصلاً من الطير، حيث كان أهل الجاهلية يعتقدون في الطير، فكان الواحد منهم إذا أراد الزواج أو أراد التجارة أو أراد الرحلة في السفر لأمر ما كان ينظر في الطير وهو يطير، فإن ذهب الطير يميناً تيمن، وقال: هذا من البركة فرحل أو مضى على ما أراد، وإن ذهب الطير شمالاً تشاءم، وقال: هذا من الشؤم بمكان فأوقفه". (عبد الغفار، 2016م، صفحة 2)

لم يتوقفْ التطيُّرُ لدى الإنسانِ الجاهليِّ على الطيورِ فقط، بل تعدى ذلك للتشاؤمِ من الأشخاصِ والأشجارِ والحجارةِ، وكذلك الأيامِ والشهورِ والسنينِ وحتى الجمادات. "فكانوا يتطيرون بالغرابِ وبالبومِ وبعضِ الطيورِ الأخرى، ويتطيرون أيضاً بالثعالب، فإذا رأى أحدهم ثعلباً لم يذهبْ إلى ما أراده من تجارةٍ أو من زواج، وأعجبَ من ذلك أنهم تطيروا بالصالحين وتشاءموا بهم! وهذا عكس ما جاء به النبيُّ ﷺ، وعكس ما شرعه الله جلَّ في علاه؛ إذ البركةُ مع أهلِ الطاعة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:96].

فسببُ البركاتِ هو الإيمان؛ ولذلك ترى الفاجرَ الفاسقَ عنده آلافٌ من الدراهمِ ومع ذلك لا يدري فيمَ أُنفقت، بينما الرجلُ الصالحُ ترى عنده مائةَ درهمٍ ومع إنفاقه منها لم تنتهِ؛ لأن فيها البركة، وهذا مصداقٌ لقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:132]. فالرزقُ مع الصالحين؛ ولذلك قال العلماء: إن المرأةَ الصالحةَ بركةٌ في البيت، والمرأةَ الطالحةَ شؤمٌ في البيت" (عبد الغفار، 2016م، صفحة 2). "ونهى الشرع عن الطيرة فتقول: قد حرمت الطيرة على نفسي؛ لأن الشرع قد حرمها" (عبد الغفار، 2016م، صفحة 9).

تكبر أهل الجاهلية على دين الله وعبدوا الأصنام، معتقدين أنها تنفعهم وتدفع الشر. كانوا يعلقون التمائم والخرز، ويستخدمون حلقات من معادن مختلفة للأطفال، ويعتقدون أنها تعالج الحمى وتقي من الحسد. كما اعتقدوا في كعب الأرنب وعظام الطيور والحيوانات كرموز للحماية، مما يعكس عقائدهم الباطلة.." (عبد الغفار، 2016م، صفحة 5).

التطيُّرُ بالغرابِ: كان العربُ في الجاهليةِ يستخدمون طائرَ الغرابِ إذا أرادوا القيامَ بعملٍ ما. يقومون بتطييرِ الغرابِ، فإذا طار نحوَ اليمينِ قاموا بالعملِ المقصودِ، وإذا طار نحوَ اليسارِ أعرضوا عنه.

وقد قال الشعراء في الطيرة هذه الأبيات:

جـــرى يـــوم رحنـــا بالجمـــال نزفّهـــا عقـــاب وشـــحّاج مـــن البـــين يبـــرح

وفي بيت آخر:

زعـــم البـــوارح أنّ رحلتنـــا غـــدا وبـــذاك خبّرنـــا الغـــراب الأســـود

وفي بيت آخر:

رأيـــت غرابـــا واقعـــا فـــوق بانـــة ينتّـــف أعلـــى ريشـــه ويطـــايره

(الجاحظ ع.، 1424ه، صفحة 208)

كما ورد في الكتاب "أصل التطيّر مرتبط بالطير، حيث كان الناس يتشاءمون عند رؤية طيور معينة أو حالات معينة مثل الأعور أو الأبتر. وقد اشتقوا مصطلح التطيّر من زجر الطيور. يُطلق على الشخص المتشائم "الخثارم"، ويُشير النص إلى نوعين من الطيور: الغراب (حاتم) والصرد (الواقي)، حيث يُعتقد أن زجر الغراب يرتبط بالغربة، بينما يرتبط الصرد بالبرد.". وقد قال الشاعر:

دعا صـــرد يومـــا علـــى غصـــن شـــوحط وصـــاح بـــذات البـــين منهـــا غرابهـــا

(الجاحظ ع.، 1424ه، صفحة 208)

يعود سبب التطير من الغراب إلى تعلقه بلفظ الغربة بمعنى النزوح عن الوطن والأهل والأحبة (الزيات، 1388ه، صفحة 21). علل الجاحظ أصل التطير بمرور الطيور، خاصة الغربان، من اليمين أو اليسار. أشار إلى أن الغراب يُعتبر نذير شؤم بسبب لونه الأسود أو اختلاف ألوانه، ووجوده في أماكن بعيدة عن الخيام. كما اعتبر أن الغربان تُعتبر مصدر خوف للإبل، بسبب حدة بصرها، مما جعلها تُلقب بالأعور." (الزيات، 1388ه، صفحة 21).

الغراب والفراق والطلل

عُرِفَ الغُرابُ في الجاهلية رمزًا للفِراق والموت؛ وذلكَ بسببِ تَطَيُّرِ الإنسانِ الجاهلي من طائرِ الغراب، فعندما كانَ الشاعرُ الجاهلي يرى الغرابَ كانَ يَتَشَاءَمُ من وجودِه؛ وذلك لأنّ الغرابَ نذيرٌ للشُّؤمِ وفِراقِ الأحبّةِ، ويُحَذِّرُ من الموتِ والخراب؛ ولذلك أُطلِقَ عليه لقبُ غُـرابِ البَـيْنِ. كـذلكَ عَكَـسَ الشُّـعراءُ الجاهليون رمزيّةَ الغرابِ السّوداءَ التي تَتَرادَفُ مع ألمِ الفِراقِ والانفصال، وقد أصبحَ طائرُ الغرابِ أحدَ أهمِّ الطُّيورِ المُستخدَمةِ للتعبيرِ عن مشاعرِ الحزنِ والفِراق.

أخذَ طائرُ الغُرابِ هذهِ النظرةَ السّوداويّةَ بسببِ لونِه الأسودِ وصوتِه الحادِّ؛ وكذلكَ لأنّهُ بَانَ علـى نـوحِ النبيِّ عليه السلام. وقد شاعَ عندَ العربِ أنّ لِئامَ الطّيرِ ثلاثةٌ: الغِربانُ والبُومُ والرَّخَمُ؛ فالغرابُ أكثرُ من جميـعِ مـا يَتَطَيَّرُ به في بابِ الشُّؤمِ (دامبلي، 2019م، صفحة 87).

وقدِ استخدمَ الشاعرُ الجاهليُّ الغُرابَ كأداةٍ للتعبيرِ عن فِراقِه لمحبوبتِه وما حصلَ له بعدَما نَعَبَ الفِـراقُ بهم، وقد علّلَ سببَ تَرْكِ عبلةَ له بأنّ غُرابَ البَيْنِ قد صاحَ بهم (أبو سنينة، 2012م، صفحة 41).

ظَعَـنَ الّـذينَ فَـراقَهُم أَتَوَقّـعُ وَجَـرى بِبَيـنِهِمُ الغُـرابُ الأَبقَـعُ
حَـرِقُ الجَنـاحِ كَـأَنّ لِحيَـي رَأسِـهِ جَلَمـانِ بِالأَخبـارِ هَـشّ مولَـعُ
فَزَجَرتُـهُ أَلّـا يُفَـرِّخَ عُشُّـهُ أَبَـداً وَيُصـبِحَ واحِـداً يَتَفَجَّـعُ
إِنَّ الّـذينَ نَعَيـتَ لـي بِفِـراقِهِم هُـم أَسـهَروا لَيلـي التَمـامَ فَـأَوجَعوا

(ديوان عنترة بن شداد، 1891م، صفحة 45)

استخدمَ عنترةُ بنُ شدادٍ الغُرابَ رمزًا للحُزنِ وتفريقِ الأحبّة، وقد قالَ في أبياتِه إنّ الغُرابَ كانَ سببًا في رَحيلِ عبلةَ عنه؛ وذلك لأنّ الغُرابَ نَعَبَ بصوتِه مُعلِنًا رحيلَها؛ ولأنّ طائرَ الغُرابِ مَعروفٌ بأنّه لطالما أنذَرَ برحيلِ الأحبّة (أبو سنينة، 2012م، صفحة 41).

وفي قصيدة أخرى للشاعر عنترة بن شداد يقول فيها:

أُســـائِلُ عَـــن فَتـــاةِ بَنـــي قُـــرادٍ وَعَـــن أَترابِهـــا ذاتِ الجَمـــالِ
وَكَيـــفَ يُجيبُنـــي رَســـمٌ مُحيـــلٌ بَعيـــدٌ لا يُـــرَدُّ عَلـــى سُـــؤالي
إِذا صـــاحَ الغُـــرابُ بِـــهِ شَـــجاني وَأَجـــرى أَدمُعـــي مِثـــلَ اللَـــآلي
وَأَخبَرَنـــي بِأَصـــنافِ الرَزايـــا وَبِـــالهُجرانِ مِـــن بَعـــدِ الوِصـــالِ

(بن شداد، ديوان عنترة بن شداد، 1891م، صفحة 59)

في هذه الأبيات تساءل عنترة عن عَبلَةَ وما حَلَّ بها بعد فِراقِهِ لها، وعندما شاهد عنترة الغُـراب ذَكَّـره بما حَصَلَ له بعد تَرْكِ عَبلَةَ له، وعن أَلَمِ الهِجْران بعد الوَصْل، وأنَّ السَّببَ في هذا الهِجْران هو صِـياحُ طائرِ الغُراب (أبو سنينة، 2012م، صفحة 42).

وفي أبيات أخرى من القصيدة نفسها:

غُـــرابَ البَـــينِ مـــا لَـــكَ كُـــلَّ يَـــومٍ تُعانِـــدُني وَقَـــد أَشـــغَلتَ بـــالي
كَـــأَنّي قَـــد ذَبَحـــتُ بِحَـــدِّ سَـــيفي فِراخَـــكَ أَو قَنَصـــتُكَ بِالحِبـــالِ
بِحَـــقّ أَبيـــكَ داوي جُـــرحَ قَلبـــي وَرَوِّح نـــارَ سِـــرّي بِالمَقـــالِ
وَخَبِّـــر عَـــن عُبَيلَـــةَ أَيـــنَ حَلّـــت وَمـــا فَعَلَـــت بِهـــا أَيـــدي اللَيـــالي

(بن شداد، ديوان عنترة بن شداد، 1891م، الصفحات 63-64)

يعاتب عَنتَرَةَ الغُراب ويقول له: لماذا قُمتَ بأذِيَّتي، وأنا لم أفعل لك شيئًا؟ لم أقتـل صِـغارَك. ويطلـب عَنتَرَةَ منه أن يُداوي جِراحَه، وأن يجلب له خَبَرَ عَبلَةَ، وأينَ هي وماذا حَلَّ بها. (أبو سـنينة، 2012م، صفحة 42)

الغراب وأكل الجيف

من المظاهر الأخرى التي اشتهر بها طائر الغراب فكانت أكل الجيف في المعارك فكانت طيور الغراب بعد انتهاء المعارك تقوم بأكل جيف المحاربين؛ لذلك تشاءم الناس منه. كانت طيور الغربان تنتظر حتى انتهاء المعركة ومن ثم تقوم بأكل جيف المحاربين بعد أن سقطوا دفاعا عن أرضهم؛ ولهذا ظل طائر الغراب رمزا للشؤم والموت. وقد استخدمه الشاعر عبيد بن الأبرص في قصيدته هذه وقد قال فيها:

أَتوعِدُ أُسرَتي وتَرَكتَ حُجراً يُريغُ سَوادَ عَينَيهِ الغُرابُ

(سلطان، د.ت، صفحة 233)

"تهددنا ونحن الذين قتلنا والدك وتركناه للغراب ينقر عينيه، فهذا أشد عقاب لامرئ القيس، ولا يوجد مذلة أكبر من هذه المذلة أن يترك الأعداء جثة والدك في العراء فتنقر عينيه الغربان، فالغراب هنا أكل أجساد الموتى، وقد استخدمه الشعراء للتعبير عن شدة عقاب القتلى في الحروب". (أبو سنينة، 2012م، الصفحات 61-62).

المطلب الثَّاني: الغراب في العصر الإسلامي

كان الغراب معلم الإنسان الأول؛ إذ علم قابيل كيفية دفن أخيه هابيل بعد أن قتله، واشتهر بغراب البين؛ لأنه بان على نوح عليه السلام ولم يعد ويخبره بنبأ الأرض التي رسوا عليها؛ وأما في السنة النبويّة الشريفة فقد كان طائر الغراب من الحيوانات التي أمر الرسول ﷺ وسلم بقتلها.

الغراب في القرآن الكريم:

طائر الغراب وقابيل وهابيل:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ

ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة:27-32].

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾: قال السدي بإسناده المتقدم إلى الصحابة: لما مات الغلام تركه بالعراء، ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين، فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثى عليه. فلما رآه قال: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾. وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس قال: جاء غراب إلى غراب ميت، فبحث عليه من التراب حتى واراه، فقال الذي قتل أخاه: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾. وقال الضحاك: عن ابن عباس: مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة، حتى بعث الله الغرابين، فرآهما يبحثان، فقال: ﴿أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾، فدفن أخاه. وقال ليث بن أبي سليم: عن مجاهد: وكان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتاً، لا يدري ما يصنع به، يحمله، ويضعه إلى الأرض، حتى رأى الغراب يدفن الغراب، فقال: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وقال عطية العوفي: لما قتله ندم، فضمه إليه حتى أزوَحَ، وعكفت عليه الطيور والسباع

تنتظر متى يرمي به فتأكله. رواه ابن جرير. وقال محمد بن إسحاق: عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: لما قتله سقط في يديه، ولم يدر كيف يواريه. وذلك أنه كان، فيما يزعمون، أول قتيل في بني آدم وأول ميت..." (الدمشقي، 2000 م، صفحة 608).

أما في التوراة؛ "فقد زعم أهل التوراة أن قيناً لما قتل أخاه هابيل، قال له الله: يا قين، أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه رقيباً. فقال الله: إن صوت دم أخيك لينادين من الأرض، والآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاها فبلعت دم أخيك من يدك، فإن أنت عملت في الأرض، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعاً تائهاً في الأرض. وقوله: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ قال الحسن البصري: علاه الله بندامة بعد خسران..." (الدمشقي، 2000 م، صفحة 608).

وقد "حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو عن الحسن – هو البصري – قال: كان الرجلان اللذان في القرآن، قال الله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾ من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وإنما كان القربان في بني إسرائيل، وكان آدم أول من مات. وهذا غريب جداً، وفي إسناده نظر. وقد قال عبد الرزاق، عن معمر، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن ابني آدم عليهما السلام، ضربا لهذه الأمة مثلاً، فخذوا بالخير منهما. ورواه ابن المبارك عن عاصم الأحول، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا من خيرهم ودعوا الشر". وكذا أرسل هذا الحديث بكر بن عبد الله المزني، روى ذلك كله ابن جرير. وقال سالم بن أبي الجعد: لما قتل ابن آدم أخاه، مكث آدم مائة سنة حزيناً لا يضحك، ثم أتي فقيل له: حياك الله وبياك؛ أي: أضحكك. رواه ابن جرير، ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي إسحاق الهمداني قال: قال علي بن أبي طالب: لما قتل ابن آدم أخاه، بكاه آدم فقال:

تغيرت البلاد ومَنْ عَلَيها فَلَوْنُ الأرض مُغبر قبيح

تغيـــــر كـــــل ذي لـــــون وطعـــــم وقـــــل بشاشـــــة الوجـــــه المليـــــح

فأجيب آدم عليه السلام:

أبـــــا هابيـــــل قَـــــدْ قُـــــتلا جميعـــــاً وصـــــار الحـــــي كالميـــــت الـــــذبيح

وجـــــاء بشـــــرة قـــــد كـــــان منهـــــا علـــــى خـــــوف فجـــــاء بهـــــا يصـــــيح

قابيل عوقب بسرعة بعد قتله، حيث علقت ساقه بفخذه وجعل الله وجهه إلى الشمس كعقوبة له. وقد ورد في حديث النبي أن من الذنوب التي تعجل عقوبتها في الدنيا البغي وقطيعة الرحم، وهما موجودتان في فعل قابيل" (الدمشقي، 2000 م، صفحة 608).

قصة قابيل وهابيل

بدأت الحياة بهبوط آدم وحواء إلى الأرض، بعد أن عاقبهما الله ﷻ؛ بسبب أكلهم من الشجرة المحرمة التي حرمها الله عليهما. فقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:35-36].

بعد أن هبط آدم وحواء إلى الأرض كانت حواء تلد توأمان ذكر وانثى في البطن الواحد في كل عام. في العام الأول ولدت ولدًا وبنتًا، وفي العام التالي كذلك. لم يكن يحل للتوأم من نفس البطن الزواج من بعضهما البعض، في المقابل كان يحل لهما الزواج من التوأم من بطنٍ آخر.

وبعد زواج الأخين لم يكن أحد الشقيقين راضيًا عن زوجته، وقد بدأ شعور الكراهية يسري بداخله؛ لأن زوجة أخيه كانت أجمل من زوجته. كان أحدهم يدعى هابيل وكان لطيفًا وطيب القلب، والآخر يدعى قابيل كان قوي الجسد وحاد الملامح.

أمر آدم ولديه بتقديم قربان إلى الله، وقد كان قابيل غنيًّا ويملك الكثير من الأغنام لكنه خشي عليها فقدم إلى الله بعضًا من أعواد القمح التالفة؛ أما هابيل رغم فقره وكونه لا يملك شيئاً فقدَّم إلى الله كبشًا من أسمن الأكباش الموجودة لديه (بهجت، 1988م، الصفحات 4-5).

تقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل (بهجت، 1988م، صفحة 5). وقد بدأ شعور الغيرة مجددًا بين الأخوة (بهجت، 1988م، الصفحات 6-7)، وقد تشاجر قابيل وهابيل وقام قابيل بقتل هابيل، وبعد أن قام بقتله لم يعرف ماذا يفعل به (بهجت، 1988م، صفحة 8) وكانت هذه أول جريمة تحدث في تاريخ البشرية. وقد فكر قابيل بطريقة يقوم بها بدفن أخيه هابيل، وقد شاهد غرابين يتقاتلان بالسماء وبعد أن قتل أحدهما الآخر، قام بحفر الأرض بمنقاره ودفن الغراب الذي مات وقد تعلم قابيل طريقة الدفن من طائر الغراب (بهجت، 1988م، الصفحات 9-10).

طوفان[1] نوح عليه السلام

وردت آيات تتحدث عن الطوفان في عدة مواضع، منها:

1. سورة هود (الآيات 37-44): الله تعالى يأمر نوح ببناء السفينة ويحذر من الطوفان الذي سيغرق الكافرين:

الآية: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [هود:37].

2. الآية: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود:44].

3. سورة المؤمنون (الآيات 26-29): تتحدث عن دعاء نوح وإنقاذ الله له ومن معه:

[1] الطوفان كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة، من السيل والريح والظلام، وقد غلب على الطوفان الماءا صفوة التفاسير ج2 ص454.

الآيـــة: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ [المؤمنون:27].

4. سورة القمر (الآيات 9-14): تصف رفض قوم نوح للدعوة والطوفان:

الآية: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر:11].

الآية: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القمر:12].

الآية: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القمر:13].

5. سورة الشعراء (الآيات 105-121): تصف دعوة نوح والطوفان كعقاب للكافرين:

الآية ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الشعراء:119]

6. سورة نوح (الآيات 1-28): تتحدث عن دعوة نوح ومعاناته مع قومه والطوفان الذي أتى بعد دعائه:

الآية: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح:25].

7. سورة العنكبوت (الآيات 14-15):

الآيـــة: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت:14].

الآية: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت:15].

8. سورة الصافات (الآيات 75-82):

الآية: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الصافات:76].

الآية: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات:77].

الآية: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الصافات:82].

9. سورة التحريم (الآية 10):

هذه الآية تذكر امرأة نوح عليه السلام كجزء من التحذير للكافرين: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم:10].

10. سورة يونس (الآيات 71-73): هذه الآيات تذكر دعوة نوح لقومه وكيف كذبوه، مما أدى إلى الطوفان:

الآية: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس:71].

الآية: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس:73].

11. سورة الأنبياء (الآيات 76-77): تتحدث هذه الآيتان عن نجاة نوح ومن معه من الكرب العظيم:

الآية: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء:76].

الآية 77: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء:77].

12. سورة الأعراف (الآيات 59–64): هذه الآيات تصف دعوة نوح لقومه والطوفان الذي عاقبهم:

الآيـــــة: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[الأعراف:64].

قصة طوفان نوح عليه السلام

توزعت قصة الطوفان في أكثر من سورة من السور القرآنية، وقد أكدت السنة النبوية على ما جاء في القرآن الكريم، ومن ثم قام علماء التفسير بتجميع القصة بكل مكوناتها وحيثياتها رغم اختلاف مناهجهم في التفسير. فمنهم من اعتمد على التفسير بالمأثور ومنهم من أخذ من الإسرائيليات. وقد كانت قصة الطوفان في الإسلام تقدم مقاصد دينية أعظم مما وجد في الكتب السماوية الأخرى (مباركي، 2016م، صفحة 122).

طوفان نوح عليه السلام كان بالماء العذب على عكس الكثير من صور الطغيان التي تعرض لها البشرية جمعاء في مختلف بقاع الأرض، وقد قاما اثنان من علماء الفيزياء وهم من علماء الأرض الأمريكيين يدعيان وليام ريان ووالتر بتمان. وقد أكد العالمان على أن الطوفان كان حدثًا طبيعيًّا من الله ﷻ وليس نتاجًا لعمل قام به الإنسان. نتج من خلال ارتفاع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى اندفاع المياه نحو البحر الأبيض المتوسط عبر وادي البوسفور ليدمر كل شيء على وجه الأرض (النجار، 2019م، صفحة 85).

أما سفينة نوح؛ فقد كانت مطمورة بالأسماك ورواسب المياه. وقد أكد العالمان أن العذاب والطوفان كانا بالماء العذب الذي يهطل من السماء وبواسطته تفجرت العيون كما ورد ذكره في القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة سنة؛ وأما السفينة فقد كانت موجودة في جنوب تركيا امتدادًا إلى رأس الخليج العربي مرورًا بنهريْ دجلة والفرات (النجار، 2019م، صفحة 86).

أمر الله ﷻ نوحًا عليه السلام ببناء السفينة وذلك؛ لأن الله أراد أن يعذب قوم نوح لما فعلوه من ذنوب لا تغتفر (العبوسي، 2014م، صفحة 48)، "يخبر تعالى أنه أوحى إلى: نوح لما استعجل قومه نقمة الله بهم وعذابه لهم، فدعا عليهم نوح دعوته التي قال. الله تعالى مخبراً. عنه أنه قال:﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح:26]،﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر:10]، فعند ذلك أوحى الله تعالى إليه:﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود:36]، فلا تحزن عليهم ولا يهمنك أمرهم.﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود:37]، يعني (الدمشقي، 2000 م، صفحة 955)، السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾؛ أي: بمرأى منا ﴿وَوَحْيِنَا﴾؛ أي: وتعليمنا لك ماذا تصنعه، ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ قال بعض السلف إن الله أمر نوحًا بغرز الخشب وقطعه وتجفيفه، واستغرق ذلك مائة سنة، ثم نجرها في مائة سنة أخرى أو أربعين سنة. ووفقًا لمحمد بن إسحاق، فقد أمره الله بصنع السفينة من خشب الساج، بطول ثمانين ذراعًا وعرض خمسين، مع طلاء باطنها وظاهرها بالقار. تختلف الآراء حول أبعاد السفينة، حيث ذكر قتادة أنها كانت بطول ثلاثمائة ذراع وعرض خمسين، بينما قال الحسن إنها كانت بطول ستمائة ذراع وعرض ثلاثمائة. كما وردت أقوال أخرى تشير إلى طولها ألف ومائتي ذراع أو ألفي ذراع. كان ارتفاع السفينة ثلاثين ذراعًا مقسمة إلى ثلاث طبقات، لكل طبقة استخدام محدد، مع باب في عرضها وغطاء مطبق فوقها." (الدمشقي، 2000 م، صفحة 956).

و"هذه مواعدة من الله تعالى لنوح عليه السلام، إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة، والهتان الذي لا يقلع ولا يفتر، بل هو كما قال تعالى:﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ

عَلَىٰ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ [القمر:11-14]،

وأما قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ يقول ابن عباس إن "التنور" يشير إلى وجه الأرض التي تحولت إلى عيون تفور بالماء، وهو رأي متفق عليه بين السلف والخلف. بينما يفسر علي بن أبي طالب "التنور" بأنه فلق الصبح وإشراق الفجر. بعد ذلك، أمر الله نوحًا أن يحمل معه في السفينة من كل نوع من المخلوقات زوجين، ذكراً وأنثى، بما في ذلك النباتات. يُذكر أن أول الطيور التي دخلت كانت الدرة وآخر الحيوانات كان الحمار. كما ورد أن إبليس دخل السفينة متعلقا بذنبه، وعندما حاول نوح مساعدته، لم يستطع إبليس النهوض. وأشار أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود إلى أنهم لم يتمكنوا من حمل الأسد بسبب الحمى" (الدمشقي، 2000 م، صفحة 955).

وقوله: ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾؛ أي: واحمل فيها أهلك، وهم أهل بيته وقرابته إلا من سبق عليه القول منهم، ممن لم يؤمن بالله، فكان منهم ابنه "يام" الذي انعزل وحده، وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله. وقوله:﴿وَمَنۡ ءَامَنَ﴾؛ أي: من قومك ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾؛ النص يتحدث عن عدد الأشخاص الذين كانوا مع نوح في السفينة، حيث يُذكر أن العدد كان مختلفًا بين الروايات، فمنهم من قال إنهم كانوا ثمانين، وآخرون ذكروا اثنين وسبعين، أو عشرة، أو فقط نوح وأبناؤه الثلاثة. كما يُشير إلى أن امرأة نوح قد تكون هلكت لأنها كانت على دين قومها، مثلما حدث مع امرأة لوط." (الدمشقي، 2000 م، صفحة 956). "يقول تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام، إنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾ [هود:41]؛ أي: باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها" (الدمشقي، 2000 م، صفحة 956).

وقوله: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ [هود:42]؛ أي: السفينة سائرة بهم على وجه الماء، الذي قد طبق جميع الأرض،

حتى طفت على رؤوس الجبال، وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعاً، وقيل: بثمانين ميلاً، وهذه السفينة على وجه الماء سائرة بإذن الله وتحت كنفه وعنايته، وحراسته وامتنانه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة:11-12].

وقال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر:13-15]. وقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود:42]، هذا هو الابن الرابع، واسمه "يام"، وكان كافراً، دعاه أبيه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون، ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود:43]. وقيل: إنه اتخذ له مركباً من زجاج، وهذا من الإسرائيليات، والله أعلم بصحته. والذي نص عليه القرآن أنه قال: سآوِي إلى جَبَلٍ يعصمني من الماء، اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رؤوس الجبال، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق، فقال له أبوه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾؛ أي: ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله. وقيل: إن عاصماً بمعنى معصوم، كما يقال: طاعم وكاس، بمعنى مطعوم ومكسو، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود:44] (الدمشقي، 2000 م، صفحة 956).

يخبر" تعالى أنه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾؛ أي: شَرع في النقص ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ يتحدث النص عن فرع من أهل الأرض الذين كفروا بالله، حيث لم يبق منهم ديار بعد غرقهم. السفينة استقرت على جبل الجودي، الذي يُعتقد أنه في الجزيرة. يُذكر أن السفينة بقيت هناك شهراً حتى نزل منها نوح ومن معه، وأن الله أبقى السفينة كعبرة وآية للأجيال اللاحقة، حيث شهدها أوائل الأمة. كما يُشير النص إلى أن هناك سفناً أخرى هلكت بعد ذلك." (الدمشقي، 2000 م، صفحة 957).

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾[هود:48] يخبر الله تعالى عن ما قيل لنوح عليه السلام عندما استقرت السفينة على جبل الجودي، حيث تم السلام عليه وعلى المؤمنين معه، وكذلك على كل مؤمن من ذريته إلى يوم القيامة. كما يشير إلى أن العذاب سيشمل كل كافر وكافرة حتى يوم القيامة. ويذكر أن الله أرسل ريحاً لتسكين الطوفان، مما أدى إلى انسداد ينابيع الأرض وأبواب السماء.، يقول الله تعالى:﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود:44]، فجعل الماء ينقص ويغيض ويُدْبِرُ، وكان استواء الفلك على الجودي، فيما يزعم أهل التوراة، في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، وفي أول يوم من الشهر العاشر، رأى رؤوس الجبال.

بعد أربعين يوماً من الطوفان، أرسل نوح الغراب ليبحث عن الماء، لكنه لم يعد. ثم أرسل الحمامة، فعادت دون أن تجد موضعاً لرجليها. بعد سبعة أيام، أرسلها مرة أخرى، وعادت ومعها ورق زيتون، مما يدل على أن الماء قد قل. بعد سبعة أيام أخرى، لم تعد الحمامة، فاستنتج نوح أن الأرض قد ظهرت. في اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الثانية، كشف نوح غطاء الفلك ورأى وجه الأرض،

وفي الشهر الثاني، في اليوم السابع والعشرين، كانت الأرض قد برزت بالكامل ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [هود:48-49] (الدمشقي، 2000 م، صفحة 958).

المطلب الثَّالث: الغراب في الأحاديث النبوية الشريفة

يُعدُّ طائر الغراب من الطيور التي ورد ذكرها في العديد من النصوص الإسلامية، سواء في القرآن الكريم أو في الأحاديث النبوية الشريفة. وقد أشار النبي ﷺ إلى طائر الغراب في عدة أحاديث؛ إذ تناول صفاته وسلوكه. وهذا الطائر يثير الفضول ويُثير الانتباه نظرًا لذكائه الفطري وقدرته على التكيّف مع مختلف البيئات؛ مما يجعله أحد الطيور الفريدة من نوعها، سنستعرض في هذا الموضوع دور الغراب في الأحاديث النبوية والرموز التي يمثلها، إلى جانب دلالاته في التراث الإسلامي.

1. حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ الْفَارَةَ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْحَدَيَّا، وَالْغُرَابُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ" (البخاري أ.، 2016م، الصفحات 1526-1527)
2. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الخمس مِنَ الدَّوَاب مَنْ قَتَلَهُنَّ وَهُوَ مُحْرِمُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ الْعَقْرَبُ، وَالْفَارَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْغُرَابُ، وَالحِدَأَةُ" (البخاري أ.، 2016م، صفحة 1527).
3. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: "حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَالشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالدَّابَّةِ" (البخاري أ.، 2016م، صفحة 2589).

4. حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَالُ». قَالُوا: وَمَا الْفَالُ؟ قَالَ: "الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ» (البخاري أ.، 2016م، صفحة 2589).

5. حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب أخبرنا أيوب عن عكرمة:" أن رفاعة طلق امرأته، فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير القرظي، قالت عائشة: وعليها خمار أخضر، فشكت إليها، وأرتها خضرة بجلدها. فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم – والنساء ينصر بعضهن بعضاً. قالت عائشة: ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات لجلدها أشد خضرة من ثوبها. قال وسمع أنها قد أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء ومعه ابنان له من غيرها، قالت: والله مالي إليه من ذنب، إلا أن ما معه ليس بأغنى عنى من هذه ــ وأخذت هدية من ثوبها – فقال: كذبت والله يا رسول الله، إلي لأنفضها نفض الأديم، ولكنها ناشز تريد رفاعة، فقال رسول اللهﷺ: فإن كان ذلك لم تصحلي له أو تصلحي له حتى يذوق من عسيلتك. قال: وأبصر معه ابنين له فقال: بنوك هؤلاء؟ قال: نعم. قال: هذا الذي تزعمين ما تزعمين؟فو الله لهم أشبه به من الغراب بالغراب" (البخاري أ.، 1400ه، صفحة 61).

ختامًا، نجد أن طائر الغراب في الحديث الشريف لا يُعدُّ مجرد طائر عادي؛ فقد ذُكر لحكمة ودلالة، تُظهرها قدرة الإسلام على استنباط العبر من سلوك الكائنات الحية. وهذا يعلّمنا أن الله ﷻ جعل من كل شيء حولنا مصدرًا للتأمل والعبرة، وأن الإسلام يسعى دائمًا لتوجيه الإنسان ليتأمل في خلق الله ويتعلم من طبيعة الحياة.

الغراب في الشعر الأموي

في الشعر الأموي، يظهر الغراب رمزًا يرتبط بالشؤم والفراق، تماماً كما في الفترات الأدبية اللاحقة. استخدم الشعراء الأمويون الغراب دلالة على الحزن والوداع، خاصة في سياقات الرحيل والابتعاد عن

الأحبة أو الأماكن. كان الغراب يوحي في مخيلة الشعراء بقدوم الفراق أو الموت؛ إذ تأتي صيحته لتعلن عن نهاية لحظات سعيدة وبداية مرحلة من الألم واللوعة.

على الرغم من أن الغراب قد استُخدم رمزا للشؤم، إلا أنه أتاح للشعراء التعبير عن مشاعر الفقد والحنين تعبيرًا عميقًا؛ مما عزز قوة التصوير الشعري وزاد من ثراء القصائد التي تناولت موضوعات الفراق والابتعاد.

وقد قال مجنون ليلى قصيدة ذكر فيها غراب البين؛ وقد استخدم الشاعر رمز طائر الغراب للدلالة على البين والفراق:

أَلا يا غُرابَ البَينِ لَونُكَ شاحِبٌ وَأَنتَ بِلَوعاتِ الفِراقِ جَديرُ
فَبَيِّن لَنا ما قُلتَ إِذ أَنتَ واقِعٌ وَبَيِّن لَنا ما قُلتَ حينَ تَطيرُ
فَإِن يَكُ حَقّاً ما تَقولُ فَأَصبَحَت هُمومُكَ شَتّى وَالجَناحُ كَسيرُ
وَلا زِلتَ مَطروداً عَديما لِناصِرٍ كَما لَيسَ لي مِن ظالِمِيَّ نصير

(شهاب، 2012م، صفحة 59)

"ألا يا غراب البين لونك شاحب"

الشاعر يخاطب غراب البين (الغراب الذي يرمز للفراق)، ويصف لونه بأنه شاحب. الشحوب هنا إشارة إلى الحزن واليأس الذي يحمله هذا الغراب، وربما يعكس ذلك ما يشعر به الشاعر نفسه من حزن وفقد.

"وأنت بلوعات الفراق جدير"

في هذا البيت، يؤكد الشاعر أن الغراب مؤهل ومعتاد على معايشة لوعات الفراق. فالفراق والألم هما عالمه الطبيعي، وهو جدير بأن يُنذر بالأحزان والمصائب.

"فبيّن لنا ما قلت إذ أنت واقع"

يطلب الشاعر من الغراب أن يوضح ما ينذر به حينما يكون مستقراً على الأرض. فهنا، الغراب يرمز لقدوم أخبار سيئة أو مصيبة وشيكة.

"وبيّن لنا ما قلت حين تطير"

الشاعر يسأل الغراب عن معنى ما يقوله عندما يطير، أي حين يغادر ويحمل معه تلك النذر السيئة. الطيران هنا يشير إلى رحيل الغراب مع حمله للنبأ الفاجع.

"فإن يك حقاً ما تقول فأصبحت همومك شتى والجناح كسير"

إذا كانت أخبار الغراب صحيحة، فإن الشاعر يعبر عن تعاطفه معه، ويصف الغراب بأنه مثقل بالهموم، وجناحه مكسور، مما يعكس التشابه بين حال الغراب وحال الشاعر نفسه: كلاهما محطم ويعيش في حالة من البؤس.

"ولا زلت مطروداً عديمًا لناصرٍ كما ليس لي من ظالمي نصير"

في هذا البيت، الشاعر يصف الغراب بأنه مطرود، لا يجد له ناصراً أو معيناً، تماماً كما يشعر الشاعر بأنه بلا نصير أمام ظالميه. هذه المقارنة تعكس شعور الشاعر بالعزلة والفقدان، وتوضح مدى تشابه حاله مع حال الغراب.

في هذه القصيدة، الغراب يمثل رمزاً للفقد والمصائب، ويستخدمه الشاعر للتعبير عن حزنه العميق نتيجة الفراق أو الظلم الذي تعرض له. الشاعر يضع نفسه في موقف مماثل للغراب، فكلاهما يعيش في حالة من العزلة والاضطهاد، وكلاهما بلا نصير. من خلال هذا التصوير، الغراب يصبح أكثر من مجرد طائر؛ إنه رمز للألم الداخلي الذي يعانيه الشاعر، والفراق الذي يثقل قلبه.

وفي قصيدة أخرى للشاعر "قيس بن ذريح"، المعروف بمجنون لبنى، وهي تعبر عن الألم الذي يشعر به بسبب الفراق والحب الذي لا يستطيع الوصول إليه.

وقد قال فيها:

أَلا يـــا غُـــرابَ البَـــينِ وَيحَـــكَ نَبِّنـــي بِعِلمِـــكَ فـــي لُبنـــى وَأَنـــتَ خَبيـــرُ
فَـــإِن أَنـــتَ لَـــم تُخبِـــر بِشَـــيءٍ عَلِمتَـــهُ فَـــلا طُـــرتَ إِلّـــا وَالجَنـــاحُ كَســـيرُ
وَدُرتَ بِأَعـــــداءٍ حَبيبُـــــكَ فـــــيهِمُ كَمـــــا قَـــد تَرانـــي بِالحَبيـــبُ أَدورُ

(بن ذريح، ديوان قيس بن ذريح، 2003م، صفحة 16)

"أَلا يا غُرابَ البَينِ وَيحَكَ نَبِّني"

يبدأ الشاعر بالنداء على "غراب البين"، الذي يرتبط في الثقافة العربية بالخراب والفراق. يقول "وَيحَكَ نَبِّني" (أي: أخبرني يا غراب)، ويطلب منه أن يخبره عن أخبار حبيبته "لبنى"، التي يشتاق لمعرفة ما جرى لها.

"بِعِلمِكَ في لُبنى وَأَنتَ خَبيرُ"

الشاعر يخاطب الغراب على اعتبار أنه يملك معرفة ودراية بأخبار الحبيبة، فهو يراه كوسيط أو رسول بينه وبينها.

"فَإِن أَنتَ لَم تُخبِر بِشَيءٍ عَلِمتَهُ"

في هذا البيت يهدد الشاعر الغراب قائلاً إنه إذا لم يخبره بأي شيء يعلمه عن الحبيبة، فإن عقوبته ستكون رمزية بأن يطير وجناحه مكسور؛ مما يعبر عن الإحباط واليأس.

"فَلا طُرتَ إِلّا وَالجَناحُ كَسيرُ"

يؤكد الشاعر في هذا البيت على دعوته بأن الغراب لن يستطيع الطيران إذا لم ينقل إليه الأخبار، ويستخدم هنا صورة مؤلمة تتناسب مع حالته النفسية.

"وَدُرتَ بِأَعداءٍ حَبيبُكَ فيهِمُ"

هنا يشير الشاعر إلى أنه مثل الغراب الذي يطير بين الأعداء ولا يجد راحة، فهو يدور حول الناس الذين يعتبرهم أعداءه، وفي الوقت نفسه، يعتبر حبيبه بينهم.

"كَما قَد تَراني بِالحَبيبُ أَدورُ"

يختتم الشاعر بقوله إنه مثل الغراب يدور حول محبوبه، ولكنه لا يستطيع الوصول إليه، مما يعكس حالة التيه والضياع التي يعيشها في حب الحبيبة.

هنا يستخدم الشاعر الغراب رمزًا للفراق الذي يشعر به بعد أن فقد حبيبته أو انفصل عنها، ويطلب منه أن ينقل له أخبارها، لكنه في النهاية يتوقع الخذلان حتى من الغراب نفسه. القصيدة تجسد مشاعر الحب العميقة الممتزجة بالألم واليأس، والغراب يمثل في هذا السياق الرسول بين العالمين: عالم الشاعر وعالم الحبيبة الغائبة.

وفي قصيدة أخرى للشاعر "**ذي الرمة**" يقول فيها:

عَشِيَّةَ ما لي حيلَةٌ غَيرَ أَنَّني بِلَقطِ الحَصى وَالخَطِّ في التُربِ مولَعُ
أَخُطُّ وَأَمحو الخَطَّ ثُمَّ أُعيدُهُ بِكَفّي وَالغِربانُ في الدارِ وَقَّعُ

وفي أبيات أخرى من القصيدة نفسها يقول بها:

وَلا نَحنُ مَشؤومٌ لَنا طائِرُ النَوى وَلا ذَلَّ بِالبَينِ الفُؤادُ المُرَوَّعُ

(ذي الرمة، 2016م، صفحة 274)

وهنا "نلمس بعض تجليات الاغتراب تجول في نفس ذي الرمة (ت117هـ)؛ وذلك حينما صور نفسه وحيداً في العراء بجوار بقايا أطلال تذكره بأحبائه، إذ راحت يداه تعبث بالحصى التي حملت ذكريات ساكنيها، ويزداد حزنه عندما يجد الغربان تجول في بقايا تلك الديار، ليصحو من غفوة حلمه إلى واقع الدار التي أصبحت بقايا أطلال لا حياة فيها." (إبراهيم، 2013م، صفحة 42).

وهكذا، يُعد الغراب في الشعر الأموي رمزًا متكررًا يرتبط بالحزن والفراق؛ إذ جسّد الشاعر الأموي مشاعر الحنين إلى الأحبة والديار من خلال هذا الطائر الذي يحمل دلالات سلبية في التراث العربي. تمثّل الغراب في الشعر الأموي كائنًا ينبئ بالبعد والانفصال، وكان حضوره يعكس ما يعيشه الشاعر من تجارب مؤلمة ومواقف صعبة؛ وبهذا، استطاع الشعراء الأمويون استغلال الصورة الرمزية للغراب لإيصال مشاعرهم وأحاسيسهم بشكل أعمق وأكثر تأثيرًا على المتلقي، مؤكدين بذلك قدرتهم على تحويل الصور الطبيعية إلى رموز شعرية غنية بالدلالات الإنسانية.

الغراب في العصر العباسي

لم يختلف رأي الشعراء في طائر الغراب في العصر العباسي، عن باقي الشعراء في العصور الأخرى. ظل طائر الغراب محافظًا على صورته المأساوية، التي تدل على الشؤم والفراق والخراب. وفي الأبيات التالية التي كتبها المتنبي في رثاء جدته المتوفاة:

أَتاهـــا كِتـــابي بَعـــدَ يَـــأسٍ وَتَرحَـــةٍ ... فَماتَـــت سُـــروراً بـــي فَمُـــتُّ بِهـــا غَمّـــا
حَـــرامٌ عَلـــى قَلبـــي السُـــرورُ فَـــإِنَّني ... أَعُـــدُّ الَّـــذي ماتَـــت بِـــهِ بَعـــدَها سُـــمّا
تَعَجَّـــبُ مِـــن خَطّـــي وَلَفظـــي كَأَنَّهـــا ... تَـــرى بِحُـــروفِ السَـــطرِ أَغرِبَـــةً عُصـــما
وَتَلثُمُـــــهُ حَتّـــــى أَصـــــارَ مِـــــدادُهُ ... مَحـــــاجِرَ عَينَيهـــــا وَأَنيابَهـــــا سُـــــحما
رَقـــا دَمعُهـــا الجـــاري وَجَفَّـــت جُفونُهـــا ... وَفـــارَقَ حُبّـــي قَلبَهـــا بَعـــدَ مـــا أَدمـــى
وَلَـــم يُســـلِها إِلّـــا المَنايـــا وَإِنَّمـــا ... أَشَـــدُّ مِـــنَ السُـــقمِ الَّـــذي أَذهَـــبَ السُـــقما

(كاطع، 2019م، صفحة 41)

وقد وصف المتنبي في هذه الأبيات مدى حبه لجدته وكيف كانت تحبه وفخورةٌ به. وقد دلت الأبيات؛ على أن المتنبي كان يلوم نفسه لوفاة جدته وعد نفسه سببًا من أسباب وفاتها، وفي البيت الثالث ظهر استخدام المتنبي لطائر الغراب (كاطع، 2019م، صفحة 43).

وقد تحدث الشاعر عن امرأة تتعجب من كتابته وألفاظه، وتعدها شيئًا غريبًا وغير مألوف. وقد شبه المتنبي حروف كتابته بالغربان؛ إذ إن "الأغربة" هنا تشير إلى الغربان. وكلمة "عُصما" تعني أنها تبدو غريبة في نظر هذه المرأة.

أما رمز الغراب: فالغراب هنا يمثل الحروف التي تبدو غريبة وغير مألوفة للمرأة، ولكنه في نفس الوقت يدل على القوة والكمال من خلال صفة "عُصما"، وهذا يعني أن الغرابة لا تنقص من قيمتها أو جمالها بل تضيف لها طابعًا مميزًا. " وهناك معاضدة بين النسيج العام للصورة وكلمة (سحما)؛ مجلوبة بمناسبة اللون الأسود للموضوع، ويثير الانتباه أن أبا الطيب شبه حروف الكتاب– من عيني جدته– بـ (الأغربة العصم)" (كاطع، 2019م، صفحة 42).

وقد قصد الشاعر هنا تحديدًا الغراب الأعصم، وهو غراب نادر الوجود وفي جناحه نقطة بيضاء؛ أما سواد هذا الطائر فيرمز إلى الشؤم وفراق الشاعر مع جدته؛ وأما نقطة البياض فكانت رمزًا للقاء من بعد الفراق (كاطع، 2019م، صفحة 43).

وفي قصيدة أخرى للشاعر عمرو الورَّاق (وهو عمرو بن المبارك بن عبد الملك العنزيّ).، وصف فيها خراب بغداد بعد حربٍ حصلت داخل الدولة العباسية، بين الأمين والمأمون؛ وذلك على الخلافة وقد تدخل الفرس في ذلك. وكان الفرس يرون أن المأمون أولى بالحكم من الأمين؛ وذلك لأن أمه فارسية؛ أما العرب فأرادوا تقديم الأمين لعروبته. وعندها حصلت حرب بينهم؛ مما أدى لخراب بغداد وتدميرها وقد قال: عمرو الورَّاق (وهو عمرو بن المبارك بن عبد الملك العنزيّ). هذه القصيدة:

مـــن ذا اصـــابك يـــا بغـــداد بـــالعين ألـــم تكـــوني زَمَانـــا قُـــرَّةَ العَـــيْنِ

أَلَـــمْ يَكُـــنْ فِيـــك قـــومٌ كَـــانَ مَسْـــكَنُهُم وكـــان قـــربهُمُ زَيَّنَـــا مِـــنَ الـــزَّيْنِ

صـــاحَ الغُـــرَابُ بِهِـــم بِـــالبَيْنِ فَـــاقْتَرَقُوا مـــاذا لقيـــتُ بِهِـــم مِـــنْ لَوْعَـــهِ البَـــيْنِ

أســـتودع الله قَوْمًـــا مَـــا ذكـــرتهم إلا تحـــدر مـــاءُ العَـــيْنِ مِـــنْ عَيْنِـــي

كـــانوا ففَـــرَّقَهُمْ دَهْـــرٌ وصَـــدَّعَهُمْ والـــدَّهْرُ يَصْـــدَعُ مَـــا بَـــيْنَ الفَـــرِيقَيْنِ

(مقابلة، 2022م، صفحة 65)

وقد عبر البيت الشعري عن مشاعر الفراق والحزن.

البيت الشعري يعبر عن مشاعر الفراق والحزن. الشاعر يتحدث عن جماعة كانت متماسكة، لكن حدث الفراق بينها بعد أن صاح الغراب. في هذا البيت:

صـــاحَ الغُـــرَابُ بِهِـــم بِـــالبَيْنِ فَـــاقْتَرَقُوا مـــاذا لقيـــتُ بِهِـــم مِـــنْ لَوْعَـــهِ البَـــيْنِ

(مقابلة، 2022م، صفحة 65)

وقد كان الغراب: رمزًا شائعًا في الأدب العربي، يرتبط غالباً بالشؤم والفراق والموت، الغراب في هـذا البيت يشير إلى نذير شؤم يحمل معه أخبار الفراق. صيحته تعلن عن قدوم الفراق أو البعد.

وقد عبر الشاعر عن مشاعر الافتراق؛ فهنا صيحة الغراب أدت إلى تفرق الجماعة. وهنا نجـد دلالـة عميقة على أن هذا الفراق كان مؤلماً ومفاجئاً، كأنه قادم من حدث غير متوقع.

أما كلمة اللوعة: فتشير إلى الألم العميق والحسرة التي يعانيها الشاعر نتيجة لهذا الفراق. الكلمة تعبـر عن معاناة نفسية كبيرة يعاني منها الشاعر بعد انفصال أحبائه أو أفراد جماعته عنه.

وقد كان الغراب في هذا البيت الشعري يمثل رمزاً للفراق والبؤس، وصيحته تمثل إعلانـاً عـن هـذا الحدث المأساوي؛ مما يزيد من حدة الحزن واللوعة التي يشعر بها الشاعر؛ وذلك لمـا حـدث لبغـداد وشعبها بعد أن كانوا متماسكين فصاح بهم الغراب ففرق بينهم.

وهكذا ظهر رمز الغراب ظهورًا متكررًا في الشعر العباسي رمزًا للشؤم والفراق، خاصة في سياق الرحيل والابتعاد عن الأحبة، ارتبط الغراب بمشاعر الحزن والأسى؛ حيث كانت صيحته تعبر عن قدوم الفراق أو الموت. استخدمه الشعراء لتجسيد لحظات الوداع واللوعة؛ مما أضفى بعداً رمزياً عميقاً على قصائدهم؛ وجعل الغراب رمزاً لتقلبات الحياة وأوجاعها في أدب تلك الحقبة.

وهكذا في نهاية الفصل الأول يُعَدّ الغراب رمزًا متنوع الدلالات في الشعر العالمي، يجمع بين مظاهر الحكمة والتشاؤم والغموض. ففي الغرب، اشتهر الغراب في قصيدة إدغار آلان بو الشهيرة الغراب؛ إذ جاء الطائر رمزًا للألم والحزن المستمر، يجسد عزلة الشاعر وفقدانه للأمل. كما ظهر الغراب في أدب وشعر شعوب الغرب الأخرى رمزًا للخوف أو نذير الموت. في المقابل، جاء ذكر الغراب في القرآن الكريم معلمًا للبشر، كما في قصة قابيل وهابيل؛ إذ علَّم قابيل كيفية دفن أخيه؛ مما يعكس دور الغراب كرمز للتوجيه والتعليم. وفي السنة النبوية، ذُكر الغراب بوصفه طائرًا منبوذًا أو مكروهًا في بعض الأحاديث؛ أما في الأدب العربي القديم؛ فقد ظهر الغراب في الشعر الجاهلي؛ والأُموي؛ والعباسي؛ إذ عبّر عن الوداع، وشكّل رمزًا لتأملات الشاعر في الموت والزمن.

الفصل الثاني

دلالة الغراب في الشعر الفلسطيني

الغراب هو أحد الرموز البارزة في الشعر الفلسطيني[1]، إذ يمثل طائر الغراب دلالات متعددة تجمع بين الشؤم[2] والبين[3] ومقاومة الاحتلال الصهيوني. وقد استخدم الشعراء رمز الغراب للتعبير عن معاناة الشعب الفلسطيني وصموده.

الغراب والشؤم: كان الشؤم المرتبط بالغراب نابعًا من الثقافة الشعبية لدى معظم شعوب العالم تقريبًا؛ إذ ارتبط طائر الغراب ارتباطًا تامًّا بالشؤم والنذير السيء، وهو معنى حاضر بقوة في الشعر الفلسطيني. وقد استحضر الشعراء الفلسطينيون صورة طائر الغراب للتعبير عن الأحزان والتحديات التي يواجهها الشعب الفلسطيني على نحوٍ يومي بسبب الاحتلال الغاصب.

الغراب والبين: يظهر الغراب في تلك اللحظات التي تتسم بالقلق والتشاؤم الذي يعيشه الشعب الفلسطيني. وأهم ما استخدمه الشعراء في رمز الغراب والبين هو عكس مشاعر الغربة وترك الوطن والأحبة. وقد عكس نعيق طائر الغراب مشاعر الشتات والحنين إلى الأرض والديار المقدسة التي فقدها الفلسطينيون. وقد جسد الغراب ألم الفقد الذي يعيشه الشعب الفلسطيني منذ النكبة وما تلاها من أحداث مأساوية. هذا الرمز يضيف بعدًا عاطفيًّا عميقًا للقصائد التي تتناول موضوع الغراب والبين.

الغراب والاحتلال الصهيوني: تحول طائر الغراب في الأدب الفلسطيني المعاصر إلى رمز للظلم والقهر الذي يمثله الاحتلال الصهيوني. فأصبح هذا الطائر تجسيدًا للقوة المظلمة التي تطارد الفلسطينيين وتعيق حياتهم اليومية. وقد استخدم الشعراء الغراب رمزًا للسواد الذي يخيم على أحلام الفلسطينيين

---

[1] الشعر الفلسطيني هو شعر يصف فلسطين أو أحد مدنها أو أسوارها أو الأماكن المقدسة فيها أو شعبها وقد برز الشعر الفلسطيني منذ عهد الانتداب البريطاني، وخاصة شعر الثورة ضد المحتل والدفاع عن الأرض المقدسة، وقد شاع استخدام ظاهره الرمز في الشعر، ومنها الرموز التاريخية والأسطورية والحيوانية والنباتية ورمز الطير بخاصة شاع استعماله، ومن الطيور التي شاع استخدامها، البوم والغراب اللذان كانا يرمزان إلى الاحتلال الصهيوني، ويعود ذلك إلى مظهر طائر الغراب الأسود الذي يتشاءم الناس منه ففي كثير من القصائد الشعرية رمز الاحتلال الصهيوني إلى الغراب وذلك بسبب أعمال التخريب التي يقوم بها المحتل ويدمر الأراضي ويسيطر عليها وكذلك طائر الغراب الذي يذهب إلى الحقول ويقوم بسرقة وأكل محصول المزارعين وتخريب ما ليس له.

[2] الشُّؤْمُ: خلافُ اليُمْنِ. ورجل مَشْؤُوم على قومه، والجمع مَشائِيمُ، الشُّؤْمُ: خلافُ اليُمْنِ.

[3] البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البين الفرقة، ويكون الوصل، بان يبين بينا وبينونة، وهو من الأضداد.

وآمالهم؛ مما يبرز جانبين مهمين في حياتهم: الأول هو معاناتهم بسبب هذا الاحتلال الظالم، والثاني هو صمودهم في وجه هذا الاحتلال.

وقد تجاوز الغراب كونه مجرد طائر بسيط يسعى لإطعام صغاره وممارسة حياته اليومية؛ ليصبح رمزًا متعدد الأبعاد يحمل في طياته قصص الشؤم والبين والمقاومة والصمود في وجه الاحتلال، ولتبقى هــذه الرمزية شاهدًا على إصرار هذا الشعب على الحياة رغم كل ما يعانيه من الاحتلال.

المبحث الأول: الغراب والشؤم

الغراب في الشعر الفلسطيني يُعدُّ رمزًا للشؤم والتشاؤم[1]، وهو صورة طالما تكررت في النصوص الشعرية الفلسطينية التي تعكس معاناة الشعب الفلسطيني وآلامه[2]. لطالما كان الغراب رمزًا للشؤم والتشاؤم عبر العصور، وفي معظم الأبيات الشعرية. في الأدب الفلسطيني، يُستخدم الغراب رمزًا للموت والفقد، ويظهر في الأحداث المتعلقة بالحزن والدمار والسوداوية[3]. يُعدُّ الشؤم الذي يرافق طائر الغراب في هذه الأشعار تعبيرًا عن الأمل المفقود والنظرة الضبابية نحو المستقبل، خاصة في ظل الظروف القاسية التي يعيشها الفلسطينيون؛ بسبب الاحتلال والحروب التي نتجت عن هذا الاحتلال؛ مما يجعل الغراب يحمل دلالة رمزية قوية في هذا السياق الأدبي.

في الأدب الفلسطيني، تعد الرموز من الأدوات المهمة التي يعبر بها الشعراء عن معاناة شعبهم وتاريخهم. ومن بين هذه الرموز يظهر طائر الغراب رمزًا للشؤم والخراب، خاصة في ظل الواقع الفلسطيني المليء بالاحتلال والحروب. يُعدّ طائر الغراب منذ العصور القديمة نذير شؤم، وقد تشاءم الناس منه؛ ويعود ذلك إلى لونه الأسود وصوته العالي وأكله لجيف القتلى في المعارك. ويُعدُّ طائر الغراب من أشد الطيور ذكاءً في الطبيعة، ولا يضر الإنسان، بل هي مجرد خرافات تناقلها الناس.

الغراب والموت في الشعر الفلسطيني

بدأت علاقة الغراب والموت منذ قتل هابيل لأخيه قابيل، وعندما لم يعرف هابيل كيفية دفن أخيه، قام طائر الغراب بتعليمه ذلك. وهنا ارتبط طائر الغراب بالموت[4]، وبدأ تشاؤم الناس منه يزداد بسبب؛

---

[1] وقد تشاءم الناس منها في العصر القديم لأن الإنسان لم يستطع أن يدفن جثث الموتى الناتجة عن الحروب وكانت الغربان تقوم بأكل هذه الجثث لذلك قاموا بربط الغراب بالموتى لأنه كان يأكل الجثث ويترك العظام ولذلك ابتعد الناس عن هذا الطائر لكن هذه هي طبيعة طائر الغراب فهي تتغذى في العادة على الحشرات والثمار والحبوب وأحيانا على جثث الحيوانات الميتة ومن المعروف أن طائر الغراب هو الطائر الوحيد الذي يستطيع استخدام الأدوات مثل: الأغصان والحجارة للحصول على الطعام وهي كذلك طيور ذكية إذ تستطيع التعرف إلى وجوه البشر وتميزيهم من بعضهم البعض، وهو طائر لا يخاف من الصقور الجارحة والنسور والبوم.

[2] لعلاقة طائر الغراب بالاحتلال وذلك لأن الشعب الفلسطيني يتشاءم من طائر الغراب كما يتشاءم من الاحتلال، من المعروف أن الاحتلال إذا دخل مدينة ما أو مكان ما داخل الدولة يعمل على التدمير والقتل وهذا كله أدى إلى تشاؤم الناس منه كما لو أنه الاحتلال الصهيوني.

[3] وذلك لارتباطه بأول جريمة حدثت في تاريخ البشرية، قتل هابيل لقابيل ومساعدة الغراب له في دفن أخيه.

[4] في الملحمة الشعرية رامايانا[4]يتحول ياما وهو إله الموت إلى شكل غراب، لكي يهرب من الشيطان رافانا، وبعدما يعود إله الموت إلى هيئته يجعل من طائر الغراب طائر مبارك، لذلك معظم الهندوس يتركون الطعام للغربان يرضى عليهم الإله. في الهندوسية ينسب الغراب إلى ياما إله الموت وإلى فارونا ملك السماوات الحكيم. (ساكس، الغراب (التاريخ الطبيعي والثقافي)، 2010م، صفحة 89)

ارتباطه بحادثة الموت[1]؛ ولكونه أسود اللون والناس تتشاءم من اللون الأسود؛ وكذلك لصوته الحاد الذي لطالما كان يزعج الناس عند سماعه، فعندما يسمع الناس صوت طائر الغراب[2]، يتشاءمون ويعرفون أن شيئًا سيحدث لهم هذا ارتبط بعقليتهم منذ القدم.

الشاعر الفلسطيني، كغيره من الشعراء، كان يستخدم طائر الغراب للتعبير عن الحزن والغربة [3]وفقد الأحبة، رغم أن الموت محتم على كل إنسان يعيش على هذه الأرض. إلّا أن الشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب المعرضة للقتل؛ وذلك لوجود الاحتلال الصهيوني الذي يقوم بقتل الأطفال والشيوخ وحتى النساء والشباب. هذا الاحتلال لا يعرف كبيرًا أو صغيرًا، لا يعرف إلا القتل والانتقام. مستعد هو لإنهاء حياة طفل صغير؛ لمجرد مزاح؛ أو لأنه أراد أن يجرب بندقية جديدة أعطاها قادته له. ولأن طائر الغراب من الطيور التي ارتبطت أساسًا بالموت؛ وذلك لكونه المعلم الأول للإنسان لكيفية دفن الميت؛ استخدم الشاعر الفلسطيني الغراب رمزًا للشؤم والموت.

وكذلك استمر طائر الغراب في تمثيل الموت الحقيقي أي؛ (موت قابيل)، وتمثيل موت ضمير الشعوب العربية والغربية التي ترى مشاهد القتل والدمار اليومي في غزة هاشم وفي الضفة الغربية، وتقف ساكنة لا تتحرك وكأنهم أصنام كالأصنام التي عبدها أهل الجاهلية، وكانت لا تضر ولا تنفع. "ويتجسد الموت الوطني باستمرار غياب الحق في فلسطين التي تمثل موت الضمير العربي، ما دامت تحت وطأة الاحتلال. ويرى أن حياتها، أو بعثها، سيكون عبر حجر يطوح به فلسطيني في وجه مغتصبه" (مشعوع، 1999م، صفحة 393).

هذا الشعب الثائر المناضل لا بد له أن يدافع عن أرضه وعرضه وذلك في محاولة للتحرر. ولكن الاحتلال يجعل مصير كل ثائر الموت أو القتل. ولذلك استخدم الشعراء رمز الغراب للتعبير عن

[1] بعد اكتشاف طائر الغراب وربط طائر الغراب بحادثة الموت والدفن، وكذلك أكل الجيف في المعارك. وغيرها من الأسباب دفعت الإنسان إلى الخوف والتشاؤم من هذا الطائر.

[2] وقد قال المقدسي في صفات طائر الغراب أنه يبعث الشؤم، "فهو النّاعق بين الأحباب، النّائح النّادب اللّابس من سود الثياب، الدّاعي إلى البين، نذير الشّتات مشؤم لئيم". (معلم، 2016م، الصفحات 179-194)

[3] اشتقوا مصطلح الغربة من اسم طائر الغراب؛ لأنه دائمًا ما كان ينذر بفراق الأحبة.

مشاعر الموت وفراق الأحبة والغربة. من الأغاني الشعبية التي تحدثت عن هذا النوع من الرموز هي أغنية (ع الأوف مشعل):

لهذه الأغنية قصة حدثت في زمن الأتراك. كانت الحكومة التركية تفرض التجنيد الإجباري على الشباب العرب والفلسطينيين، أو إجبارهم على دفع المال ولم يكونوا يملكونه؛ مما دفع هؤلاء الفلسطينيين للهروب والاختباء، وعندما كانوا يهربون، كانت الحكومة التركية تمسك بهم وتعمل على تجنيدهم على نحوٍ إجباري. ومن هؤلاء الفارين كان شاب يدعى مشعل. ومن مقاطع هذه الأغنية:

"الله يزيلك يا غراب البين

فرقت ما بين حبيبي وبيني

وين جيت نحو الدار بكيت عيني

ونزلت دموعي ع ربعي وخلاني..."

وقد ظهر في هذا المقطع التشاؤم أو التطير من طائر الغراب، والذي حمل للحبيب نذير الشؤم، وقد عُدَّ طائر الغراب سببًا لفراق الأحبة؛ لذلك دعا عليه بالموت والزوال. وهذا كله، والشعوب العربية ساكنة لا تتحرك، (عودة، 2011م، صفحة 22) بضياع فلسطين تكون الشعوب العربية قد فقدت أرضًا مقدسة، "وقد نعب فيها "غراب السلام" الدار في الوجدان العربي على الشؤم". (نمر، 2005م، صفحة 100)

ونتيجة لارتباط الغراب بالموت؛ فقد أصبح يُستخدم في نعي الميت كنوع من الندبة والحسرة. وقد قال الشاعر في ذلك:

"يا غراب البين مالك تخطف الشبان منا"

(خليل، 2006م، صفحة 245)

وفي أبيات أخرى من قصيدة للشاعر معين بسيسو يقول بها:

"على صليب

من ورق الزيتون

تمدّد المخلّص الكذّاب

كالغراب

دلت أبيات القصيدة على التشاؤم من طائر الغراب؛ وقد رمز طائر الغراب هنا: إلى الخراب والتشاؤم. وفي الثقافة العربية، يرتبط بالخبر السيء أو الموت. استخدام الشاعر للغراب يعبر عن دلالة سلبية، فهو يشير إلى المخلّص الكذّاب الذي يقف رمزًا للزيف والنفاق. وقد تحدث الشاعر عن ورق الزيتون هنا ليدلل على الصليب يُذكرنا بصلب المسيح[1]، لكن هنا الشاعر يقول إنه من ورق الزيتون، وهو رمز هش وزائف؛ مما يعبر عن ادعاء الخلاص والتضحية دون جوهر حقيقي. الزيتون رمز للسلام، لكن هنا يأتي ليشير إلى زيف هذا السلام. وأما المخلّص الكذّاب: يشير إلى شخص يدعي أنه المنقذ أو المخلص، لكنه في الحقيقة خائن وزائف. قد يكون رمزًا لقادة أو زعماء يتظاهرون بالبطولة أو الصلاح وهم عكس ذلك.

على بساط نور

"ابكين يا جواري"

[1] "وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ. وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجُثَةُ، وَهُوَ الْمُسَمَّى «مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ» أَعْطَوْهُ خَلًّا مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ. وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ. وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ». حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ. وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!». وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!». وَبِذلِكَ أَيْضًا كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ. وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا:«إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا». وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلًّا وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا:«اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ!». فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ. وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوُا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا:«حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ!». وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، وَهُنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدِمْنَهُ، وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَيُوسِي، وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي. [إنجيل متى 27: 32–56].

"بأدمع الحواري"

يا كلّ فرسان الوحول

حوطّوا عجل الذهب

من قبل في عشائه الأخير

وقد ذكر الشاعر فرسان الوحول وعجل الذهب: "فرسان الوحول" تشير إلى أشخاص يدعون النقاء ولكنهم غارقون في الفساد، بينما "عجل الذهب"[1] يُذكرنا بالقصة التوراتية عندما عبد بنو إسرائيل العجل الذهبي، وهو رمز للخيانة والتحول عن القيم الحقيقية مقابل المظاهر الزائفة. واستحضار الشاعر لمشهد العشاء الأخير الذي جمع المسيح بتلاميذه قبل أن يُسلم للصلب، إلا أن الشاعر يقلب الصورة هنا بأن المخلص الكذاب هو الذي يخون.

قال لن يخونني منكم أحد

يا إخوتي لحمي لكم قرص عسل

خمر دمي لكم كفرحة الحياة

كذّابتان

عيناه تغمضان

المخلّص الكذّاب قام

كسارق بين النيام

بخنجر من اللهيب

قد راح يقطع المسعور

[1] 15 فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. 16 وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ. 17 وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». 18 فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتَ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلاَ صَوْتَ صِيَاحِ الْكَسْرَةِ. بَلْ صَوْتَ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». 19 وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ. فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ 20 ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. [التوراة: الخروج:32: الآيات 16-20]

لحم إخوتي خبز بنادق

دماء إخوتي بها يسقي المشانق." (جلنبو، 2019م، صفحة 227) (بسيسو، 2008م، صفحة 108)

وهنا استخدم الشاعر الخبز والخمر وهي ترمز في المسيحية إلى جسد المسيح ودمه، وهي رمز للتضحية والفداء. لكن الشاعر يضعها في سياق الخيانة؛ إذ أصبحت "خبز بنادق" و"دماء إخوتي بها يسقي المشانق"؛ مما يدل على أن هذه الرموز أفرغت من محتواها النبيل وأصبحت وسيلة للقتل والقمع. القصيدة مليئة بالرموز الدينية التي حولها الشاعر لدلالات سياسية واجتماعية تشير إلى نفاق بعض القادة وتوظيفهم للدين أو القيم النبيلة لتحقيق أهداف دنيئة. وقد دعت القصيدة أيضاً إلى التفكير في زيف من يدعون التضحية والإخلاص، بينما هم في الحقيقة ينشرون الدمار والخراب.

وهكذا، القصيدة تعبّر عن واقع مظلم مليء بالخداع؛ إذ يتحول المخلصون المزعومون إلى أدوات للدمار والخيانة، والضحايا هم الأبرياء الذين يثقون بهم.

وهناك أبيات أخرى للشاعر عدنان النحوي يقول فيها:

"وتَلَفَّتَ الأَقْصَى لِمكَّةَ لَوْعَةً:

أُخْتَاهُ! تَنْهَشُ أَضْلُعِي الغِرْبَانُ

أَختَاهُ، أَيْنَ المُسْلِمُونَ وَحَشْدُهُمْ؟

أَيْنَ الملايينُ الغُثَاءُ! أَهَانُوا؟

أُخْتَاهُ.. وانْقَطَعَتْ حِبَالُ نِدَائِهِ

واغْرَوْرَقَتْ مِن دَمْعِهِ الأَجْفَانُ

وَهَوَتْ معَاولُ كَيْ تَدُكَّ حِيَاضَهُ

وَهَوتْ على أَمْجَادِهِ الجُدْرَانُ" (الحمد، 2003م، صفحة 98)

تعبّر هذه الأبيات عن حالة من الحزن والأسى لما آل إليه حال المسجد الأقصى وما يتعرض له من أذى وتدنيس، ويخاطب الشاعر في هذه الأبيات مكة المكرمة، في استدعاء رمزي لأخت كبرى، ليعبر عن مدى الألم الذي يشعر به المسجد الأقصى.

ويعبّر الأقصى[1] عن حزنه وشعوره باللوعة والأسى، وينادي مكة، وكأنهَّا أخت له، طالباً الدعم والمساندة، معبراً عن أن الغربان تنهش أضلعه، وطائر الغراب هنا كان دلالة للمعتدين الذين ينتهكون حرمته. يسأل الأقصى عن المسلمين وأين جموعهم وحشودهم، معبراً عن خيبة الأمل في تشتتهم وضعفهم؛ إذ يشبههم بالملايين من الغثاء؛ (أي لا قيمة لهم ولا تأثير).ينقل الشاعر انقطاع صوت الأقصى الذي ينادي ويستغيث، مشيراً إلى استسلامه وكثرة الدموع التي أغرقت الأجفان، وهو تعبير عن اليأس والمرارة. يصف مشهد تدمير حيطان الأقصى بالمعاول، كناية عن الهجمات والانتهاكات التي يتعرض لها، والتي تهدم أمجاده ومكانته التاريخية.

وطائر الغراب في هذه الأبيات يرمز إلى الخراب والدمار؛ فهو معروف في التراث العربي بأنه نذير الشؤم والموت، واستخدامه في الأبيات يعكس الحالة المأساوية التي يعيشها المسجد الأقصى، وكيف أن الأعداء (المعتدين) ينهشون حرمته بلا رحمة. وقد استخدم الشاعر الأقصى كرمز للقدس الشريف وفلسطين على نحوٍ عام، وهو يمثل قداسة دينية وتاريخية. وقد تحدث الشاعر عن مكة التي مثلت الأمة الإسلامية، باعتبارها المركز الروحي للمسلمين. والغربان هنا كانت الأعداء والمعتدين ودلالتها الخراب والتدمير. واستخدام الشاعر للأجفان المغرقة بالدمع دلالة على الحزن الشديد والأسى العميق. والمعاول رمز للهجمات والانتهاكات التي يتعرض لها الأقصى وأمجاد الأمة.

[1] وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. 2 فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. 3 وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ».[التوراة:12: الآيات 1-5].

يعتقد اليهود أن الإله وعد إبراهيم وعاهده على أن تكون هذه الأرض لنسله. فهي «أرض المعاد» التي سيعود إليها اليهود تحت قيادة الماشيّح (المسيح المخلص)، أي الأرض التي ستشهد نهاية التاريخ. فأرض إسرائيل هي مركز الدنيا لأنها توجد في وسط العالم، تماماً كما يقف اليهود في وسط الأغيار وكما يشكل تاريخهم المقدّس حجر الزاوية في تاريخ العالم وتماماً كما تشكل أعمالهم حجر الزاوية لخلاص العالم، هذا بالطبع حسب اعتقادهم وحدهم.

ختامًا الأبيات تحمل رسالة قوية عن ضعف الأمة الإسلامية تجاه قضية الأقصى وضرورة النهوض من هذا الحال المؤلم؛ يمكن القول إن طائر الغراب في الشعر الفلسطيني يمثل رمزًا عميقًا للشؤم والموت؛ إذ يتجسد في الثقافة الفلسطينية والعربية كإشارة إلى الخراب والتشاؤم، وخاصة في سياق الاحتلال والحروب المستمرة. استخدم الشعراء الفلسطينيون الغراب لتسليط الضوء على معاناة الشعب الفلسطيني وحالة التشتت والفقدان التي يعانون منها، وللتعبير عن عجز ضمير الأمة العربية والعالمية عن التحرك لإيقاف آلة القتل والإرهاب التي يمارسها الاحتلال الصهيوني. كما أن الغراب، بما يحمله من دلالات الموت والفراق، أصبح رمزًا لفقدان الأرض والمقدسات، وكذلك لفقدان الأمل في تحقيق العدالة. ومع ذلك، يبقى أمل الفلسطينيين حيًّا في المقاومة والتضحية؛ إذ يظل الشعار الفلسطيني يتردد بأن الموت لا يوقف النضال، بل يزيده قوة وعزيمة، ويبقى الغراب في الشعر الفلسطيني شاهدًا على تلك التضحيات التي قد لا تذهب سدى.

المبحث الثاني: الغراب والبين (الفراق)

عرف طائر الغراب بالبَيْن على مدى العصور[1]، ويعود ذلك إلى كونه الطائر الأول الذي شهد أول جريمة حدثت في تاريخ البشرية. وقد كان نذير الفراق بين الإخوة. ومن ثم بانَ على نوح عليه السلام عندما ذهب ليتفقد حال الأرض ووجد جيفة وقف عليها ونسي أمر نوح عليه السلام. وقد عُرف طائر الغراب على مر العصور بالبَيْن وكونه إعلانًا لتفريق الأحباء عن بعضهم؛ فقد كان الإنسان الجاهلي، عندما يسمع نعيب الغراب بصوت عالٍ، يتشاءم منه. ولم يقتصر ذلك على الإنسان الجاهلي فقط، بل في العصور الزمنية كافة نادرًا ما جاء طائر الغراب برمز لشيء جيد.

أما في الشعر الفلسطيني؛ فقد اختلفت دلالة الغراب والبَيْن عن غيره من العصور؛ إذ استخدم الشاعر الفلسطيني الغراب رمزًا للشتات والضياع والبعد عن الوطن، وليس فقط عن الحبيب. لم يُذكر طائر الغراب لفظًا صريحًا في كثيرٍ من القصائد الفلسطينية، ولكن عند وروده غالبًا ما يدل على الفقد والشؤم والشتات والابتعاد عن الحبيبة الأولى فلسطين.

الغراب والابتعاد عن الوطن (الحبيبة)

لطالما كان الغراب رمزًا لفراق الأحبة، وقد استخدمه الشاعر الجاهلي للتعبير عن مشاعر البعد والفراق عن محبوبته؛ إذ كان يلوم طائر الغراب إذا نعب فوقه؛ إذ عدّ الشاعر أن هذا النعيب إنذار بابتعاده عن محبوبته. وقد استخدم الشاعر الفلسطيني رمز طائر الغراب مُعلنًا دلالة مختلفة عن غيره من الشعراء. في هذه المرة، لم تكن الحبيبة وحدها هي المقصودة، بل كانت فلسطين، الحبيبة الأولى لكل فلسطيني، هي المقصودة. كان غراب البَيْن في هذه المرة ينعب إعلانًا برحيل الفلسطيني عن وطنه وديارِه، وهذا

[1] عُرِفَ الغُرابُ في الجاهلية رمزًا للفراق والموت؛ وذلكَ بسببِ تَطَيُّرِ الإنسانِ الجاهلي من طائرِ الغراب، فعندما كانَ الشاعرُ الجاهلي يرى الغرابَ كانَ يَتَشَاءَمُ من وجودِه، وذلك لأنَّ الغرابَ نذيرٌ للشُّؤمِ وفِراقِ الأحبَّة، ويُحَذِّرُ من الموتِ والخراب؛ ولذلك أُطلِقَ عليه لقبُ غُرابِ البَيْن. كذلكَ عكَسَ الشُّعراءُ الجاهليون رمزيَّةَ الغرابِ السَّوداءَ التي تَتَرادَفُ مع ألمِ الفراقِ والانفصال، وقد أصبحَ طائرُ الغرابِ أحدَ أهمِّ الطُّيورِ المُستخدَمةِ للتعبيرِ عن مشاعرِ الحزنِ والفِراق.
أخذَ طائرُ الغُرابِ هذهِ النظرةَ السَّوداويَّةَ بسببِ لونِه الأسودِ وصوتِه الحادِّ، وكذلكَ لأنَّهُ بَانَ على نوحٍ عليهِ السَّلام. وقد شاعَ عندَ العربِ أنَّ لِمَامَ الطَّيرِ ثلاثةٌ: الغربانُ والبُومُ والرَّخَمُ، فالغرابُ أكثرُ من جميعِ ما يَتَطَيَّرُ به في بابِ الشُّؤمِ. (دامبلي، 2019م، صفحة 87)

الألم أشد قوة من غيره؛ فراق الوطن والذهاب إلى وطن يكون الفلسطيني فيه مهجرًا دون مأوى أو بيت يحتويه، هي المأساة الحقيقية.

ونتيجة الحروب السياسية التي تعرضت لها فلسطين منذ الانتداب البريطاني[1] وصولاً إلى الاحتلال الصهيوني وما تبعه من سياسات ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، وما جرى من أحداث أدت إلى تهجير الفلسطينيين من أرضهم[2]، كان لا بد من إيصال الفكرة إلى شعوب العالم. وكان ذلك من خلال رمز طائر الغراب السوداوي أو غراب البَيْن كما هو متعارف عليه. استخدم الشاعر الفلسطيني طائر الغراب(الاحتلال الصهيوني) دلالةً على كونه السبب الرئيس الذي دفع الفلسطيني للرحيل عن أرضه. بدأ غراب البَيْن النعيب منذ عام (1948م)، وكان ذلك إعلانًا بمرحلة التهجير (الرحيل عن الأحبة "الحبيبة الوطن").

وقد كان ذلك بارزًا في الكثير من القصائد. فمن لم يستخدم رمز الغراب، استخدم مصطلحًا قريبًا منه، وهو مصطلح الغربة أو الاغتراب[3]؛ أي الاغتراب عن الوطن؛ إذ لا توجد حياة كريمة ولا موت كريم؛ حتى المغترب لا يأخذ حقه بالموت كما يكون الموت داخل الوطن. أعاد الشعر الفلسطيني تجسيد رمزية الغراب والبَيْن بالاستناد إلى الموروث الثقافي العربي؛ إذ لطالما اقترن الغراب بالفقد والخراب في القصائد الجاهلية، كما جاء في بيت امرئ القيس الشهير:

---

[1] "هذا، ويعتبر وعد بلفور عام ١٩١٧م، هو بلورة ليس لوعد، وإنما هو عقد تم رسميًا بين الحركة الصهيونية وبين الدول الغربية، يُعدُّ وعد بلفور عقدًا يوحي لمعاني كثيرة لا يحتاج أطرافها الصهاينة والدول الغربية إلى الإسهاب في شرح التفاصيل، فالعقد قد بدء بحيلة الصياغة حينما أشار إلى عبارة الوطن القومي اليهودي، ولم يقل الدولة القومية لليهود لأجل أن يكون الأمر سهلاً لخداع العرب على أن ليس هناك دولة ستقام على حسابهم، ولذلك لم يعط الزعماء العرب اهتماما كبيرا أو خوفا بحجم طرد شعب كامل، وكل ما اهتم به ملوك العرب الثلاثة، فاروق ملك مصر، وعبد العزيز آل سعود ملك السعودية، وعبد الله بن الشريف حسين، هو أنهم كانوا يتحفظون على الهجرة اليهودية المتزايدة إلى فلسطين، واهتموا كثيرًا بخلافاتهم الشخصية والإقليمية، وحينما أشار وعد بلفور إلى السكان المحليين ونعتهم بالجماعات الأخرى، فإنه أنكر وجود الشعب الفلسطيني صاحب الأرض، لذلك سمي وعد بلفور بأنه وعدًا صامتا بين أصحاب العلاقة".تم تحديد مصدر غير صحيح.

[2] "اتبع الاحتلال سياسة تبقي المواطنين الفلسطينيين منفصلين، ومحصورين عن سياق الحياة الحضارية الصهيونية، وتغلف هذا الفصل بدمج ظاهري من خلال اعطائهم حرية التنقل والعمل في داخل الأراضي المحتلة عام 48 وبعبارة أخرى اعتقد صانعو السياسة الصهيونية أن فتح كيانهم للفلسطينيين اقتصاديا، وفي ذات الوقت الضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه مقاومة الاحتلال؛ سوف يؤدي مع الأيام بلا شك إلى قبول الفلسطينيين بالاحتلال وانطفاء مقاومتهم وبالتالي السيطرة المطلقة على الضفة الغربية وقطاع غزة، وإنهاء قضية الفلسطينيين وصعود نجم دولة «إسرائيل» الديمقراطية ذات القوميتين والأغلبية اليهودية في منطقة الشرق الأوسط."تم تحديد مصدر غير صحيح.

[3] الاغتراب يعرّف الاغتراب على أنّه الحالة السيكو اجتماعيّة المسيطرة بشكلٍ تام على الفرد، بحيث تحوّله إلى شخصٍ غريبٍ وبعيد عن بعض النواحي الاجتماعيّة في واقعه.

نعـــب الغـــراب وليتـــه لـــم ينعـــب بـــالبَيْن مـــن ســـلمى وأمّ الحوشـــب

(الدينوري أ.، 1432ه، صفحة 126)

وقد أعاد الشعر الفلسطيني توظيف هذه الرموز ليعبّر؛ عن معاناة حديثة، خاصـة مـا يتعلـق بالنكبـة واحتلال الأرض. فالغراب هنا ليس فقط رمزًا للنحس[1]، بل يظهر كصورة متكررة تلميحًا إلى المحتـل الذي يسعى إلى أخذ الأراضي الفلسطينية، ناشرًا الخراب ومراقبًا الألم. وقد ظهر البَـيْن فـي الشـعر الفلسطيني بصورة الفراق القسري، كالهجرة الجماعية، وضياع الهوية، والتشريد. ولا يرتبط البَيْن عنـد الشاعر الفلسطيني فقط بالمكان، بل تعدى ذلك ليرتبط بالبعد العاطفي (عن الحبيبة فلسطين).

الغراب في الشعر الفلسطيني الحديث

في الشعر الفلسطيني، تتجاوز رمزية الغراب دلالاتها التراثية لتصبح أداة تعبير عن الاحتلال والمأسـاة الوطنية. يظهر الغراب غالبًا كرمز للمحتل أو كحارس الخراب الذي يخيم على الأرض بعـد التهجيـر والنكبة؛ وذلك لأن طائر الغراب دائمًا ما كان ملازمًا للمقابر ودائمًا ما كان يأكل جثث القتلى بعد انتهاء المعارك.

البَيْن في الشعر الفلسطيني من الفراق إلى المنفى

في كثير من القصائد، يظهر الغراب والبَيْن معًا كرمزين متكاملين. الغراب يشير إلى حالـة الخـراب المستمرة، بينما البَيْن يعبر عن لحظة الانفصال الأولى (عن الوطن والتشريد). الشعر الفلسطيني، عبـر هذه الرموز، ينجح في بناء جسر بين الماضي والحاضر، ويعيد صياغة الأدب العربي ليصـبح مـرآة للألم الفلسطيني وصمود الشعب أمام محاولات طمس هويته:

1. البَيْن كرمز للاغتراب المكاني والروحي[2]: في التراث العربي، "البَيْن" يعني الانفصال، لكنـه فـي الشعر الفلسطيني يكتسب بعدًا أكثر شمولية ليشير إلى التشريد وفقدان الأرض والهوية.

[1] نحِس الشَّخصُ:كان سيِّء الحظّ، شقي بعد سعادة، أصابه الشرّ.

[2] حَياةٌ روحيَّةٌ: حَيَاةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِما هُوَ ذِهْنِيٌّ، بَعِيدَةٌ عنْ كُلِّ مَا هُوَ مادِّيٌّ وحِسِّيٌّ.(أي للمكان روح تحيط به وتعطيه الخصوصية والنكهة التي تميزه عن باقي الأمكنة).

2. البَيْن كأداة تصوير للمأساة: في تصويره للنكبة، يعكس البَيْن لحظة الانفصال القاسية، ليس فقط عن الأرض، ولكن عن تاريخ الفلسطينيين وهويتهم.

الغراب والبَيْن (الفراق أو البعد) كرمزين أدبيين يُستخدمان في الشعر الفلسطيني[1] على نحوٍ محدود ولكنهما يُعبّران عن معانٍ عميقة متصلة بالاغتراب والفقد والحزن. الغراب، بوصفه طائرًا مرتبطًا بالشؤم والفقد، والبَيْن بمعنى الانفصال، يجدان مكانهما في الشعر الفلسطيني الذي يتميز بالغربة والمنفى.

رمزية الغراب والبَيْن في الشعر الفلسطيني

- الغراب: يُذكر غالبًا رمزًا للنهاية أو الإنذار بالفقد. في قصائد المقاومة الفلسطينية، قد يظهر الغراب رمزًا للاستعمار الذي يحلّق فوق الأرض أو كمؤشر على مأساة مستمرة. في شعر محمود درويش، مثل "حبر الغراب"، استُخدم الغراب عنصرًا فلسفيًّا يعكس درسًا إنسانيًّا حول الموت والوجود، مستوحى من قصة قابيل وهابيل.
- البَيْن: يمثل البعد أو الشتات الفلسطيني؛ إذ يعبر الشعراء عن ألم الفراق عن الأرض والأحبّة.

مثال على ذلك: (قصيدة رسالة من المنفى):

القصيدة للشاعر محمود درويش، الشاعر الفلسطيني المعروف بوطنيته وحبه لوطنه فلسطين. وقد جاءت القصيدة بهدف التعبير عن الشعر الوطني والقومي المعبر عن معاناة الإنسان الفلسطيني والمغترب[2] تحديدًا. وقد جسد درويش في هذه القصيدة مشاعر الاغتراب والألم والفقد، كما استخدم الرموز للتعبير عن معاناة المنفى والحنين للوطن.

الليل – يا أمّاه ذئبٌ جائعٌ سفاحْ

[1] دائمًا ما كان طائر الغراب يرمز إلى البعد والفراق عن الأحبة في مختلف العصور، أما فيما يتعلق بالشعر الفلسطيني فقد رمز الغراب إلى شيء جديد وهو الفراق عن الوطن الذي يُعدُّ من أغلى الأحباء.

[2] مُغْتَرِبٌ عَنْ بَلَدِهِ: النَّازِحُ عَنْهُ.

يطارد الغريب أينما مضى...

ويفتح الآفاق للأشباحْ

وغابةُ الصفصاف لم تزل تعانق الرياحْ

ماذا جنينا نحن يا أماه؟

حتى نموت مرتين

فمرة في الحياة

ومرة نموت في الحياة

استخدم الشاعر الليل[1] رمزًا يشير إلى الظلام والمعاناة. وقد شبه درويش الليل بـ"ذئب جائع سفاح"[2]؛ مما يعكس حالة الخوف والتربص التي يعيشها الفلسطيني المغترب في مكان غير مألوف؛ أي أن الليل هنا يرمز للمصاعب والمخاطر التي يواجهها الفلسطيني البعيد عن وطنه. أشار درويش هنا إلى التهديدات والمخاوف الغامضة التي تحيط بالفلسطيني المغترب، وقد حملت الرياح رمز التشتت والضياع؛ وذلك لأن صوت الرياح يسبب الفزع والخوف وكذلك الأشباح أيضًا تسبب الخوف وهذا دلالة على صعوبة اغتراب الفلسطيني عن أرضه. ووضح درويش أن الإنسان المغترب يشعر بالموت مرتين؛ الأولى في الحياة عندما يعيش في المنفى بعزلة؛ (إذ لا توجد حياة له ولا هوية)، والثانية هي موته الحقيقي. يعبر هذا عن صعوبة الحياة من دون وطن وشعور الاغتراب النفسي.

هل تعلمين ما الذي يملأني بكاء؟

هبي مرضتُ ليلةً... وهدّ جسمي الداء !

هل يذكر المساء

مهاجراً أتى هنا... ولم يعد إلى الوطن؟

[1] لطالما كان رمز الليل في الشعر يدل على الحزن والألم والفراق، ووجه الشبه بينه وبين طائر الغراب هو لونهما الأسود الحالك.

[2] الذئب هنا(في القصيدة) استعارة لصراع البقاء الذي يواجهه الفلسطينيون في ظل الاحتلال، وقد يُعدُّ رمزًا للانطلاق والحرية عندما يصور في طبيعته البرية.

هل يذكر المساء

مهاجراً مات بلا كفن؟

يا غابة الصفصاف ! هل ستذكرين

أن الذي رَمَوْه تحت ظلك الحزين

كأي شئ مَيّتٍ إنسان؟

هل تذكرين أنني إنسان

وتحفظين جثتي من سطوة الغربان؟

أماه يا أماه.

لمن كتبت هذه الأوراق

أي بريد ذاهب يحملها؟ (درويش، محمود درويش الأعمال الشعرية الكاملة، 2014م، صفحة 34)

وقد استخدم درويش كثيراً من الألفاظ التي دلت على الحزن والبكاء وهذه دلالات لطالما كانت مرتبطة بطائر الغراب والمساء هنا يرمز إلى الهدوء الذي يسترجع فيه الشاعر ذكريات وطنه وأحبابه. لكنه، في الوقت نفسه، يصبح شاهدًا على حزنه واغترابه. وأما غابة الصفصاف[1] رمزت إلى الحزن والانكسار؛ إذ يعانق الصفصاف الرياح في مشهد من الكآبة والانحناء؛ وهو ما يعكس حالة الشاعر النفسية. وقد اختلف رمز الغراب[2] في هذه القصيدة عن رمز الغراب في الأدب العربي[3]؛ فهنا يشير إلى التهديد الدائم الذي يتربص بالجثث في المنفى؛ إذ يعبر عن الإحساس بالخطر الذي يحيط بجسد المهاجر حتى بعد موته، دون أن يجد من يحميه أو يدفنه على نحوٍ لائق.

[1] "الصفصاف رمز آخر من الرموز الفلسطينية التي استخدمها درويش في شعره، وذلك للدلالة على المنعة والإرادة الفلسطينية الصلبة، لأن شجر الصفصاف يستخدم كمصدات للرياح في المزارع الفلسطينية"

[2] النص يتبع السياسة لكن ربما أنه قد تبدلت السياسة، وصار سياسيًا مرتبطًا بالاحتلال، وقد تبدلت رمزية الغراب لتناسب السياسة الجديدة، كما أن ذكر الغراب في الأدب الحديث يعود إلى نسق فني في التراث العربي القديم.

[3] وقد سار الشعراء الفلسطينيون على نهج الشعراء العرب في استخدام الغراب رمزًا للفراق والخراب وغيرها من المحاور. ولكن اختلفوا مع الشعراء العرب في استخدام رمز الغراب لتسليط الضوء على القضية الفلسطينية، وقصد الاحتلال الصهيوني دون التعرض المباشر له.

واستخدام درويش للأوراق والبريد إشارة منه إلى الرسائل التي تحمل أخبار المغترب وحنينه لعائلتـــه. إلا أن الشاعر يظهر يأسه من وصول تلك الرسائل بسبب الطرق المسدودة والآفاق المغلقة وهـــذا يـــدل على صعوبة حياة المغترب بعيدًا عن وطنه كما لو أنه خلق وحيدًا على هذه الأرض دون أهل أو وطن يأويه. وهنا طائر الغراب في نهاية القصيدة رمز إلى الخراب والشؤم والمـــوت، ويعبـــر عـــن نهايـــة مأساوية وحالة من التشاؤم التي يعيشها الإنسان بعيدًا عن وطنه[1]. ويتساءل الشـــاعر إن كانـــت جثتـــه ستبقى ملقاة في الغربة دون تكريم أو حماية؛ وأما غابة الصفصاف والرياح ترمز إلى الغربة والحـــزن المستمر. فالصفصاف، الذي ينحني أمام الرياح، يمثل الإنسان المنكسر والضعيف أمام قوى الغربة.

القصيدة تعبر عن ألم المنفى وفقدان الهوية والانتماء؛ إذ يصف الشاعر ما يشعر به المغترب من الوحدة والضياع في بلاد الغربة. في الغربة يفقد الإنسان قيمته كونه بلا وطن أو عنوان. يتساءل الشاعر عـــن جدوى الحياة في ظل هذه الظروف المأساوية، ويعبر عن فقدانه الأمل في العودة لوطنـــه ولقـــاء أهلـــه وأحبائه. القصيدة تحمل رسالة قوية عن قيمة الوطن والانتماء، وتسلط الضوء على المعاناة الوجوديـــة التي يواجهها المهاجرون واللاجئون.

وهكذا، الغراب والبَيْن، في الشعر الفلسطيني، ليسا مجرد استعارات حزينة، بل هما أدوات فنيـــة تنقـــل تجربة الاغتراب الفلسطيني بأبعادها المتعددة. الرمزان يعبران عن حالة وجودية مأســـاوية؛ إذ يمـــثلان الاحتلال والنكبة، لكنهما يتحولان أحيانًا إلى محفزات للمقاومة والصمود. يبرز الشعر الفلسطيني كوثيقة إنسانية تعكس مأساة النكبة، لكنه أيضًا يرسم ملامح الأمل في استعادة الأرض والهوية، لتصبح الرمزية فيه سلاحًا للحفاظ على الذاكرة الوطنية والإنسانية. رمزية الغراب تجمـــع بـــين الماضـــي والحاضـــر. استعارة الغراب والبَيْن في الشعر الفلسطيني تمثل امتدادًا للرموز التراثية العربية، لكن بلمسة معاصـــرة تعبر عن المعاناة الفلسطينية. هذه الرمزية ليست مجرد استحضار للحزن، بل أداة نضالية لتوثيق الهوية الوطنية، واستحضار المأساة، والدعوة للمقاومة.

[1] إذ لا يشعر المغترب بانتمائه إلى الوطن الذي اغترب فيه، لأن الاغتراب روحيًا لا يتعلق بالمكان المادي.

المبحث الثالث: الغراب والاحتلال الصهيوني

لطالما كان الغراب رمزًا متجذرًا في التراث العربي والإسلامي؛ إذ يحمل دلالات متناقضة تجمع بين الشؤم والحكمة[1]، الحزن والبقاء. وفي الشعر الفلسطيني، الذي يمثل مرآة لواقع الاحتلال والنضال المستمر، أخذ الغراب بعدًا خاصًّا ينسجم مع السياقات السياسية[2] والاجتماعية التي يعيشها الشاعر الفلسطيني. من المعروف أن فلسطين كانت قابعة تحت الاحتلال الصهيوني منذ عام (1948م)؛ وذلك نتيجة تسليم بريطانيا لها وفق وعد بلفور [3](الذي نص على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين)؛ ونتيجة لذلك ثار الشعب الفلسطيني على المحتل ودارات معارك عديدة بين الثوار وجيش الاحتلال، وقد شارك بها أبناء المجتمع الفلسطيني كافة على حد سواء، حتى الشعراء والأدباء؛ وبسبب ذلك تعرضوا إلى أنواع التعذيب والانتهاكات كافة؛ لذلك لجأ الشعراء إلى استخدام ظاهرة الرمز[4]؛ للحديث عن الاحتلال براحة مطلقة دون الاحتكاك المباشر معهم.

---

[1] الغراب طائر الحكمة،" هكذا يقول الله{ لِيُرِيَهُ} فهو خلق لنا ما حولنا ليعلمنا، ولم يخلقه لنصطاد منه فقط، بل خلقه للتعليم، وكأن الله يقول: هل ذكرت في هذه السورة أن ابن آدم قال يا ويلتا على ضياع صيد، أو ضياع الشهوات، بل دعا بالويل للجهل بالأمور الطبيعية".تم تحديد مصدر غير صحيح.

[2] ومما ورد عن علاقة طائر الغراب بالسياسة: " وذكروا أن عبيد الله بن عبد المؤمن أخبرهم عن رجاء بن حيوة: أنه لما حج سليمان بن عبد الملك، ومعه عُمر بن عبد العزيز، وذلك في سنة ثمان وتسعين فلما انتهى إلى عقبة عسفان، نظر سليمان إلى السرادقات، قد ضربت له ما بين أحمر وأخضر وأصفر، وكان يوسف بن عُمر قد عمل له باليمن ثلاثة سرادقات، فكانت تضرب له، وكان الذي منها للناس من خز أخضر، والذي يليه من خز أصفر، ثم الذي يكون هو فيه من وشيء أحمر، محبر من حبرات، اليمن، مزرر بالذهب والفضة، وفي داخله فسطاط، وفيه أربعة أفرشة من خز أحمر، مرافقها من وشي أصفر، وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه وكتابه وحشمه قرب ذلك.

فلما استوى سليمان في قبة العقبة، ونظر إلى ما نصب له. قال: يا عمر، كيف ترى ها هنا؟ قال: أرى دنيا عريضة، يأكل بعضها بعضاً، أنت المسؤول عنها، والمأخوذ بها، فبينما هما كذلك، إذ طار غُراب من سرادق سليمان، في منقاره كسرة، فصاح الغراب. فقال سليمان: ما يقول هذا الغراب يا عمر؟ قال عمر: ما أدري، ولكن إن شئت أخبرتك بعلم. قال سليمان: أخبرني. فقال عمر: هذا غراب طار من سرادقك بكسرة، هو يأكلها، وأنت المأخوذ بها، والمسؤول عنها من أين دخلت، وأين خرجت؟ قال سليمان: إنك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص. فقال عمر: أفلا أخبرك بأعجب من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أخبرني قال: من عرف الله تعالى كيف يعصاه، ومن عرف الشيطان كيف يطيعه، ومن أيقن بالموت كيف بهنيه العيش ويسوغ له الطعام، ومن أيقن بالنار كيف يضحك ! فقال سليمان: نغصت علينا ما نحن فيه يا أبا حفص، ومن يطيق ما تطيق أنت يا عمر؟ أنت والله الموفق المطيع".تم تحديد مصدر غير صحيح.

[3] وعد بلفور أو تصريح بلفور (Balfour Declaration) هى الرسالة اللىأرسلها آرثر جيمس بلفور بتاريخ 2 نوفمبر 1917 إلى اللورد ليونيل والتر دىروتشيلد يشير فيها لتأييد حكومةبريطانيا لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين. و صدر بعد اتفاقية الامير فيصل ممثل ملك الحجاز مع حاييم وايزمان الصهيونى و أول رئيس لدولة إسرائيل اللى وقعت سنة 1915، وتم اعتمادها فى اتفاقية باريس سنة 1919 لتطبيق وعد بلفور.

[4] "الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم. والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شئ أشرت إليه بيد أو بعين، ورمز يرمز ويرمز رمزا. وفي التنزيل العزيز في قصة زكريا، عليه السلام: ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا."تم تحديد مصدر غير صحيح.

الغراب في الشعر الفلسطيني: دراسة رمزية

الغراب رمز للحزن والفقد

لطالما كان طائر الغراب على مدار العصور القديمة والحديثة رمزًا من رموز الحزن والفقد والابتعاد عن الأحبة، مثلًا في القرآن الكريم جاء الغراب في سياق المعلم الأول للإنسان؛ إذ علم ابن آدم كيفية دفن أخيه الميت قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾[المائدة:31]

وفي الكتاب المقدس جاء للحديث عن الطوفان الذي أغرق الله به عباده غير الصّالحين والذين لم يستجيبوا لدعوة نوح عليه السلام؛ أما الغراب في الكتاب المقدس فرمز إلى الخطيئة؛ وذلك لأنه أكل الجيف التي أغرقها الرب[1]، ورمز إلى الخراب الذي سيحل بالشعوب التي عادت اليهود وسيحل الخراب عليهم وتسكن بيوتهم الغربان. وفي الشعر الجاهلي كان الشاعر الجاهلي يستخدمه ليدلل على ترك محبوبته له وأن طائر الغراب هو السبب في هذا الفراق[2].

وأما بما يتعلق بالشعر الفلسطيني؛ فقد رمز الغراب إلى الاحتلال الذي كان السبب والأساس في تفريق الأحباء وتهجير المواطنين. وهناك وجه شبه أخر بين الاحتلال الصهيوني وطائر الغراب وهو اللون الأسود؛ فالأسود هو لون الغراب ورمز الاحتلال؛ أي سواد لون الغراب وشدة ظلم وسواد قلب المحتل وأفعالهم السوداوية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل. هذا اللون الذي يدل على الدمار والفساد والذلة والصعوبة والقسوة. كذلك اللون الأسود يشير إلى السياسة الإجرامية والهمجية والاغتيالات التي قام بها الاحتلال الصهيوني اتجاه الشعب الفلسطيني الحر؛ فالأسود مرتبط بالليل والظلام والرماد.

[1] 7 وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. [التوراة:التكوين:الإصحاح8: الآيات 1-22].

[2] ظَعَنَ الّذينَ فَراقَهُم أَتَوقّعُ***وَجَرى بِبَينِهِمُ الغُرابُ الأَبقَعُوقدِ استخدمَ الشاعرُ الجاهليُّ الغُرابَ أداةِ للتعبيرِ عن فِراقِه لمحبوبتِه وما حصلَ له بعدَما نَعَبَ الفِراقُ بهم، وقد علّلَ سببَ تَرْكِ عبلةَ له بأنّ غُرابَ البَيْنِ قد صاحَ بهم. (أبو سنينة، 2012م، صفحة 41)

الغراب رمزًا للصمود والبقاء

رغم قساوة الظروف التي عاشها الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال والتهجير والقتل والإرهاب، وعلى الرغم من ارتباط طائر الغراب بالخراب، إلّا أن طائر الغراب من الطيور التي تتكيف مع البيئة التي تعيش فيها وحتى لو كانت الظروف صعبة وقاسية. وقد عكس الاحتلال هنا صمود الشعب الفلسطيني في وجه المتحل الصهيوني. رغم أن طائر الاحتلال بان على نوح ﷺ إلا أنه كان من الطيور التي صعدت إلى السفينة ونجت من الغرق[1].

مثال على ذلك قصيدة الحمامة والغراب للشاعر (أديب كمال الدين):

حين طار الغراب ولم يرجع

صرخ الناس وسط سفينة نوح مرعوبين

وحدي ــ وقد كنت طفلا صغيرا ــ

رأيت جناح الغراب،

أعني رأيت سواد الجناح،

فرميت الغراب بحجر.

هل أصبته؟

لا أدري.

هل أصبت منه مقتلا؟

لا أدري

لماذا كنت وحدي الذي رأى

سواد الغراب

[1] 13 فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلْكِ. 14 هُمْ وَكُلُّ الْوُحُوشِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عُصْفُورٍ، كُلُّ ذِي جَنَاحٍ.[التوراة:التكوين:الإصحاح7: الآيات 1-24]

ولم يره الناس؟

لا أدري (كمال الدين، 2013م، صفحة 109)

في هذا المقطع، يبُرز الشاعر الغراب كرمز للتمرد والبقاء؛ إذ يُصوَّر الغراب كطائر يواجه المخـــاطر ولا يعود، مما يعكس الصمود في وجه التحديات.

الغراب (الاحتلال الصهيوني) كرسول أو نذير

طائر الغراب على مدار العصور كان نذير شؤم ينذر بالخراب[1]، وكان إذا حلق فوق منزل معين أنـــذر أصحاب هذا المنزل أن كارثة ستحدث لهم، وغالبًا ما تتعلق بفراق عزيز؛ أما في الشعر الفلسطيني أنذر طائر الغراب ببداية الحرب والقتل والتشريد وقد مارس أنواع التعذيب والارهاب والقتل كافة.

الغراب رمزًا للثورة والتمرد

هنا رمز الغراب إلى الشعب الفلسطيني الذي يرفض الخضوع أو الانكســـار ويصـــر علـــى المطالبـــة بحقوقه، فطائر الغراب طائر مغوار وقد ساعد ماركوس فاليروس لقد كان ماركوس قائدًا رومانيًّا، وقـــد دخل في شبابه بنزال فردي مع قائد غالي، في معركة جمعت بين الجيش الغالي والجـــيش الرومـــاني. بينما كان ماركوس يقاتل بشجاعة، ظهر الغراب أوروس، صديقه المخلص، الذي كان يراقب الوضـــع من السماء. وبمجرد أن رأى الغراب الوضع الصعب الذي واجهه ماركوس، قرر التـــدخل لمســـاعدته. باستخدام ذكائه وحنكته، قاد الغراب أوروس سربًا من الغربان الأخرى للانضمام إلى معركة ماركوس. وبسرعة، هاجمت الغربان الأعداء؛ مما ألهب الفوضى في صفوفهم وأعطى ماركوس والجيش الخاص به فرصة للتفوق. (ساكس، 2010م، صفحة 58) وقد ساعده الغراب في الانتصار في المعركـــة عـــن طريق الوقوف على رأسه واعطائه التعليمات ومساعدته مع مجموعة من الغربان، وقد أطلق الرومـــان على طائر الغراب اسم كورفينوس نسبة إلى الغراب (Corvus).

[1] "وأصل التطيّر إنما كان من الطّير ومن جهة الطير، إذا مرّ بارحا أو سانحا..... وصاح بذات البين منها غرابها. (الجاحظ ع.، 1424ه، صفحة 208)

الغراب رمزًا للاحتلال الصهيوني

في الشعر الفلسطيني، يظهر الغراب رمزًا للاحتلال الصهيوني، حاملاً دلالات ثقافية وسياقية عميقة. يُستخدم الغراب كإشارة إلى الخراب والتشاؤم؛ لما يرتبط به في المخيال الشعبي من نذير للشؤم والموت. هذا الطائر، الذي يحلّ في الأماكن المهجورة، يُجسد صورة الاحتلال الذي جاء غريبًا[1] ليستوطن أرضًا ليست له، ناشرًا الخراب والدمار. في قصائد مثل تلك التي كتبها محمود درويش، يتحول الغراب إلى استعارة تمثل وجودًا عدوانيًّا ينهش جمال الأرض الفلسطينية ويغتال روحها. من خلال هذا الرمز، يعبر الشعراء الفلسطينيون عن مشاعر الغضب والحزن، ويجسدون واقعًا مليئًا بالمعاناة؛ إذ يصبح الغراب شاهدًا على جريمة تاريخية تستهدف الأرض والإنسان معًا.

قصيدة حبر الغراب للشاعر محمود درويش

لَكَ خَلْوةٌ في وَحْشة الخرّوب، يا

جَرَسَ الغُروب الداكنَ الأصواتِ! ماذا

يطلبون الآن منكَ؟ بَحثتَ في

بُستانِ آدمَ؛ كي يواري قاتلٌ ضَجِرَ أَخاهُ،

وانغلقتَ على سوادِكَ

عندما انفَتَحَ القتيلُ على مَدَاهُ،

وانصرَفْتَ إلى شُؤونكَ مثلما انصرفَ الغيابُ

إلى مشاغله الكثيرة. فلتَكُنْ

يَقِظاً. قيامتُنا ستُرْجَأُ يا غرابُ!

*

[1] يعود سبب التطير من الغراب إلى؛ تعلقه بلفظ الغربة بمعنى النزوح عن الوطن والأهل والأحبة. (الزيات، 1388ه، صفحة 21)وقد علل الجاحظ هذا القول في: "وأصل التطير إنما كان من الطير إذا مر بارحا أو سانحا (أي عن اليمين أو عن اليسار".

لا لَيْلَ يكفينا لنحلُمَ مَرَّتَين. هناكَ بابُ

واحدٌ لسمائنا. من أَين تأتينا النهايةُ؟

نحن أَحفادَ البدايةِ. لا نَرَى

غَيْرَ البداية، فاتّحدْ بمهبِّ لَيْلِكَ كاهناً

يَعِظُ الفراغَ بما يُخَلِّفُهُ الفراغُ الآدَمِيُّ

من الصدى الأبديِّ حولكَ...

أَنْتَ مُتَّهَمٌ بما فينا. وهذا أَوَّلُ

الدَمِ من سُلاَلَتِنا أمامَكَ، فابتعدْ

عن دار قابيلَ الجديدةِ

مثلما ابتعَدَ السرابُ

عن حِبْر رِيشكَ يا غرابُ

*

لِيَ خلْوَةٌ في ليل صوتكَ... لي غيابُ

راكضٌ بين الظلال يشدُّني

فأشدُّ قَرْنَ الثور. كان الغَيْبُ يدفعني وأَدفعُهُ

ويرفعُني وأَرفعُهُ إلى الشَبَح المُعَلّق مثل

باذنجانةٍ نَضَجَتْ. أَأَنت إذاً؟ فماذا

يطلبون الآن منّا بعدما سرقوا كلامي من

كلامك، ثم ناموا في منامي واقفينَ

على الرماح. ولم أَكُنْ شَبَحاً لكي يمشوا

خُطَايَ على خُطايَ. فكُنْ أَخي الثاني،

أَنا هابيلُ، يُرْجِعُني الترابُ

إليكَ خَرُّوباً لتجلسَ فوق غُصْني يا غرابُ

*

أَنا أَنتَ في الكلمات. يجمعنا كتابُ

واحدٌ. لِيْ ما عَلَيْكَ من الرماد، ولم

نَكُنْ في الظلِّ إلاّ شاهِدَيْنِ ضحيَّتَيْنِ

قصيدتينِ

قصيرتينِ

عن الطبيعة، ريثما يُنْهي وليمَتُه الخرابُ

ويضيئك القرآنُ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾

ويضيئك القرآنُ، فابحثْ عن قيامتنا، وحلِّقْ يا غُرَابُ! (درويش، محمود درويش الأعمال الشعرية الكاملة، 2014م، صفحة 532)

سيمياء العنوان

حبر الغراب: حبر الغراب هو مصطلح يستخدم لوصف الحبر الأسود الكثيف والداكن. يعتقد أن حبر الغراب يشير إلى لون الحبر الذي يستخدم في كتابة القصائد الشعرية أو الكتابات الأدبية القديمة. يُعدُّ حبر الغراب رمزًا للغموض والألم والإبداع.

المقصود بالحبر هنا؛ حبر القلم الذي خطت به الاتفاقية.

أما الغراب: فهو البريطاني الذي كتب اتفاقية أوسلو هو تيري رود لارسن[1]. كان له دور رئيس في إعداد وتوسيع الاتفاقية.

قائل القصيدة هو محمود درويش؛ وقد قال هذه القصيدة رفضًا لاتفاقية أوسلو[2]، وما جاء بعدها من سياسات ضد الشعب الفلسطيني الأعزل.

1. وظف درويش في المقطع الأول، قصة قابيل وهابيل[3]، وكيف قام طائر الغراب بدفن هابيل ابن آدم عليه السلام بعد قيام قابيل بقتله.
2. وصف درويش في المقطع الثاني الليلة التي تلت ليلة الجريمة، وكيف كان قتل هابيل أول جريمة ترتكبها البشرية، وكانت بداية الدم من سلالة آدم.
3. تحدث درويش في المقطع الثالث، عن معاتبة هابيل لأخيه قابيل، وكيف سمح لطائر الغراب بأن يتدخل بين الأخوة، وكيف سيكمل قابيل حياته بعد مقتل أخيه.
4. يوضح المقطع الرابع أن طائر الغراب هو المذنب وأن الأخوة كانوا مجرد ضحيتين لهذا الطائر.
5. في المقطع الخامس تناص مع القرآن الكريم وتحديداً في سورة المائدة الآية الحادية والثلاثون، وجاء المقطع الخامس ليوضح ما حدث لطائر الغراب في نهاية القصيدة.

---

[1] في عام 1993 عُيّن رود-لارسن سفيرا ومستشارا خاصا لعملية السلام في الشرق الأوسط لدى وزير الخارجية النرويجي، وفي السنة التالية أصبح المنسق الخاص للأمم المتحدة في الأراضي المحتلة برتبة وكيل للأمين العام، ثم لفترة أخرى بين عامي 1999 و 2004. وكان ذلك لما نتج على هذه الاتفاقية من أضرار أدت إلى تهجير الشعب الفلسطيني وضياع وطنهم.

[2] اتفاقية أوسلو: اتفاقية أوسلو هي اتفاقية تم توقيعها في عام 1993 بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. تهدف الاتفاقية إلى تحقيق السلام بين الجانبين وتسوية النزاع الفلسطيني الإسرائيلي. تمت الموافقة على الاتفاقية من قبل بعض الدول العربية، مثل الأردن ومصر، ولكن هناك آراء متباينة بين الدول العربية بشأن هذا الاتفاق.

موقف العرب من اتفاقية أوسلو يختلف من شخص لآخر. هناك آراء مختلفة بين العرب حول هذه الاتفاقية التي تم توقيعها في عام 1993 بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. بعض الأشخاص يرون أنها خطوة إيجابية نحو تحقيق السلام وإقامة دولة فلسطينية مستقلة، في حين يُعدُّها آخرون خيانة للقضية الفلسطينية وتسليم للقوى الإسرائيلية.

بعض الدول العربية قد دعمت اتفاقية أوسلو، بما في ذلك الأردن ومصر. هذه الدول شجعت على التوصل إلى حل سلمي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي ورؤية إقامة دولة فلسطينية مستقلة. وقد لعبت هاتان الدولتان دورًا مهمًا في تسهيل المفاوضات وتحقيق التوصل إلى اتفاقية أوسلو.

[3] قصة قابيل وهابيل: وكما ذكرت سورة المائدة أن حواء وضعت تؤامان الأول قابيل وأخته والآخر هابيل وأخته،وقد أمر آدم عليه السلام أن يتزوجوا لكن قابيل رفض لأن توّام هابيل كانت أجمل،فأمر الله سبحانه وتعالى قابيل وهابيل أن يقدما قربانا لله سبحانه وتعالى وقد قدم هابيل أفضل كبش لديه لأنه كان راعيا أما قابيل قدم أسوء الزرع لديه لأنه كان مزارعا فتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل لذلك سيطرت الغيرة على قابيل فقتل أخاه، ولم يعرف كيف يواري جثة أخيه وهنا بعث الله سبحانه وتعالى غرابين يقتتلان وعندما قتل أحدهم الآخر قام بدفنه وهكذا تعلم قابيل كيف يدفن أخاه هابيل فالغراب علم الإنسان ما لم يستطيع فعله.

لَكَ خَلْوةٌ في وَحْشة الخرّوب، يا

جَرَسَ الغُروب الداكنَ الأصواتِ! ماذا

يطلبون الآن منكَ؟ بَحثتَ في

بُستانِ آدمَ، كي يواري قاتلٌ ضَجِرَ أَخاهُ،

وانغلقتَ على سوادِكَ

عندما انفَتَحَ القتيلُ على مَدَاهُ،

وانصرَفْتَ إلى شُؤونكَ مثلما انصرفَ الغيابُ

إلى مشاغله الكثيرة. فلتَكُنْ

يَقِظاً. قيامتُنا سَتُرْجَأُ يا غرابُ!

بدأ درويش القصيدة بالحديث عن انفراد الاحتلال، بالشعب الفلسطيني وسلبه حقوقهُ التي ضاعت منه بعد توقيع معاهدة أوسلو، ومع ذكر الخلوة (وحدة الشعب الفلسطيني)، يذكر الشاعر شجرة الخروب وهي دلالة على الثبات والاستقرار، فشجرة الخروب تُعدُّ رمزًا للثبات والاستقرار. كما أن شجرة الخروب شجرة طويلة الأمد تعيش لفترة طويلة من الزمن، وهنا دلالة أخرى على أن شجر الخروب الموجود في فلسطين عمره أطول من عمر دولتكم وحكومتكم. وإن الشعب الفلسطيني باقٍ وصامد ولن يهزمه الاحتلال حتى لو انفرد به. وهنا دلالة ثالثة على أن الشعوب العربية تركت الشعب الفلسطيني وحدة يدافع عن قضيته وحرمت مقدساته، رغم أن أوسلو سلبت الشعب الكثير من حقوقه إلّا أنه باقٍ وصامد، ولن يترك أرضه. ذكر درويش جرس الغروب؛ دلالة على أن هذه الاتفاقية، هي اعتراف بهزيمة الشعب الفلسطيني، وإن وافق على السلام مع دولة الاحتلال وقرع الجرس. سيكون نذيرًا للهزيمة المحتمة التي بموجبها يخسر الفلسطيني الكثير من حقوقه بالإضافة إلى أرضه؛ أما بالنسبة لجرس الغروب المقصود به طائر الغراب الذي ينعق دلالة على حلول المساء وغروب الشمس دلالة على حالة السواد والضبابية التي سيقع بها الشعب الفلسطيني بعد توقيع هذه المعاهدة. وهي إعلان

دولة إسرائيل داخل حدود الدولة الفلسطينية. والمقصود هنا ليس طائر الغراب بل الاحتلال الصهيوني.

ثم ذكر جملة (داكن الأصوات)، وهذه الجملة تدل على صوت طائر الغراب المسمى بالنعيق، الذي يسبب للناس الخوف والفزع عند سماع صوته. والدلالة الأخرى لكلمة داكن هي لون طائر الغراب الأسود الكاتم، الذي يتشاءم الناس منه ويبتعدون عنه لاعتقادهم بأنه يجلب الشر.

استخدم درويش أسلوب استفهام يفيد التعجب، والتعجب هنا من الدول العربية، بعد أن قامت بتسليم فلسطين للاحتلال. ولم تكتفِ بذلك فقط بل طلبت من الفلسطينيين أنفسهم أن يقوموا بتسليمها.

هنا استحضر درويش قصة قابيل[1] وهابيل[2] والمقصود هنا ليس ابني آدم بل (الدول العربية)، التي لعبت دور قابيل قاتل أخيه، و(فلسطين) كانت هابيل الذي شكل دور الضحية، و(الغراب) هو الاحتلال الغريب الذي قام بدفن هابيل. بعد دفن هابيل (فلسطين)، من قبل الغراب (الاحتلال)، ووقوف قابيل ساكناً لا يستطيع الحراك، متعجبًا متسائلاً عما يفعله هذا الغراب لأخيه، رغم أنه وافق على تسليمه للغريب. ذكر درويش بستان آدم للدلالة على أن الأخوين من أب واحد ونسبٍ واحد إلى أن قابيل (الدول العربية)، سلم أخاه للغريب (الاحتلال). ثم يقول: كي يواري قاتل أخاه، هنا يوضح درويش أن هابيل (فلسطين) قتل؛ بسبب طمع أخيه قابيل (الدول العربية)؛ ولأن الله لم يتقبل قربان قابيل، قام بقتل أخيه للتخلص منه؛ وذلك كان تعبيراً عن حقده وكراهيته لهُ؛ ولأن هابيل (فلسطين) كان أقرب إلى الله منه وهذا ما فعلته الدول العربية (قابيل)، وقفت ساكنة لا تتحرك أمام تسليم فلسطين (هابيل)، للغراب (الاحتلال) وذلك لعجزها وطمعها في الحصول على الحكم والأموال والسلام مع الغراب (الاحتلال).

بعد وضع هابيل (فلسطين)، داخل القبر الذي حفره الغراب (الاحتلال)، ذهب قابيل (الدول العربية)؛ لكي يستمتع بما فعله ويأخذ كل ما كان لأخيه، وخاصة الزوجة التي كان الأخان يسعيان للحصول

[1] قابيل هو قابين في التوراة.

[2] هناك علاقة بين كلمة هابيل وكلمة " الهبيلة" وهي كلمة مشتقة من جذر (ه ب ل)، وهذا الجذر يشير إلى معانٍ مثل البساطة أو الغفلة، ولا بد أن اسم هابيل جاء بسبب الربط بين اسم هابيل والمعاني المتعلقة بالسذاجة بسب شخصية هابيل المسالمة في القصة الدينية.

عليها. وعندما وصل الاحتلال إلى غايته في تفكيك الأخين وإبعادهما عن بعضهما بعضاً. انغلق في سواده؛ أي في حكمه للعالم بأسره؛ فقد اتبع الغراب (الاحتلال) سياسة فرق تسد، وهو فعلاً ساد وانتصر على العالم، عندما فرق الأخين عن بعضهما ففي احتلال فلسطين خسارة للأمة العربية والإسلامية بأسرها وليس فقط لفلسطين وحدها.

بعدما ذهب قابيل (الدول العربية)، للمتعة بعد قتل أخيه. انشغل بالأعمال الموجودة داخل الحياة، وترك القضية ولم يكترث لها. ولكن هابيل (فلسطين)، رد عليه من داخل القبر بصوت عالٍ كن يقظًا قيامتنا سترجأ يا غراب. كن يقظًا يا أخي مثلما دفنني الغراب سيأتي يومٌ ويضعك بجانبي. فهذا عدوٌ لكلينا وليس لي وحدي. ولكن لا تخف يا أخي إن يوم القيامة (النصر)، آتٍ لا محالة وحينها سأحاسب الغراب على ما فعل.

لا لَيْلَ يكفينا لنحلُمَ مَرَّتَين. هناكَ بابُ
واحدٌ لسمائنا. من أَين تأتينا النهايةُ؟
نحن أَحفادَ البدايةِ. لا نَرَى
غَيْرَ البداية، فاتّحدْ بمهبِّ لَيْلِكَ كاهناً
يَعِظُ الفراغَ بما يُخَلِّفُهُ الفراغُ الآدَمِيُّ
من الصدى الأبديِّ حولكَ...
أَنْتَ مُتَّهَمٌ بما فينا. وهذا أَوَّلُ
الدَمِ من سُلاَلَتِنا أمامَكَ، فابتعدْ
عن دار قابيلَ الجديدةِ
مثلما ابتعَدَ السرابُ
عن حِبْر رِيشكَ يا غرابُ

ينفي درويش أن الليلة التي جاءت بعد موت هابيل (فلسطين)، وحينما وضعه داخل القبر لم تكن طويلة ولا مهرب من القيامة. هناكَ بابٌ واحدٌ للسماء؛ إما أن آخذ بثأري من الغراب وأدفنه مثلما دفنني؛ وإما أن نعود سويًّا إلى القبر لنرى الليل فقط. هنا دلالة على أنه مهما طال ظلم الاحتلال سيأتي اليوم الذي سيحاسب فيه ويخرج من هذه الأرض عاجلًا أم آجلًا. وهنا يعود درويش ليؤكد باستخدام الثنائيات الضدية، البداية والنهاية. إن وعد هابيل (فلسطين)، سينفذ بالخيار الأول، وهو أنهُ سيقوم بدفن الغراب ذات يوم مثلما دفنه. بالعودة إلى نقطة البداية عندما فرح الغراب، ولكن هذه المرة هابيل (فلسطين)، هو من سيفرح والدليل قول درويش: " لا نرى غير البداية"؛ والمقصود بالبداية عودة فلسطين دولة مستقلة بذاتها وعاصمتها القدس الشريف.

وهنا يطلب هابيل من قابيل أن يتّحد بمهب ليله، ويكون كاهنًا حكيمًا يتوقع ما سيحدث مع الأخوين قبل أن يستمر الغراب في دفن أخيك. وهذا دليل على أن ما حدث لفلسطين. سيحدث في باقي الدول العربية؛ لذلك يطلب هابيل من أخيه أن يوقف الغراب قبل أن يتمكن من دفنه، وقبل أن يخلف الفراغ والصدى لك الموت وتصبح متهمًا بموت أخيك. وتكون هذه بدايةً للحرب الدموية التي وافقت عليها وأنت صامت وتترقب ذرات التراب وهي تنزل على وجه أخيك لتغطيته. فابتعد، يطلب منه الابتعاد عن دار قابيل الجديدة التي ستكون جهنم يا أخي. التي ستحرق روحك وستضعك بجانبي، هنا دلالة على أن بعد دفن هابيل (فلسطين)، ستكون حياة قابيل (الدول العربية)، جميلة ومرحة ولكن سيكتشف في يوم من الأيام أنه يعيش في سراب ووهم وليست حقيقة. وسيكتشف قابيل (الدول العربية)، أخيرًا، إنَّ كلام هابيل (فلسطين)، كان صحيحًا بعد أن انكشف السراب واتضحت الرؤى عن هذا الغراب، وتظهر حقيقة الاحتلال بأن السلام كان مجرد سراب؛ أما الحقيقة فهي الدماء والقتل للشعب الفلسطيني الأعزل.

لِيَ خلْوَةٌ في ليل صوتكَ... لي غيابُ

راكضٌ بين الظلال يشدُّني

فأشدُّ قَرْنَ الثور. كان الغَيْبُ يدفعني وأَدفعُهُ

ويرفعُني وأَرفعُهُ إلى الشَبَح المُعَلّق مثل

باذنجانةٍ نَضَجَتْ. أَأَنت إذاً؟ فماذا

يطلبون الآن منّا بعدما سرقوا كلامي من

كلامك، ثم ناموا في منامي واقفينَ

على الرماح. ولم أَكُنْ شَبَحاً لكي يمشوا

خُطَايَ على خُطايَ. فكُنْ أَخي الثاني،

أَنا هابيلُ، يُرْجِعُني الترابُ

إليكَ خَرُّوباً لتجلسَ فوق غُصْني يا غرابُ

ستفتقدني يا أخي وسيخنقك الليل الطويل الذي سيكون خالياً من صوتي ولن تسمع فيه، إلا صوت الغراب وهو يزعق[1] بالخراب والدمار. بينما أنت هكذا تعيش في الخراب الذي اخترته، سأكون أنا في جنتي فرحًا أجلس تحت ظلال الشجر وأتزوج. هنا استخدم الشاعر صورة خيالية لهابيل، كما لو أنه في الجنة ويأكل ويجلس في ظلال الشجر ويمسك قرن الثور، الثور هنا جاء رمزًا للخصوبة والقوة والعطاء. وكأن فلسطين وهي جالسة تنتظر تحريرها تجلس في الجنة. وكأن غياب قابيل (الدول العربية)، عنها لن يؤثر شيئًا فيها؛ فهي فقدت الدول العربية وأخذت الجنة بالمقابل. هنا جاء انتظار الباذنجانة وهي تنضج رمزًا لانتظار اللحظة الحاسمة للعودة من داخل القبر والانتقام من الغراب الذي فعل هذا بهِ. ومن ثم تظهر القصيدة خفايا أخرى؛ فقد استخدم درويش أسلوب الاستفهام مرتين الأول؛ بدافع الاستغراب. والثاني؛ بدافع طلب الإجابة. ينكر الشاعر على الدول العربية ما فعلته بفلسطين، فقد سرقت الكلمات ولم تكتفِ بعدم الدفاع عن فلسطين، بل حاولت إسكات الشعب ومنعهم من الدفاع عن قضيتهم، حتى إنَّها لم تستطع رؤيتهم بداخل الحلم يحملون الرماح ويدافعون عنها. هنا يذكر درويش أن

[1] الفرق بين الزعق والنعيب يكمن في نوع الصوت وسياقه. الزعق يُستخدم لوصف الصراخ العالي والقوي، وغالبًا ما يُنسب للبشر في حالات الغضب أو التنبيه، مما يوحي بالقوة والحدة، مثل قولنا: "زعق الرجل لينبه الناس بالخطر." أما النعيب فهو الصوت الذي يصدره الغراب، ويتميز بنبرة حزينة أو مشؤومة، ويُستخدم غالبًا لوصف أصوات الطيور، خاصة الغراب، كما في قولنا: "سمعنا نعيب الغراب في الصباح الباكر." وبالتالي، الزعق يدل على الشدة والانفعال البشري، بينما النعيب يرتبط بالحزن أو التشاؤم في أصوات الطيور.

فلسطين لم تكن مجرد شبح، يخرج من داخل القبر بل كانت حقيقة وإنساناً من لحم ودم وهو هابيل. يطلب هابيل من أخيه أن يعود إليه، ويؤكد حقيقة واحدة أن فلسطين ستتحرر لا محاله. والتأكيد جاء هنا عندما قال يرجعني الترابُ إليك خروبًا[1] لتجلس فوق غصني. أي أنه بعدما قمت بالسكوت عن دفني أنا لم أمت؛ فقد عدت إليك على هيئة أخرى، وهي شجرة خروب مثمرة يصعب اقتلاعها، استخدم درويش شجرة الخروب؛ بسبب وجود أسطورة تتعلق بشجرة الخروب في فلسطين[2]. وفقًا للأسطورة، يقال إنَّ شجرة الخروب تمتلك قوى سحرية وتعطي الحكمة والعقلانية لمن يجلس تحت ظلها. يروى أن الحكمة والمعرفة تتسرب إلى الشخص الذي يستمع إلى همس الرياح بين أوراق الخروب؛ فهي تُعدُّ مصدرًا للحكمة والإلهام في الثقافة الفلسطينية. ويوجد معتقد آخر أن شجرة الخروب تسكنها الأرواح الشريرة. وقد استخدم الشاعر شجرة الخروب رمزًا منه لدماء الشهداء؛ وذلك للون الخروب الأحمر الذي يمثل دماء الشهداء الزكية. حسب اعتقادي أن الحكمة من استخدامها هو نسبها للدول العربية عندما طلب منها أن تكون حكيمة وكاهنة في موقفها مع الاحتلال؛ أما بالنسبة للشر فهو يعود لطائر الغراب. وهنا يقول درويش: لتجلس فوق غصني يا غراب؛ المقصود بالغراب هنا هو قابيل وليس الاحتلال (الغراب)، وكأن هابيل يقول له: ماذا تختلف عن الغراب (الاحتلال)، فأنت صمت عن دفني عندما قام هو بدفني، ولكن هابيل (فلسطين)، لم يترك أخاه كما تركهُ وظل على وعده، حتى بعد أن سيطر الغراب عليه وأصبحوا شخصًا واحدًا بل سمح لهُ بالجلوس على أغصانه التي أنشأها على رماد الغراب، نتيجة دفن الغراب. والقضاء عليه.

---

[1] الربط بين شجرة الخروب ودماء الشهداء يأتي من التداخل الرمزي والوجداني في بعض الثقافات، حيث ترمز شجرة الخروب إلى الصبر والقدرة على التحمل في الظروف القاسية، نظرًا لأنها تنمو في بيئات صعبة وتنتج ثمارًا مغذية. من جهة أخرى، دماء الشهداء ترمز إلى التضحية والثبات في سبيل قضية نبيلة.

في بعض التقاليد أو الأدبيات، قد يُشار إلى شجرة الخروب رمزًا للصمود الذي يشبه تضحيات الشهداء، إذ إن كليهما يمثل العطاء في وجه الشدائد: الخروب يُعطي الحياة من خلال ثماره، والشهداء يروون الأرض بدمائهم لتستمر الحياة بحرية وكرامة. قد يكون هذا الربط أيضًا مستوحًى من التراث الشعبي أو الشعري الذي يربط الطبيعة بالمعاني الإنسانية العميقة.

[2] ارتبطت شجرة الخروب في بعض الثقافات والموروثات الشعبية بفكرة كونها مسكنًا للجن. يُعتقد أن هذا الاعتقاد جاء نتيجة لعوامل عدة، منها شكل الشجرة الغامض بأغصانها المتشابكة وكثافة أوراقها، مما يجعلها تبدو مظلمة وغامضة خاصة في الليل. كما أن شجرة الخروب غالبًا ما تنمو في أماكن منعزلة أو وعرة، مما أضاف إلى ارتباطها بالأساطير والخرافات.

في التراث الشعبي، تُعدُّ الأشجار ذات الظلال الكثيفة أو الأماكن الهادئة والمنعزلة مسكنًا مفضلًا للجن. وقد أسهمت هذه المعتقدات في انتشار الحذر من الاقتراب من شجرة الخروب ليلًا أو الجلوس تحتها، خوفًا من "إزعاج الجن". ومع ذلك، يبقى هذا الاعتقاد جزءًا من الموروث الشعبي ولا يستند إلى أساس علمي أو ديني، بل هو نتاج تصورات بشرية وروايات متوارثة.

أَنا أَنتَ في الكلمات. يجمعنا كتابُ

واحدٌ. لِيْ ما عَلَيْكَ من الرماد، ولم

نَكُنْ في الظلِّ إلاّ شاهِدَيْنِ ضحيَّتَيْنِ

قصيدتينِ

قصيرتينِ

عن الطبيعة، ريثما يُنْهي وليمَتُه الخرابُ

وبدأ عتاب الأخوة في هذه الأبيات، فهنا تقول فلسطين لم تكونوا إلا ضحية لجشع الاحتلال، وطمعكم في الحكم. على الرغم من هذا نبقى أمة عربية واحدة، نبني فوق رماد الاحتلال سلالتنا الجديدة. ولم نكن إلا شاهدين على موته وضحيتين لألاعيبه. ومنظرًا جميلًا ينظر إليه وهو يأكل وليمته، ويحاول السيطرة والنفوذ، وأخذ كل الأرض له، ونحن أخذتنا فكرة معاتبة بعضنا وتركناه يأخذ ما يريد.

ويضيئك القرآنُ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾

ويضيئك القرآنُ، فابحثْ عن قيامتنا، وحَلِّقْ يا غُرَابُ!

هنا يستحضر درويش آية من القرآن الكريم؛ لكي يؤكد على أن تحرير فلسطين كلها مؤكد من البحر إلى النهر وواقع لا مهرب منه، وأن حكومة الاحتلال زائلة بقدوم القيامة.[1]؛لأن تحرير فلسطين من علامات قيام الساعة المرتبطة بيوم القيامة. ثم يطلب درويش من الغراب أن يرحل من أرضه وهذا سيكون في مشهد التحرير إن شاء الله.

[1] جاء في السنة النبوية الشريفة أن تحرير المسجد الأقصى والقدس يعد علامة من علامات الساعة التي ذكرها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لذلك فإنه يُعدُّ فتح المقدس هو أحد أشراط وعلامات قيام الساعة. السنة النبوية الشريفة وضحت أن تحرير القدس نفسها مرتبط بقتال اليهود ونطق الحجر والشجر.

ظهر في المقطع الثالث:

راكضٌ بين الظلال يشدُّني
فأشدُّ قَرْنَ الثور. كان الغَيْبُ يدفعني وأَدفعُهُ
ويرفعُني وأَرفعُهُ إلى الشَبَح المُعَلّق مثل
باذنجانةٍ نَضَجَتْ.

قرن الثور دلالة على ما يعتقد اليهود أن اللاماسو هو نبوخذ نَصر؛ إذ ذُكر في التوراة أن الله قد حول نبوخذ نصر إلى ثور بأظافر النسر.

نبوخذ نصر الثاني ذكر في الكتاب المقدس، يتم ذكر نبوخذ نصر الثاني في عدة مواضع، بما في ذلك سفر دانيال وسفر أرميا. يُصف نبوخذ نصر الثاني ملكًا بابليًّا قويًّا جدًا وغالبًا ما يُذكر على نحوٍ سلبي بسبب تعامله القاسي مع شعب إسرائيل. قام بغزو أورشليم وأسر شعب إسرائيل ونقلهم إلى بابل كأسرى. ومن ثم، تحدثت النبوءات عن سقوطه ونهاية حكمه. هذه القصة تعكس الصراع بين القوة والشعوب المستضعفة.

حكاية تحول نبوخذ نصر الثاني إلى ثور هي إحدى الأساطير الشهيرة في الثقافة البابلية القديمة. يُقال إن نسراً هاجم نبوخذ نصر الثاني وتحول إلى ثور ضخم. وفقًا للأسطورة، أدى هذا التحول إلى اندلاع حرب عنيفة بين الآلهة. في الأسطورة، بعد أن تحول نبوخذ نصر الثاني إلى ثور، أصبح يجوب الأرض ويثير الفوضى والدمار في كل مكان. وفي محاولة لاستعادة النظام، تحدى الآلهة بقوته الهائلة. استدعت الآلهة إلهًا بابليًّا قويًّا يُدعى نابو، وتمكن نابو من إيقاف الثور وإعادة نبوخذ نصر الثاني إلى شكله البشري الأصلي. ومنذ ذلك الحين، احتفظ الناس بذكرى هذه الأسطورة رمزًا للقوة والتحدي. بعد أن استعاد نبوخذ نصر الثاني شكله البشري، أدرك قوته الحقيقية وقدرته على تحقيق السلام والازدهار،

قاد البابليين إلى عصر ذهبي من الازدهار الثقافي والاقتصادي. تُعدُّ هذه الأسطورة رمزًا للتحول والقدرة على التغيير.

هذا دليل على أن المقصود بالغراب هو الاحتلال الصهيوني، وليس الغراب الطائر الأسود.

وفي المقطع الخامس:

ويضيئك القرآنُ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾

ويضيئك القرآنُ، فابحثْ عن قيامتنا، وحلِّقْ يا غُرَابُ!

تفسير الآية هو الدليل؛ لأن الآية حسب التفسير الأول لها، اعتقد أنها لرجلين من بني إسرائيل، ولكن في الحقيقة هي لابني آدم قابيل وهابيل.

وفي الآية الثانية والثلاثين من سورة المائدة. قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة:32].

تفسير الآية الكريمة: النص يتحدث عن تحذير بني إسرائيل من قتل النفس بغير حق، حيث يُعتبر ذلك كقتل الناس جميعًا. ويشير إلى أن من يمتنع عن القتل بدافع الإيمان بحرمة النفس كأنه أحيا الناس جميعًا. رغم وجود الحجج والبراهين من الرسل، إلا أن الكثير من بني إسرائيل يتجاوزون حدود الله ويخالفون تعاليم رسلهم (بن كثير، 2009م، صفحة 569).

وهكذا تنوعت دلالة طائر الغراب في القصيدة، فمرة جاء دلالة على الاحتلال الصهيوني. ومـــرة جـــاء ليدل على "تيري رود لارسن" وهو صاحب اتفاقية أوسلو. وفي الدلالة الأخيرة جاء الغراب بديلاً لقابيل (الدول العربية). التي وقفت ساكنة لا تتحرك أمام قرار تسليم فلسطين.

ختامًا، يُعد توظيف الغراب رمزًا للاحتلال الصهيوني في الشعر الفلسطيني تجســيدًا إبــداعيًّا لمعانـــاة الشعب الفلسطيني وما يواجهه من ظلم وقهر. فالغراب؛ بدلالاته الثقافية المرتبطة بالشـــؤم والخـــراب؛ يعكس طبيعة الاحتلال الذي جلب الدمار وسلب الأرض والإنسان روح الحياة. من خلال هـــذا الرمـــز، تمكن الشعراء الفلسطينيون، مثل: محمود درويش وغيره، من إيصال رسائلهم الوطنية والإنسانية بعمق وتأثير؛ فقد أصبح الغراب أداة فنية تعبر عن الاغتراب الذي فرضه المحتل وعن المقاومة التي تتجـــذر في الأرض رغم كل محاولات القمع والتشريد؛ بذلك، يبرز الشعر الفلسطيني ليس فقط كأداة للتعبير عن الألم، بل كوسيلة لتحدي الاحتلال وحفظ الهوية الوطنية.

الخاتمة

ختامًا، استطاعت هذه الرسالة أن تكشف لنا الستار عن أمور مهمة تتعلق بطائر الغراب، وكشفت لنا حضور هذا الطائر المهم في ثقافات الأمم والشعوب العربية والغربية، وأثبتت أن لهذا الطائر ارتباطًا بالعقائد الدينية والأساطير القديمة، وكيف تحول طائر الغراب من معلم الإنسان الأول، وكاشف الأرض الناجي من الطوفان، ومساعد القادة في المعارك إلى طائر يحمل دلالة الاحتلال الصّهيونيّ الغاصب ورموزه.

وهكذا بعد استعراضنا لمادة البحث واستقرائنا لبعض أشعار شعراء العرب والغرب، لا بد لنا من الوقوف على بعض النتائج التي خلص إليها هذا البحث، وأهمها:

1. الغراب رمزًا للاحتلال والخراب: أظهرت الدراسة أن الغراب يُستخدم في الشعر الفلسطيني رمزًا للاحتلال الصهيوني؛ إذ يمثل التشاؤم والدمار والوجود غير المرغوب فيه؛ هذا الاستخدام ينبع من الدلالات الثقافية المرتبطة بالغراب في التراث العربي؛ بوصفه طائر شؤم وموت.
2. ارتباط الغراب بالأرض والإنسان الفلسطيني: تناول الشعراء الفلسطينيون الغراب صورةً تعبيرية تُجسد اغتراب الفلسطيني في أرضه بفعل الاحتلال؛ فالغراب في هذا السياق يرمز إلى العدوان الذي ينهب الأرض ويفسد توازن الطبيعة والحياة.
3. الغراب شاهدًا على الجريمة التاريخية: في العديد من النصوص الشعرية، صُوِّر الغراب شاهدًا على مأساة النكبة والتشريد. يظهر الطائر في القصائد عنصرًا فنيًّا يُبرز المعاناة الفلسطينية، سواء عبر مراقبته للأحداث أو كرمز للغريب الذي استوطن مكانًا ليس له.
4. توظيف الغراب لتعزيز الصراع بين الحياة والموت: استُخدم الغراب في الشعر الفلسطيني للتعبير عن صراع الفلسطيني مع الاحتلال الذي يسعى لمحو الحياة. في المقابل، يتمسك الفلسطيني بحقه

في الحياة والمقاومة؛ مما يجعل من الغراب رمزًا يبرز المفارقة بين الخراب الذي يفرضه الاحتلال والأمل الذي يحييه الفلسطينيون.

5. الأسلوب الفني والدلالي للرمز: كشف البحث أن الشعراء الفلسطينيين، مثل محمود درويش، استخدموا الغراب بأسلوب فني عميق، مستعينين به لإثارة مشاعر الحزن والغضب والرفض. الرمز لم يكن مجرد وصف، بل أداة لاستبطان العلاقة المعقدة بين الإنسان الفلسطيني والاحتلال.

التوصيات

- تعزيز دراسة الرموز الطبيعية والحيوانية في الشعر الفلسطيني؛ لفهم أعمق لأساليب المقاومة الفنية.
- توسيع نطاق البحث ليشمل مقارنة بين توظيف الغراب في الأدب الفلسطيني وأدب المقاومة عالميًا.
- دراسة تطور استخدام رمزية الغراب في الشعر الفلسطيني عبر المراحل الزمنية المختلفة، بدءًا من النكبة وصولًا إلى الوقت الحاضر.
- تحليل التأثير الثقافي والاجتماعي للرموز الطبيعية، ومنها الغراب، على تشكيل الهوية الوطنية الفلسطينية وأدب المقاومة.
- توجيه الدراسات المستقبلية نحو فهم العلاقة بين الموروث الشعبي والرمزية الأدبية في التعبير عن القضايا الوطنية.
- مقارنة توظيف الغراب مع رموز أخرى في الشعر الفلسطيني، مثل شجر الزيتون والحمام، لفهم الفروق في الأبعاد الرمزية لكل منها.

المراجع العلمية

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

أولاً: المراجع العربية

إبراهيم، أحمد علي. (2013م). *الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري*. بيركلي: جامعة كاليفورنيا.

أحمد سليمان. (اغسطس، 1969م). إدغار آلان بو: شاعر الحلم والواقع. *المنظومة*، الصفحات 57-74 الأحمد.

ايسوب. (1998م). *الخرافات الكاملة*. (أوليفيا، المحرر، و روبرت تيمبل، المترجمون) نيويورك: مجموعة نشر البطريق.

البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي. (1962م). *المرأة في شعر البحتري*. ديترويت: جامعة ميتشيغان.

البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل. (2016م). *صحيح البخاري ج2* (المجلد 1). باكستان: جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية.

البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل. (1400ه). *الجامع الصحيح، الجزء الرابع*. القاهرة: المكتبة السلفية.

بركات، محمد مرشدي. (2017م). *الواحات المصرية كنوز تاريخية رحلات في الزمان والمكان*. نهر الدماء: مكتبة جزيرة الورد.

بسيسو، معين. (2008م). *الأعمال الشعرية الكاملة لمعين بسيسو*. بيروت: دار العودة.

بن حبيب، محمد. (د.ت). *ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب* (المجلد 3). القاهرة: دار المعارف، القاهرة–مصر.

بن شداد، عنترة. (1891). *ديوان عنترة بن شداد*. القاهرة.

بن شداد، عنترة. (1891م). *ديوان عنترة بن شداد*. بيروت: المطبعة الأدبية.

بن غالب، همام. (2016). *ديوان جرير*. بيروت.

بن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (2009م). *تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير*. بيروت: دار ابن حزم.

بهجت، أحمد. (1988م). *نبأ ابني آدم والغراب*. بيروت: دار الشروق.

تشوسر، جيوفري. (1983م). *حكايات كانتربي*. (مجدي وهبة، و عبد الحميد يونس، المحررون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب.

تيمية، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. (1991م). *مناهج السنة النبوية في نقيض كلام الشيعة القدرية* (المجلد 4). (محمد رشاد سالم، المحرر) السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1965م). *الحيوان* (المجلد 3). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر. (1965م). *الحيوان* (المجلد 2). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان. (1424ه). *الحيوان* (المجلد ج3). بيروت: دار الكتب العلمية–بيروت.

جايمان، نيل. (2020م). *الأساطير النوردية*. (إسلام عماد، المترجمون) لوس أنجلوس، الولايات المتحدة الأمريكية: دار ويليام مورو للنشر، ومكتبة Telegram Network.

جلنبو، حسن عطية. (2019م). *ملامح التراث في الشعر الفلسطيني المعاصر معين بسيسو أنموذجًا*. عمان: دار الكتاب الثقافي.

حامد، طاهر. (2019م). ملحمة جلجامش: دراسة تحليلية. *المنظومة*، الصفحات 211–248.

الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا. (1997م). معجم *مقاييس اللغة*. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) سوريا–دمشق: دار الفكر.

الحمد، حليمة بنت سويد. (2003م). *القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر 1387–1410ه/1967–1990م*. الرياض: مكتبة العبيكان.

الحنبلي، الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني. (1996م). *غذاء الألباب (شرح منظومة الآداب)*. (محمد عبد العزيز الخالدي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

خليل، محسن عيسى. (2006م). *دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني (التراث الغنائي)*. عمان: دار جرير للتوزيع والنشر.

دامبلي، مامادو. (21 يونيو، 2019م). توظيف الطير في الشعر الجاهلي عنترة بن شداد نموذجًا. *مجلة حوليات التراث*، الصفحات 83-98.

درويش، محمود. (2014م). *محمود درويش الأعمال الشعرية الكاملة* (المجلد 1). رام الله: الأهلية للنشر والتوزيع.

درويش، محمود. (2014م). *محمود درويش الأعمال الشعرية الكاملة*. رام الله: الأهلية للتوزيع والنشر.

الدمشقي، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (2000 م). *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى. (1992م). *حياة الحيوان الكبرى*. (أسعد الفارس، المحرر) دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

الدينوري، ابن قتيبة. (د.ت). *المعاني الكبير في أبيات المعاني* (المجلد 2). (سالم الكرنكوي، المحرر) بيروت: دار النهضة الحديثة.

الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. (1432ه). *الشعر والشعراء*. القاهرة: دار الحديث للنشر والتوزيع.

الدّينوري، كمال الدين محمد بن موسى. (2005م). *حياة الحيوان الكبرى* (المجلد 3). (إبراهيم صالح، المحرر) دمشق: دار البشائر.

ذي الرمة. (2016م). *ديوان ذي الرمة*. بيروت: دار الارقم بن ابي الارقم.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (1971م). *معجم تاج العروس*. (عبد المنعم خليل إبراهيم، و كريم سيد محمد محمود، المحررون) بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. (1987م). *المستقصى في أمثال العرب*. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

الزيات، أحمد حسن. (1388ه). *مجلة الرسالة*. القاهرة: مجلة الرسالة.

ساكس، بوريا. (2010م). *الغراب (التاريخ الطبيعي الثقافي)*. (ايزميرالدا حميدان، المترجمون) أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

السّتاليّ، أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصيّ. (1992م). *ديوان السّتاليّ*. القاهرة: وزارة التراث القومي والثقافي.

سلطان، منير. (د.ت). *ابن سلام طبقات الشعراء*. الاسكندرية: منشأة المعارف بالاسكندرية جلال حزي وشركاه.

سنينة، علي عبد العزيز. (2012م). *الغراب في الشعر الجاهلي*. نابلس: جامعة النجاح الوطنية.

السهلي، محمد توفيق. (1970م). *موسوعة الأمثال الفلسطينية*. القدس: الأقصى للدراسات والترجمة والنشر.

السواح، فراس. (1987م). *كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش*. دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

السواح، فراس. (2016م). *جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة*. يورك هاوس، شبيت ستريت، وندسور، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

شهاب، أحمد سامي. (2012م). *التناص في الشعر الأموي*. عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.

شيشرون، ماركوس تولّيوس. (2022م). كاتو الأكبر عن الشيخوخة. (علي عبد التواب علي، جمال الدين السيد أبو الوفا، و مافي محمد محمد أحمد، المحررون) *أوراق كلاسيكية، العدد التاسع عشر*.

الصومعي، فتحي. (2012م). *سيرة الحيوان*. القاهرة: دار أقلام عربية.

عبد الغفار، محمد حسن. (2016م). *مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية* (المجلد ج8). القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها.

عبد الكريم، صفاء آدم. (يوليو، 2016). ملحمة الوافدين الخالدة " جلجامش":دراسة في شخصيات الملحمة، الصراع الملحمي، نهاية الملحمة. *المنظومة*، الصفحات 21-40.

عبد الواحد، علي فاضل. (يونيو، 1985م). ملحمة جلجامش. *المنظومة*، الصفحات 35-46.

العبوسي، هدى جعفر صالح. (2014م). *الأنبياء في القرآن قصص وعبر*. بيروت: دار الكتب العلمية.

عجينة، محمد. (1994). *موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها*. بيروت: دار الفاربي-بيروت-لبنان.

العسقلاني، ابن حجر. (773-852ه). *كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الجزء الثامن*. القاهرة.

عودة، علي محمد. (2011م). *كتاب دراسات في الشعر الفلسطيني*. القاهرة: مكتبة حمزية للورد القاهرة.

فوزس، ميتامور. (1992م). *مسخ الكائنات*. (مجدي وهبة، المحرر) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. (2009م). *تأويل مختلف الحديث والرد على الأخبار المدعى عليها التناقض* (المجلد 2). (أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفيّ الأثري، المحرر) القاهرة: دار ابن القيم للنشر والتوزيع، دار ابن عفان للنشر والتوزيع.

قيس بن ذريح. (2003م). *ديوان قيس بن ذريح*. بيروت: دار المعرفة للنشر والتوزيع.

كاطع، فلاح حسن. (2019م). *رثاء النّساء في الشّعر العبّاسيّ*. عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.

الكسائي، محمد بن عبد الله. (1922). *قصص الأنبياء*. بريل لندن: إيزنبرغ.

كمال الدين، أديب. (2013م). *الحرفُ والغراب*. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

كنعان، الفهد. (شباط، 2019م). رائعة إدغار آلان بو الشعرية "الغراب". *مجلة المعرفة، دار المنظومة.*، الصفحات 252-262.

كين، أ.ج. (2020م). *أنواع الحيوانات وتطورها*. (الأدب الأفريقي، المترجمون) الجيزة: مؤسسة وكالة الصحافة العربية.

مباركي، محمد. (2016م). *قصة الطوفان بين الأسطورة والدين دراسة وصفية تحليلية مقارنة*. بيروت: شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.

مجمع اللغة العربية. (1960م). *المعجم الوسيط*. مصر-القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. القاهرة.

محمد، زغريت خالد. (حزيران–جمادى الأولى، 2010م). ميثولوجيا الغراب في قصيدة إدغار آلان بو. *المنظومة*،، الصفحات 325–334.

محمد، وصفي؛ محمد، عبد الحمن. (2003م). *تراسل الحواس في الشعر العربي القديم*. آن آربر: مكتبة الآداب.

مشعوع، وليد. (1999م). *كتاب الموت في الشعر العربي السوري المعاصر (0591–0991)*. دمشق: اتحاد الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

معلم، وداد. (ديسمبر، 2016م). سميائية ألفاظ الغراب في التراث العربي بين المعاني المعجمية والدلالات السياقية. *مجلة العلوم الإنسانية*.

مقابلة، زايد خالد. (2022م). *الشعر العباسي في تاريخ البري في القرنين الثاني والثالث للهجرة (دراسة موضوعية فنية)*. فلسطين: وزارة الثقافة.

المقدسي، عزّ الدين بن عبد السّلام بن غانم. (د.ت). *كشف الأسرار في حكم الطّيور والأزهار*. (علاء عبد الوهّاب محمد، المحرر) القاهرة: دار الفضيلة.

منتهى، قبسي؛ نبيلة، بوشريف. (2020م). ترجمة الرمز في القصة القصيرة: الفجوة بين الحرفية والحذف: ترجمةThe Fall of the House of Ushel. *المنظومة*، الصفحات 63–77.

منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1311ه). *معجم لسان العرب، مادة(غَـرَبَ)*. بيروت: دار إحياء التراث العربي بيروت.

منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1311ه). *معجم لسان العرب،مادة طير*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم. (1838م). *مجمع الأمثال*. (محمد محيى الدين عبد الحميد، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

النجار، زغلول. (2019م). *من قصص القرآن الكريم*. القاهرة: مؤسسة بداية للنشر والتوزيع.

نمر، موسى إبراهيم. (2005م). *آفاق الرؤيا الشعرية (دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر)*. رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية (الهيئة العامة للكتاب).

النويري، أحمد بن عبد الوهاب. (م1923). *نهاية الأرب في فنون الأدب* (المجلد 6). (مفيد قميحة، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

النيسابوري، أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. (1035م). *قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس*. (عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية بيروت.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Edgar Allan Poe .(2017) .*The Raven and The Philosophy of Composition* .New York: Produced by Richard Tonsing and the Online Distributed.

JEFFREY MEYERS .(1992) .*Edgar Allan poe His life And Legacy* .New York: Cooper square press.

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

THE CROW IN HUMAN HERITAGE: SELECTED EXAMPLES

By
Razan Mahmoud Jamal Awwad

Supervisor
Dr. Adwan Adwan

This Thesis is submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2025

THE CROW IN HUMAN HERITAGE: SELECTED EXAMPLES

By
Razan Mahmoud Jamal Awwad
Supervisor
Dr. Adwan Adwan

Abstract

This study investigates "The Raven in Human Heritage: Selected Models" within the framework of global poetry, incorporating both Arabic and Western literary traditions. It utilizes a descriptive analytical methodology to elucidate the significance of the raven in these poetic forms. The primary objective is to explore the symbolism associated with the raven in Western poetry while also analyzing its representation in Arabic poetry in a separate context. The researcher highlights the evolution of the raven's symbolism across various historical periods up to the present day. This investigation reveals the profound significance of the raven, demonstrating that in certain contexts, it transcends its status as a mere avian creature to embody a powerful symbol of malevolence and destruction.

The document comprises two chapters, preceded by an introduction and a preface, and concluded with a conclusion. In the introduction, the researcher underscores the significance of the study and articulates the rationale for selecting the crow, specifically focusing on its role in human heritage through selected examples, as opposed to alternative topics. The key questions to be addressed are delineated throughout the body of the study, accompanied by a discussion of the primary reasons for the selection of the research topic.

The first chapter offers an introduction to the significance of the crow in ancient poetry, emphasizing its representation in Western poetry as well as its importance in Arabic poetry. This chapter is organized into two sections: the first section analyzes the portrayal of the crow in a selection of global poetry, while the second section investigates its depiction in a selection of Arabic poetry.

The second chapter is structured into two primary sections, which the researcher has designated as "The Significance of the Crow in Palestinian Poetry." This chapter is further subdivided into three subsections. The first subsection examines the crow's association with ill omens, underscoring its negative connotation within Palestinian

poetry. The second subsection explores the theme of separation, illustrating how poets utilize the crow as a symbol to convey feelings of estrangement and the loss of loved ones. The third subsection discusses the crow's representation of the Zionist occupation, highlighting how certain poets, including Darwish and others, employ the crow as a symbol of this occupation in their verses.

Keywords: Raven symbolism, Arabic poetry, Western poetry, Human heritage, Palestinian poetry, Literary analysis